وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

التعليم في الأندلس

على عهدي الخلافة الأموية وملوك الطوائف

(316-479هـ/ 929-1086م)

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

عبد القادر أولاد عبد الله

إشراف الدكتور:

عبد الجليل ملاخ

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/طاهر بن علي	غرداية	رئيسا
د/ عبد الجليل ملاخ	غرداية	مشرفا ومقررا
د/ بكير بوعروة	غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: 1444 ـ 1445هـ/2022 ـ 2023م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

التعليم في الأندلس

على عهدي الخلافة الأموية وملوك الطوائف

(316-479هـ/ 929-1086م)

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب: | إشراف الدكتور:
عبد القادر أولاد عبد الله | عبد الجليل ملاخ

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/طاهر بن علي	غرداية	رئيسا
د/ عبد الجليل ملاخ	غرداية	مشرفا ومقررا
د/ بكير بوعروة	غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: 1444 ـ 1445هـ/2022 ـ 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

صدق الله العظيم

سورة: طه، الآية: 114

الإهداء

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى

الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله تتنزّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقّق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على سيّدنا وحبيبنا محمّد أشرف المخلوقات، وعلى آله وأزواجه وصحابته خير البريّات وسادة السادات، ثمّ أمّا بعد:

أهدي هذا العمل إلى كلّ من سعى معي لإتمامه دمتم لي سندا لا عمر له...

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار، إلى من علّمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكلّ افتخار، إلى والدي الكريم حفظه الله

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحبّ والحنان، إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود، إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي، وحنانها بلسم لجراحي، إلى والدتي الحبيبة أطال الله عمرها

إلى سندي في الدنيا منذ وعيتها أختي وإخوتي قرّة عيني

إلى من يقاسموني حلو الحياة ومرّها زوجتي الكريمة وأبنائي الغاليين

إلى كلّ من أمدّني بالقوة والتوجيه، وآمن بي ودعّمني لأقطف ثمار جهدي بكلّ فخر واعتزاز، إلى أفراد عائلتي كلّ باسمه وجميل وسمه، إلى كلّ من له الفضل في وصولي إلى هذه المرتبة من معلّمين وأساتذة، إلى من طيّب خاطري ولو بكلمة أو دعاء...

إليكم جميعا أهدي هذا العمل

لك الحمد ربّنا قبل الرضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى



شكر وتقدير

أتوجّه بالشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبد الجليل ملاخ

الذي قدّم لي العون والدّعم ولم يبخل عليّ بتوجيهاته الخاصّة، ونصائحه المثمرة،

فله منّي جزيل الشكر، وفائق الاحترام والتقدير.

كما أتقدّم بالشكر والامتنان لكلّ الأساتذة الموقّرين والدكاترة المحترمين في قسم التاريخ

بجامعة غرداية الذين أفادونا طيلة عامين كاملين فكانوا نبراس علم وتوجيه، وأخصّ بالذكر

منهم: الأستاذ الدكتور طاهر بن علي، الأستاذة الدكتورة بن صغير حضري يمينة،

الدكتور صلاح الدين وانس، الدكتور بكير بوعروة، الدكتور مصطفى قروي...

ولا يفوتني في هذا المقام الثناء على الطاقم الإداري لقسم التاريخ - جامعة غرداية - كلّ باسمه

ممّن سهّلوا لنا جميعا التحصيل البيداغوجي، لكم أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان...

وفي الأخير أبعث بالشكر إلى الذين زرعوا التفاؤل في طريقي، وقدّموا لي أنواع المساعدات،

وشتّى التسهيلات، لكم جميعا أقول:

جزاكم الله خير الجزاء

قائمة المختصرات

معنى المختصر والرمز	المختصر والرمز
إشراف	(إ.ش)
تحقيق	تح
تعليق	تع
مراجعة	مر
ترجمة	تر
نشر	ن
طبع	ط
العدد	ع
الجزء	ج
المجلد/المجموعة	مج
الصفحة	ص
دون الطبعة	(د.ط)
دون بلد الطبع	(د.ب)
دون تاريخ الطبع	(د.ت)
التاريخ الهجري	هـ
التاريخ الميلادي	م
Page	p

المقدمة

عرفت بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي وتحديدا في العهد الأموي مرحلة تميّزت بالازدهار الفكري والتقدّم العلمي، وكان شاهدا على ذلك كثرة الكتابات من مصادرها التاريخيّة التي أشادت بإنجازات ذلك العصر، والدور الهائل الذي قدّمه الأمراء والخلفاء تحقيقا للوثبة الحضارية التي شملت مجالات عديدة ومتنوّعة، ولعلّ من أهم العوامل التي ساهمت في تحقيق ذلك التميّز للبلاد هو الاهتمام بالتعليم كقاعدة أساسيّة لتحقيق الرقيّ، فلا يمكن تحقيق التفوّق دون العناية بالتعليم وتشجيعه، فتعليم المجتمع وإخراجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم هو مبدأ حرص على نشره بين الأمم الدين الإسلاميّ تحفيزا للتعلّم وتشجيعا على القراءة، للوصول إلى معرفة المجهول من الحقائق واكتشافها، ولهذا دفعتني الرغبة والاهتمام لدراسة موضوع التعليم في الأندلس مركّزا على فترتين هامتين سياسيا، ومتعاقبتين زمنيا، والتي لم تحظ الدراسات فيهما بالقدر الكافي المستفيض، فعدّ التعليم الحصن المانع لثوابت الأمة الأندلسية حتى في فترات الفتنة العمياء التي كان من نتائجها سقوط الخلافة الأموية وظهور ملوك الطوائف، وبالرغم من الصراعات السياسيّة ظلّت مكانة التعليم والعلماء محفوظتين مصانتين، ومنه جاء اختيار موضوع الدراسة موسوما بـ:

التعليم في الأندلس على عهدي الخلافة الأموية وملوك الطوائف

(316-479هـ/929-1086م)

أولا – حدود الدراسة:

1- حدود الموضوع:

تمّ التركيز في الموضوع على التعليم في بلاد الأندلس، من حيث تحديد مراكز التعليم، والمراحل التي مرّ بها التعليم منذ أن يعي التلميذ معنى الكتابة والقراءة إلى مرحلة التخصّص ثمّ اختياره للرحلة العلمية سواء داخل الأندلس أو خارجها، واعتنت الدراسة بالتركيز على المناهج التعليميّة المعتمدة من قبل الأندلسيين، وأهم المواد المدرّسة، كما اعتمدت على تقديم النماذج اللامعة لأقطاب العلماء المعلّمين ودورهم في بعث الحركة التعليميّة والعلميّة.

2- حدود الإطار المكاني:

يركّز الموضوع على بلاد الأندلس دون سواها، مع الإشارة إلى بعض الممالك والإمارات التي لمع نجمها في فترات مميّزة من تاريخ الأندلس، خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية، وظهور الحواضر العلميّة ببعض تلك الإمارات المتفرّقة.

3- حدود الإطار الزماني:

إنّ المرحلة المدروسة تبدأ من قيام الخلافة الأموية ببلاد الأندلس والتي أعلنها عبد الرحمن النّاصر والممتدّة بين سنوات (316-422هـ/929-1031م)، وتنتهي بالفتنة وانقسام البلاد إلى إمارات مشتّتة ممزّقة، عرفت تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الأندلس بعصر ملوك الطوائف الممتدة زمنيّا بين (422-503هـ/1031-1110م)، حاولت في هذه المراحل والفترات التاريخيّة عرض حقيقة التعليم بكلّ تفاصيلها ببلاد الأندلس.

ثانيا – أسباب اختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع أذكر:

– الاهتمام الكبير بجانب التعليم الذي قضيت فيه سوادي، ورغبتي الملحّة في إنهاء مشواري التعليمي بعمل أخلّد فيه مكانة التعليم وأهميته، فوجدت الأندلس أفضل نموذج يعكس دور التعليم في العالم الإسلامي في العصر الوسيط.

– الميل إلى دراسة الجانب الفكري والثقافي في بلاد الأندلس الثريّ والهائل، على دراسة الجانب السياسي المليء بالصراعات والحروب والفتن خاصة في المرحلة الزمنيّة المدروسة.

– قلّة الدراسات المتخصّصة في مجال التعليم بالأندلس، والتي تكاد تعدّ على الأصابع حسب ما اطلعت عليه، ممّا دفعني لاقتحام الموضوع، محاولا تقديمه بطريقة جديدة علّها تكون مفيدة نافعة إن شاء الله.

– الرغبة في توضيح ميل أهل الأندلس للعلم وتنافسهم في طلبه، وإجلالهم للعلماء، وما خلّفه علماؤهم من منتوج فكري جعلهم ينافسون به علماء المشرق، محاولا توضيح ذلك التميّز وتأثيراته على نوعيّة التعليم وتنوّع الدراسات العلميّة.

– محاولة إظهار التواصل المعرفي بين المرحلتين المدروستين، وكيفيّة انتقال الموروث العلمي من عصر الخلافة، إلى عصر ملوك الطوائف الذين احتضنوا العلم والعلماء، رغم الوضع السياسيّ المتميّز بالانقسام والضعف.

ثالثا – إشكالية البحث:

يقوم البحث على إشكالية رئيسيّة هي: **كيف كانت عناية الأندلسيين بالتعليم على عهدي الخلافة الأموية وملوك الطوائف ؟**

وتفرّعت عن إشكالية البحث عدّة إشكاليات جزئية أهمّها:

- ماهي صورة التعليم في بلاد الأندلس قبل الفتح؟
- هل كان التعليم من اهتمامات الفاتحين للأندلس؟
- ما هو الموروث التعليمي من عهدي الولاة وإمارة الأمويين؟
- كيف كان التعليم على عهد الخلافة الأموية، وماهي مظاهر الاعتناء به؟
- هل تأثر التعليم في الأندلس بالتقلّبات السياسية على عهد ملوك الطوائف؟
- ماهي العوامل المؤثّرة في انتشار التعليم وتطوره على عهدي الخلافة الأموية وملوك الطوائف؟
- هل كان للتعليم مناهج وتنظيمات تؤطّره؟
- هل تأثّر التعليم بالرحلات العلمية بين المشرق والمغرب؟
- ماهي موقعيّة التعليم في تشكيل التنوّع المعرفي ونشره؟

رابعا – خطة البحث:

بعد جهد الاطلاع وجمع المادة العلمية تمّ تقسيم البحث إلى فصل تمهيدي متبوعا بثلاثة فصول أساسية، استهلّ البحث بمقدمة تضمّنت عرض الموضوع من حيث حدوده زمانيا ومكانيا، وأسباب اختياري له، وإشكالاته، مع تحديد المنهج المتّبع في دراسته، وتقديم دراسة لأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها، وأهم الصعوبات التي لاقيتها في مسار البحث.

بداية البحث كانت مع **الفصل التمهيدي** وعنوانه **التعليم وبداياته الأولى في الأندلس** وهو مدخل رأيته ضروريا لبداية البحث، قسّمته إلى ثلاثة مباحث، أين تطرّقت في المبحث الأول لتعريف التعليم، وأهميته في حياة المسلم، وقدّمت في المبحث الثاني لمحة تاريخية عن إسبانيا قبل الفتح الإسلامي، مع توضيح الوضع الثقافي وحالة التعليم في فترة القوط وهي المرحلة التي سبقت الفتح، وأما المبحث الثالث فخصّصته للحديث عن البوادر الأولى لحركة التعليم التي سبقت عصر الخلافة، أين بيّنت الإرهاصات الأولى للتعليم في بلاد الأندلس والتي بدأت ملامحها مع الولاة ثمّ اتسع نطاقها في عهد الإمارة.

في **الفصل الأول** بيّنت **العوامل المساعدة على تطوّر التعليم في الأندلس** أين قسّمته إلى مبحثين أساسيين، بيّنت في المبحث الأول العوامل المساعدة على تطوّر التعليم في عصر الخلافة، والمبحث الثاني شرحت فيه العوامل المساعدة على تطوّر التعليم في عصر ملوك الطوائف.

و**الفصل الثاني** خصّصته للحديث عن **طرق التعليم ومناهجه في الأندلس**، قسّمته إلى ثلاثة مباحث أساسية، بيّنت في المبحث الأول أهم المراكز المعَدّة للتعليم في الأندلس، وفي المبحث الثاني بيّنت بالشرح والأمثلة الطرق المعتمدة في التدريس، لأختم الفصل بالمبحث الثالث الذي بسطت فيه المنهج التعليميّ وتطوّره مع تقديم نماذج لتلك المناهج المعتمدة في التدريس، وأراء أصحابها، وركّزت في الختام على التأهيل أو الإجازة التي يحصل عليها المتعلّم في نهاية مشواره التعليمي.

وأمّا **الفصل الثالث** والأخير فقد بيّنت فيه **العلوم المدرّسة في الأندلس وحركيّة التعليم** وهو فصل يعكس النشاط الذي خلّفته حركة التعليم في بلاد الأندلس، وقسّمته إلى مبحثين أساسيين، بيّنت في المبحث الأول العلوم النقليّة بدءا بالعلوم الدينيّة، اللغة العربية وآدابها، العلوم الإنسانية بمختلف فروعها المدرّسة، وقدّمت في المبحث الثاني العلوم العقلية بكلّ أنواعها كالطب والصيدلة، الرياضيات والفلك، وكلّ العلوم التجريبيّة والتطبيقيّة الأخرى التي مهر فيها العلماء فتجاوزت شهرتهم بها بلاد الأندلس.

خامسا – الأهمية والأهداف:

تظهر أهمية الموضوع في:

– توضيح دور التعليم في رفع مكانة الأندلس حضاريا بين الأمم.

– النشاط الدؤوب لحركة التعليم بدءا من عصر الخلافة، واستمرار ذلك النشاط إلى عصر ملوك الطوائف الذي تميّز بالضعف والتمزّق، إلاّ أنّ الملوك ظلّوا داعمين للتعليم، مناصرين للعلماء.

– إبراز البيئة الملائمة لطلبة العلم في أرض الأندلس حتى صارت قبلة العلماء العاملين، والطلبة المثابرين، فبدت البلاد جامعة لكلّ مهتمّ بالعلم والمعرفة، مقصد الأوربيين الذين دفعوا بأبنائهم للتعلّم من جامعة قرطبة وعلمائها.

– التواصل الكبير بين طلبة العلم ومعلّميهم الموسوعيين الذين اعتمدوا مناهج راقية في التعليم صارت مضرب الأمثال، نتج عنها علماء ومفكّرين وكتّابا ذاع صيتهم في الأندلس كلّها، بل وبلغت شهرتهم مشارق الأرض ومغاربها، ولا تزال آثارهم شاهدة عليهم إلى يوم النّاس هذا.

وأمّا الهدف من البحث فيكمن في:

تأكيد دور الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، في إخراج تلك الأرض التابعة لأروبا من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وذلك بتشجيع التعليم بين أهل تلك البلاد دون تمييز بينهم، فما لبثت أن تحولت الأندلس بفضل حكامها وعلمائها إلى أرض يضرب إليها أكباد الإبل طلبا للعلم والتعلّم.

سادسا – الدراسات السابقة:

رغم قلّة الدراسات المخصّصة لموضوع التعليم في بلاد الأندلس إلاّ أنّني اعتمدت على بعضها والذي استفدت منه خلال قراءتي الأولية وبنيت عليه طريقة بحثي وأخصّ من بين تلك الدراسات:

1- عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الأوتونوما، مدريد، قسم التاريخ الوسيط، 18مارس1980، وهي من الدراسات الهامة في تشخيص حالة التعليم ببلاد الأندلس استفدت منها في غالبية مراحل البحث خاصة في الفصل التمهيدي الذي تطرّقت فيه للبوادر الأولى للحركة التعليمية في الأندلس قبل إعلان الخلافة الأموية، ناهيك عن الفصل الأول الذي عرضت فيه العوامل المساعدة على تطوّر التعليم في عصر الخلافة، كما استفدت منه في الفصل الثاني عند تطرقي لمراكز التعليم، طرقه، والمناهج المتبعة في المراحل التعليمية.

2- ميلود بن حاج: **التربية والتعليم في الأندلس من عصر الإمارة الأموية إلى عصر ملوك الطوائف (138–479هـ/756–1086م)**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه، التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، (1436–1437 هـ/2015–2016م) والتي اعتمدت عليها في الفصل التمهيدي عند تحديد مصطلحات التعليم بناء على تعاريف الأولين والمتأخرين، كما أفادتني الدراسة في الفصل الأول أين استنبطت منها العوامل المساعدة على تطور التعليم في عصر الخلافة، وكذلك اعتمدت على الدراسة في الفصل الثاني المخصّص لطرق التعليم ومناهجه، أين جعلت الرحلة مرحلة رابعة من مراحل التعليم، بعد اعتماد الدراسات السابقة على ثلاث مراحل أساسيّة.

3- سعد عبد الله صالح البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316–422هـ/928–1030م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، (1401– 1402هـ/1981–1982م)، استنبطت منها في الفصل الثاني

دور الخلفاء في بعث حركة التعليم في بلاد الأندلس، وأهمّيّة الكتب والمكتبات في حياة الأندلسيين، كما اعتمدت عليه كثيرا في ذكر الرحلة العلمية ومدى انعكاسها على التعليم وجودته في الأندلس.

4- سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422-488هـ/1030- 1095م)، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (1405-1406هـ/1985-1986م)، اعتمدت على الرسالة في الفصل الثاني أين تحدّثت عن العوامل المساعدة على تطور الحركة التعليمية في بلاد الأندلس، كما اعتمدته في ذكر دور الحواضر العلمية البارزة في عصر ملوك الطوائف.

5- خميسي بولعراس: **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف** (**400-479هـ/1009- 1086م**)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (1427- 1428هـ/2006- 2007م)، لجأت إلى الدراسة معتمدا عليها في الفصل الأول الذي خصصت محوره الثاني لتحديد العوامل المساعدة على تطور التعليم في عصر ملوك الطوائف، إضافة إلى الفصل الثالث الذي عيّنت فيه أهم العلوم المدرّسة في عصر الطوائف.

6- صلاح الدين وانس: **علماء الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف دراسة في أدوارهم العلمية والسياسية** (**422-479هـ/1030-1086م**)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص تاريخ وحضارة، جامعة الجزائر1، (1431-1432هـ/2010-2011م)، اعتمدت على الدراسة في الفصل الثاني تحديدا في نشاط الحواضر العلمية، فضلا على الفصل الثالث المتعلّق بأهم العلوم المدرّسة والحركية العلمية في بلاد الأندلس في عصر ملوك الطوائف.

سابعا – المناهج المتّبعة:

اعتمدت في دراستي على **المنهج التاريخي** الذي يتلاءم مع موضوع الدراسة، من حيث جمعها من النصوص التاريخية وتركيبها وتحليلها، فهو المنهج الأنسب لتقصّي الأحداث التاريخيّة، كما اعتمدت **المنهج الوصفي** المناسب لوصف المراحل التعليميّة والمناهج المتّبعة في التعليم، وطرق التدريس، مع عرض مراكز التدريس، وتقديم أهم العلوم المدرّسة.

ثامنا – قائمة لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في إنجاز المذكرة على مجموعة من المصادر والمراجع الحديثة، والتي ساهمت جميعها في رسم منهجية واضحة للبحث، وأخصّ بالذكر منها:

1- كتب التراجم:

- كتاب "**تاريخ علماء الأندلس**"، لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المعروف بابن الفرضي (ت:403هـ/1012م)، ويعدّ من أهمّ وأبرز الكتب التي ألّفت في علماء الأندلس، يجمع المصنّف تاريخ العلماء والمعلمين الأندلسيين منهم أو الذين رحلوا إليها واستوطنوها، وتعرّفت منه على الكثير من أولئك العلماء في جميع تخصّصاتهم ومجالاتهم، كما أشار إلى المعلّمين منذ عصر الإمارة إلى ما قبل عصر الخلافة، مشيرا إلى أهم المدارس والمذاهب الفقهية المنتشرة في بلاد الأندلس مثل مذهب الإمام الأوزاعي.
- كتاب "**طبقات الأمم**" لأبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت:462هـ/1069م)، يعدّ من أهم كتب التراجم التي أرّخت للمعلّمين في كلّ التخصّصات سواء النقلية منها كالفلسفة والمنطق واللغة، أو العقلية كالطبّ والصيدلة، والفلك والتنجيم، وقدّم عرضا لواقع العلم والتعليم من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف، مبيّنا موقف الأندلسيين الرافض لبعض العلوم كالفلسفة والمنطق والتنجيم، مبيّنا اهتمام أهل الذمّة ودورهم في تطوّر تلك العلوم.
- كتاب "**الصلة**" لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت: 578هـ/1183م)، حاول صاحب الكتاب التطرّق للأعلام الذين لم يتطرّق إليهم ابن الفرضي، خاصة العلماء الذين ذاع صيتهم بعد ابن الفرضي إلى غاية عصر ملوك الطوائف، مبيّنا دور النساء الأندلسيّات اللواتي نبغن في العلم، واشتهرن بدورهنّ في التعليم.
- كتاب "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" لأبي العباس أحمد بن القاسم المعروف بابن أصيبعة (ت:668هـ/1270م)، والذي أفادني في التعرّف على أهم الأطباء والصيادلة الذين اشتهرت بهم الأندلس تحديدا في عصر ملوك الطوائف، خاصة الذين لم يذكرهم من قبله صاعد الأندلسي.
- كتاب "**المغرب في حلى المغرب**" لابن سعيد المغربي (ت:685هـ/1286م) يتضمّن الكتاب تراجما لأهم الشخصيات في العصر الأموي بالأندلس، إلى غاية عصر الموحدين، ومن أهمية

الكتاب احتوائه على المواقع الجغرافية كالمدن الأندلسية، كما استفدت منه خاصة في تحديد تراجم بعض العلماء في عصري الخلافة وملوك الطوائف.

2- كتب التاريخ العام:

- كتاب "**تاريخ افتتاح الأندلس**" لأبي بكر بن القوطية (ت:367هـ/977م)، تتجلّى أهميّة الكتاب في عرضه لجهود الفاتحين في نشر الإسلام، وظهور البوادر الأولى للتعليم خاصة للكبار الذين تمّ تعليمهم أمور دينهم، مشيرا إلى بناء المساجد باعتبارها المدارس الأولى للتعليم، خاصة عصر الولاة في الفترة الممتدّة من (96هـ . 139هـ/714م . 756م).
- كتاب "**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**" لابن بسام الشنتريني (ت:542هـ/1147م)، يعدّ الكتاب موسوعة تاريخيّة تضمّن تراث القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، خلّد ابن بسام من خلال كتابه مآثر الأدباء والشعراء الأندلسيين، استفدت منه كثيرا من النّاحية الأدبية مركّزا على أهم العلماء والمعلّمين خاصة ما تعلّق بالمرحلة المدروسة في عصر ملوك الطوائف.
- كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذارى المراكشي (ت:712هـ/1312م)، اهتمّ فيه المؤلّف بذكر أخبار الأندلس من الفتح إلى غاية سنة (478هـ/1085م)، وأفادنا المصدر في ميدان التعليم بذكره لجهود الخلفاء في تطوير الحركة التعليميّة ببلاد الأندلس تحديدا فترة الخليفة الحكم المستنصر (350هـ . 366هـ/961م . 976م)، الذي أنشأ الكتاتيب، وعيّن عليها المؤدّبين لتعليم أبناء الفقراء، كما بيّن أهم مراكز التعليم منها المساجد والقصور.
- كتاب " **المقدمة**" لعبد الرحمن بن خلدون (ت:808هـ/1406م)، استفدت من الكتاب الشيء الكثير، فمنه بصرت تعريف التعليم، ومراحله، فضلا على المناهج المعتمدة في التدريس من فترة الكتاب إلى آخر مرحلة يتخصّصون فيها، كما بيّن طريقة التعليم التي اعتمدها أهل الأندلس والتي تقوم أساسا على تعليم القرآن الكريم، وكيف اعترض على طريقة التعليم لابن العربي رغم اعترافه بأهميّتها وجدّيتها لولا تحكم العادات في اختيار الطريقة التقليديّة، واستفدت من المقدّمة تعريفها للإجازة التي تمنح من كبار العلماء للطلبة، مع توضيحه لأنواع الإجازات المتداولة عند الأندلسيّين.
- كتاب "**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**" لشهاب الدين المقري (ت:1041هـ/1632م) من أجلّ المصادر التاريخيّة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تاريخ بلاد

الأندلس، إذ يحتوي الكثير من المعلومات القيّمة، بدءا من جهود الفاتحين في تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، مرورا بعصر الخلافة ودور الخلفاء في نشر التعليم والحرص عليه، انتهاء بعصر ملوك الطوائف ونشاط الحركة العلمية في الحواضر الأندلسية، وتطرّق المؤلّف إلى الإجازة وأهم العلماء الذين رحلوا إلى المشرق وعادوا بالزاد الوفير وتصدّرهم للتعليم، كما بيّن دور أهل الذمة في نشاط حركة التعليم خاصة اليهود منهم، فالكتاب مهم لمعرفة كلّ جوانب الحياة العلمية في بلاد الأندلس.

3- المراجع:

- كتاب "**التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**" لعبد الرحمن علي الحجي، وهو حصيلة تدريس تاريخ الأندلس لمدة فاقت عشر سنين، والذي اعتمدته في الفصل التمهيدي خاصة عند التطرّق لواقع التعليم في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي.
- كتاب "**التربية عبر التاريخ**" لصاحبه عبد الله عبد الدائم، أفادني الكتاب في تحديد مصطلح التعليم، ولجأت إليه في تحديد مفهوم التعليم عند العلماء الأولين والمتأخّرين، باعتبار أنّ الحديث عن تطوّر التعليم يتطلّب تحديدا دقيقا لمفهومه، ومن ثمّ كان لزاما عرض بعض المفاهيم المتعلّقة بمصطلح التعليم، وأهم العلماء الذين برزوا في هذا المجال ونظرياتهم المرتبطة بالتعليم.
- كتاب "**فجر الأندلس**" للكاتب والمؤرخ حسين مؤنس والذي خصّصه للحديث عن تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711م . 756م)، وهو ينقسم إلى اثني عشر فصلا، اعتمدته في الفصل الأول عند الحديث عن إسبانيا قبل الإسلام، وفي فصله الثالث الذي خصّصه للحديث عن فتح الأندلس، واعتمدته كذلك في فصله الرابع الذي تحدث فيه عن عصر الولاة، وهي عناصر كانت هامة وضرورية في الفصل التمهيدي.
- كتاب "**الكتب والمكتبات في الأندلس**" لحامد الشافعي دياب الذي استفدت منه في عرض الحياة العلمية وتطورها في الأندلس، فضلا على الحديث عن دور الكتب والمكتبات في تطوّر التعليم في المرحلة المحدّدة بالدراسة.
- كتاب "**شمس العرب تسطع على الغرب**" للكاتبة المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، وفي هذا الكتاب رؤية الكاتبة الغربية المنصفة للعالم الإسلامي، ودور الفاتحين في إعادة بعث الحركة العلمية في أوربا عموما وبلاد إسبانيا على وجه الخصوص، واعتبرت

العلم والمعرفة معجزة العرب التي حقّقوها في طريق الغرب المظلم، وركزّت في الكتاب الخامس على اهتمام العرب المسلمين بالتعليم سمح لهم بفتح العالم الأوربي الغارق في ظلام الجهل.

- كتاب "**تاريخ الفكر الأندلسي**" للكاتب أنخل جنثالث بالنثيا، وترجمة حسين مؤنس، أخذت من الكتاب دور الرحلة العلمية ومدى استفادة الأندلسيين منها، وبالكتاب العديد من ترجمات الأعلام الذين قدّموا للتعليم والعلم الشيء الكثير، مركّزا على مرحلة عصر الطوائف.
- كتاب "**التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**" للمستشرق الإسباني خوليان ربيرا، وهو كتاب لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة التعليم بالأندلس، والذي ركّز فيه على دراسة التعليم دراسة موسّعة بين المسلمين والإسبان، وكذلك أهمية الكتاب تظهر في تركيزه على المكتبات وعشاق الكتب في إسبانيا الإسلامية إذ ركّز في هذا الباب على ذكر أهم المكتبات وأسماء بعض المهتمين بجمعها سواء كانوا أمراء أو علماء.

تاسعا – الصعوبات:

– قصر المدة الزمنية للبحث، باعتبار أنّ الموضوع طويل يحتاج إلى وقت أكثر حتى يستوفي حقّة من الدراسة خاصة وأنّ الموضوع يشمل فترتين هامتين من تاريخ الأندلس.

– قلّة المصادر والمراجع الخاصة بالتعليم، فشح المادة وتناثرها بين سطور المصادر والمراجع يتطلّب البحث والتقصّي في عديد الكتابات ومنها كتب الفقه، والأدب، ورسائل العلماء المتنوعة.

– عدم التمكّن من اللّغة الإسبانية كان عائقا حال دون اطلاعنا على كثير من الدراسات المتخصّصة في مجال التعليم بأقلام إسبانية.

– قلة المصادر والمراجع الورقيّة دفعني إلى تنزيلها رقميّا (صيغة PDF)، ممّا جعلني أعتمد على جهاز الإعلام الآلي في كلّ مراحل الدراسة، وهو ما سبّب لي نوعا من الإرهاق.

وختاما أرجو أن أكون قد وفّقت في هذا العمل المتواضع، والذي عملت فيه جاهدا للإلمام بوضعية التعليم في أهم مرحلتين عرفتهما بلاد الأندلس وهما عصر الخلافة، وعصر ملوك الطوائف.

الفصل التمهيدي

التعليم وبداياته الأولى في الأندلس

المبحث الأول: تعريف التعليم وأهميته في حياة المسلم.

أولا ـ تعريف التعليم لغة واصطلاحا.

ثانيا ـ أهمية التعليم في حياة المسلم.

المبحث الثاني: واقع التعليم في إسبانيا قبل الإسلام.

أولا ـ لمحة تاريخيّة عن إسبانيا قبل الفتح الإسلامي.

ثانيا ـ واقع الثقافة والتعليم في عهد القوط.

المبحث الثالث: البوادر الأولى للحركة التعليمية في الأندلس قبل عصر الخلافة الأموية.

أولا ـ عصر الولاة (96 – 138هـ / 714 – 756م).

ثانيا ـ عصر الإمارة (138 – 316هـ / 756– 929م).

المبحث الأول: تعريف التعليم وأهميته في حياة المسلم.

أولا– تعريف التعليم لغة واصطلاحا.

1- لغة:

كلمة التعليم جاءت على وزن تفعيل، ومشتقّة من فعل: عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، وعلِمتُ الشيءَ أعلَمُهُ علماً أي عرفته، قال ابن بري: وتقول عَلِمَ وفَقِهَ أي تَعَلَّمَ وفَقَهَ، وعَلُمَ وفَقُهَ أي ساد العلماءَ والفقهاءَ، وعلِمَ الأمرَ وتعلّمَهُ أي أتقنه، وعلّمَهُ العلم وأعلَمَهُ إيّاه فتعلّمَهُ، وفرّق سيبويه بينهما فقال: عَلِمتُ كأذِنتُ وأعلَمتُ كآذَنتُ، وعلّمته الشيءَ فتعلّم[1]، وذكر أيضا أنّ التعليم في اللغة مشتق من (علم) العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدلّ على أثر بالشيء يتميّز به عن غيره، وتعلّمتُ الشيءَ إذا أخذتُ عِلْمَهُ[2]. وذُكِرَ في معجم المعاني الجامع: تَعلّمَ يَتعلَّمُ تَعلُّمًا فهو متعلِّمٌ والمفعول مُتَعَلَّمٌ، فنقول: تعلّمَ الأمرَ أي أتقنَهُ وعَرَفَهُ، ونقول علِمَ الرّجلَ: خَبَرَه، وأحبُّ أن يعلَمَه أي يَخْبُرَهُ[3]، وفي التنزيل:﴿وآخرين مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[4]. وذُكِرَ عَلَّمَ العِلْمَ وأعلَمَهُ إيّاهُ جعله يتعلَّمُهُ، والعالِمُ الذي اتّصَفَ بالعلمِ والجمع عُلاَّمٌ وعالِمونَ، والمعلِّمُ: من يتخذ مهنة التعليم، والمَعَلَّمُ: من له الحقّ في ممارسة إحدى المِهَنِ استقلالا وكان هذا اللقب أرفع الدّرجات في نظام الصُّنّاع كالنّجارين والحدّادين، والمعلّمُ: الملهَمُ الصواب والخير[5].

2- اصطلاحا:

عُرّف التعليم اصطلاحا بجملة من التعريفات، لا تختلف في مضمونها عن التعريف اللغوي، بل تشرحه وتبيّنه فأسهب الأولون والآخرون في ضبط معناه، فكانت جلّ تعريفاتهم موصلة لغايته حسب طبيعة الفترة المدروسة.

---

[1]- ابن بري عن ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د ت)، مج 09، ص 263.

[2]- ابن فارس (أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء): **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ت)، ج 04، ص 109.

[3]- وليد فريد ذيب شحادة: **المعجم الجامع**، أطروحة ماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003/1424، ص 529.

[4]- سورة الأنفال: الآية 60.

[5]- وليد فريد ذيب شحادة: المرجع السابق، ص 530 – 533.

فرأي سقراط (469 - 399 ق م) أن الفضيلة كلّها لا تحصل إلا بالتعليم فقال: "الفضيلة لا تكون إلاّ بالعلم"، فكان هدفه الأول أن يهدي إلى الفضيلة ويرشد لها عن طريق العلم والمعرفة[1].

وجاء تعريف **أبو حامد الغزالي**[2] (450هـ - 505هـ/1059م - 1111م) للمعلّم ودوره بشكل لطيف في قوله: "والمعلّم متصرّف في قلوب البشر ونفوسهم، وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس، وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه، والمعلّم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عزّ وجلّ"[3]. فغاية التعليم عند أبي حامد الغزالي هي مرضاة الله والتقرّب إليه، ولهذا الأمر يحرص على الاهتمام بتربية الأولاد باعتبارهم أمانات وجب الحفاظ عليها والاعتناء بها، فيقول: "أصل السّعادة في الدّنيا والآخرة هو العلم، فهو إذن أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تُعرف فضيلة الشّيء أيضا بشرف ثمرته، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من ربّ العالمين"[4].

وعدَّ أبو حامد الغزالي التعليم من أفضل الصّناعات وأشرفها بعد أن عدّد الصّناعات المختلفة وأهميتها للإنسان، فخلص إلى أنّ أجلّ صناعة تتمثّل في تأليف النّفوس البشريّة وإصلاح عقولها فقال: "وأشرف هذه الصّناعات أصولها، وأشرف أصولها السّياسة بالتأليف والاستصلاح، ولذلك تستدعي هذه الصّناعة من الكمال فيمن يتكفّل بها ما لا يستدعيه سائر الصّناعات، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصّناعة سائر الصنّاع"[5].

1- سقراط نقلا عن عبد الله عبد الدائم: **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1984، ص59.

2- **هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد يكنّى أبا حامد المعروف بالغزالي** ولد سنة (450هـ/1058م) في طوس، مع بداية العصر العباسي الثالث في ظل نشوب الصراعات بين الاتجاهات الدينيّة، درس الغزالي في صباه على عدد من العلماء منهم: الإمام أحمد الرزكاني، أبو نصر الإسماعيلي، وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني... واتصف بالذكاء وسعة الأفق مع شجاعة الرأي وحضور الذهن، كان فيلسوفا وفقيها وصوفيا وأصوليا، استقرّ في نيسابور فترة من الزمن حتى توفي إمامه الجويني عام (478هـ/1085م)، زار العديد من البلدان الإسلامية مثل بغداد والشام، وفي بيت المقدس ألّف كتاب الإحياء، وله العديد من المؤلفات أشهرها: إحياء علوم الدين، أسرار الحج، إلجام العوام عن علم الكلام، تهافت الفلاسفة، أيها الولد... توفي في 14 جمادى الآخرة 505هـ الموافق 19 ديسمبر 1111م. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): **سير أعلام النبلاء**، تح: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفاء، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م، ج19، ص327. أبو حامد الغزالي(محمد بن محمد الطوسي): **إحياء علوم الدين**، تح: أبو الفضل العراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ج1، ص06 –07.

3- أبو حامد الغزالي: المصدر السابق ، ج1، ص23.

4- المصدر نفسه: ج1، ص22.

5- المصدر نفسه: ج1، ص 22 – 23.

وخصّص **عبد الرحمن بن خلدون**[1] (732هـ - 808هـ/ 1332م - 1406م) جزءا من المقدّمة للحديث عن التّعليم إذ يرى أنّ التّعليم هو حصول الفكر (العقل) على شيء لم يكن حاصلا عليه من قبل، وهذه الأشياء التي يتحصّل عليها ليست طبيعيّة فلا تولد مع الإنسان، وإنّما هي مكتسبة ويتمّ الحصول عليها شيئا فشيئا لأن الفكر دائم الحركة يفكّر في الحياة والميعاد وهي أمور تستدعي تحصيل ما ليس لديه، ولأجل هذا تنشأ العلوم والصّنائع، ويبدأ العلم بالإدراك ثمّ يتطوّر إلى المعرفة التي تنمو وتتطوّر حتّى تصبح علما، والعلوم عند ابن خلدون صنفان: صنف طبيعيّ يهتدي إليه الإنسان بفكره، وصنف نقليّ يأخذه عمّن وضعه[2].

كما يعتبر ابن خلدون أنّ "العلم والتّعليم طبيعيّ في البشر لأنّ الإنسان يتطلّع دائما إلى تحصيل ما يفوته من المدارك ويرجع فيها إلى من سبقه بعلم أو إدراك أو خبرة، وهذا هو منشأ التّعليم الذي يزدهر وينمو حيث يكثر العمران وتزدهر الحضارة"[3]، فمتى أشبع أهل العمران حاجاتهم الأساسيّة من مأكل ومشرب وغيرها انصرفوا إلى "ما وراء المعاش من التّصرّف في خاصيّة الإنسان وهي العلوم والصّنائع"[4].

ويرى ابن خلدون أنّ التّعليم "صناعة من جملة الصّنائع"[5]، وهو بذلك يشترك في اعتبار التّعليم نوع من الصّناعات مع أبي حامد الغزالي الذي يرى التّعليم أشرف الصّناعات، فبعد أن عدّ جملة من الصناعات قال: "... فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوّة إفادة العلم"[6].

---

[1]- **أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون**، ولد بتونس سنة (732هـ/1332م)، هو الفقيه والأديب والفيلسوف والمؤرّخ والرحالة المشهور، له إسهامات فكرية متعددة، خلّف العديد من المؤلّفات منها: المقدّمة، تاريخ ابن خلدون، توفي بتاريخ (808هـ/1406م). السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، ج4، ص145.

[2]- ابن خلدون: **المقدمة**، المطبعة الأدبية، ط3، بيروت، 1900، ص429 – 430.

[3]- المصدر نفسه: ص430

[4]- المصدر نفسه: ص430

[5]- المصدر نفسه: ص430

[6]- أبو حامد الغزالي: المصدر السابق، ج1، ص13.

ويضيف ابن خلدون أمرا جدّ مهمّ وهو أن التّعليم ليس موهبة فطريّة وإنّما ملكة يحصل عليها الإنسان ويكتسبها حسب ميوله الذّاتية التي تدفعه للبحث والتّعلّم وكذا تحكّم الظّروف البيئيّة التي تشجّعه على التّعليم واكتسابه[1].

كما أنّ للمتأخرين مفاهيم أكثر وضوحا وتأصيلا لمصطلح التّعليم منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ) هو عملية تغيير شبه دائم في سلوك الفرد لا يلاحظ بشكل مباشر ولكن يُستدل عليه من السّلوك ويتكوّن نتيجة الممارسة كما يظهر في تغيير الأداء لدى الكائن الحي[2].

ب) هو نشاط تواصليّ يهدف إلى إثارة دافعية المتعلّم وتسهيل التّعليم، ويتضمّن مجموعة من النّشاطات والقرارات التي يتخذها المعلّم أو الطّالب في الموقف التّعليمي كما أنّه علم يهتمّ بدراسة طرائق التّعليم وتقنياته بأشكال تنظّم مواقف التّعليم التي يتفاعل معها الطّلبة من أجل تحقيق الأهداف المنشودة، والتّعليم كذلك تصميم مقصود أو هندسة للموقف التّعليمي بطريقة ما بحيث يؤدّي ذلك إلى تعلّم أو إدارة التّعلم التي يشرف عليها المدرّس[3].

ج) التّعليم نشاط تواصليّ يهدف إلى إثارة المتعلّم وتحفيزه وتسهيل حصوله للعلم، حيث إنّه مجموعة الأفعال التواصليّة والقرارات التي يتمّ اللّجوء إليها بشكل قصدي ومنظّم، أي يتمّ استغلالها وتوظيفها بكيفيّة مقصودة من طرف شخص أو مجموعة أشخاص، فهو عمليّة تنمية معرفيّة للفرد لا تحتاج إلى هدف وظيفيّ محدّد ومن خلالها يتمّ تنمية القدرات الفكريّة والتّطبيقيّة بشكل عام، كما أنّ التّعليم طريقة لنقل العلم والمعارف والثّقافات والحضارات والاتجاهات معتمدة على التّلقين أو التّفهيم للأشخاص بطريقة نظرية[4].

د) التّعليم اكتساب المعلومات، أو المهارات، أو العادات، والقيم، والأخلاق، أو غير ذلك سواء كانت عقليّة، أو يدويّة، أو بدنيّة، واختصارا فإنّ التّعليم هو: "كلّ نشاط تمّت برمجته مسبقا بهدف تسهيل التّعليم لدى المتعلّم"[5].

---

[1]- عبد الله عبد الدائم: المرجع السابق، ص246.

[2]- أنور محمد الشرقاوي: **التعليم نظريات وتطبيقات**، مطبعة محمد عبد الكريم، القاهرة، (دت)، ص 11 - 12

[3]- عبد الحي السبحي ومحمد القسايمة: **طراق التدريس العامة وتقويمها**، درا حوارزم العلمية، ط1، جدة، 2010، ص 32.

[4]- محمود عبد الفتاح: **نظريّة التدريب**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، 2013، ص 16-17.

[5]- ميلود بن حاج: **التربية والتعليم في الأندلس من عصر الإمارة الأموية إلى عصر ملوك الطوائف (138 ـ 479هـ/756 ـ 1086م)**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 1436هـ ـ 1437هـ/ 2015م ـ 2016م، ص17.

وثمّة علاقة ترابط بين مصطلح التّعليم والتّعلّم، فالتّعليم هو العمليّة والإجراءات، بينما التّعلّم هو نتاج تلك العمليّة، فمهمّة المعلّم أنّه ينقل لطلاّبه المعارف ويكوّن لديهم مفاهيم مضبوطة، كما يكسبهم العديد من القيم والمهارات المختلفة، فمهمّة المعلّم في إحداث التغيّرات العقلية والوجدانيّة لطلابه تعرف بعمليّة التّعليم.

ثانيا – أهميّة التّعليم في حياة المسلم:

إنّ أول ما دعا إليه الإسلام في تشريعه هو طلب العلم الذي نزلت به أول الآيات القرآنية في قول الله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (2) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (3) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾[1].

وتعدّدت الآيات الدّالة على العلم وتعلّمه منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (31) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (32)﴾[2].

وقال عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3].

وقال عزّ من قائل: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[4].

---

[1]- سورة العلق: الآيات 1 - 5.

[2]- سورة البقرة: الآيات 30 - 32.

[3]- سورة آل عمران: الآية 07.

[4]- سورة النساء: الآية 113.

كما جاءت الأحاديث النبويّة الشريفة داعمة للقرآن الكريم في الحثّ على طلب العلم والترغيب فيه، فقد روي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت النّبيّ صلّ الله عليه وسلّم يقول: «من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدين»[1].

وجاء في حديث أبي أسامة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنّة»[2].

وعن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ قال: حديث بلغني أنّك تحدّثه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا ما جئت إلاّ في طلب هذا الحديث، قال: فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنّة وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإنّ العالم ليستغفر له من في السّماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإنّ العلماء ورثة الأنبياء وإنّ الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما إنّما ورّثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظّ وافر»[3]، فقول النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «العلماء ورثة الأنبياء» دليل واضح على شرف العلم والتعلّم، والمكانة التي يحظى بها العالم في الإسلام فلا درجة فوق النّبوّة، ولا شرف يعلو شرف وراثة تلك الدرجة الرّفيعة والمكانة السّاميّة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: « ألا إنّ الدّنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله وما والاه وعالم أم متعلّم »[4].

وعن أبي أمامة الباهليّ قال: ذكر لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثمّ قال

---

[1]- البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري): **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق، 1423هـ/2002م، الحديث رقم:71، ص 30.

[2]- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): **الجامع الكبير(سنن الترمذي)**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996، الحديث رقم:326، ج4، ص 385.

[3]- المصدر نفسه: الحديث رقم:2682، ج4، ص414.

[4]- المصدر نفسه: الحديث رقم:2322، ج4، ص151.

عليه الصلاة والسلام: إنّ الله وملائكته وأهل السّماوات والأرضين حتى النّملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلّم النّاس الخير»[1].

وممّا ذكر أنّ معاذ بن جبل قال في التعليم والتعلّم: "تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصّاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والصبر على السّرّاء والضّرّاء، والوزير عند الأخلاّء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنّة، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يُقتدى بهم، أدلّة في الخير، تقتصّ آثارهم، وترمق أفعالهم، وترغب الملائكة في خلّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وكلّ رطب ويابس لهم يستغفر، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البرّ وأنعامه، والسّماء ونجومها، لأنّ العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم وقوّة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى، والتفكّر فيه يعدل الصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عزّ وجلّ، وبه يعبد، وبه يوحّد، وبه يمجّد، وبه يتورّع، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السّعداء، ويحرمه الأشقياء"[2].

وصدق الإمام عليّ كرّم الله وجهه حين أنشأ قائلا[3]:

ما الفخر إلاّ لأهل العلم إنّهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاّء

وقدر كلّ امرئ ما كان يحسنه *** والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حيّا به أبدا *** النّاس موتى وأهل العلم أحياء

وممّا سبق ذكره يتبيّن أنّ الإسلام أولى أهميّة بالغة للعلم وطلبه، وهو التّفسير الواضح لسيادة المجتمع المسلم في فترات زمنية طويلة، يوم كان التّركيز موجّها إلى تنمية الفكر وتطويره، مع تشجيع الإبداع ودعمه، فلا مكانة للمسلم بعيدا عن طلب العلم الذي عَدّه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فريضة في قوله: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم»[4].

---

[1]- الترمذي: المصدر السابق، الحديث رقم:2685، ج4، ص 416.

[2]- أبو حامد الغزالي: المصدر السابق، ج1، ص 20.

[3]- المصدر نفسه: ج1، ص13. محمد عبد المنعم خفاجي: **ديوان الإمام علي**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1997، ص01.

[4]- ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني): **سنن ابن ماجة**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (دط)، (دت)، الحديث رقم:224، ج1، ص 81.

ويمكن أن أبيّن أهميّة التّعليم في الإسلام معتمدا على شرح وتبسيط قدّمه الدكتور أحمد درويش عبد السيّد لخّصته في النقاط التالية[1]:

- أول أهمية تتحقّق للفرد المسلم من التّعليم الوصول إلى رضا الله تعالى وتحصيل الأجر والثّواب مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »[3].
- يعدّ التّعليم أساس تطوّر الأمم وبناء حضارتها، ولا يتحقّق ذلك إلاّ ببناء الفرد وتثقيفه، ففي التّعليم إرضاء لله تعالى كما سبق ذكره، وخدمة للمجتمع، وللبلد الذي نعيش فيه.
- إنّ المجتمعات النّاجحة هي التي تقوم على مقوّمات ودعامات أساسيّة أهمّها دعامة العلم والعناية بأهله، ومنه ظهر التّفضيل بين المسلم المتعلّم وغير المتعلّم في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4].
- يعدّ التّعليم أهمّ عنصر في الحياة والتي تحدّد للإنسان قيمة وجوده، وهو ما يمكّنه من التّعرّف على حقيقة الكون من حوله.

وعليه يمثّل التّعليم الطّريق الوحيد للوصول إلى الحقائق، فلا تتحقّق المعرفة إلاّ بفرد متعلّم راغب في الفهم والبحث، وإن لم يصل أحيانا إلى ما يرجوه ويرغب في بلوغه كون الحقائق العلمية متطوّرة وقابلة للبحث المستمرّ والذي يتجاوز أحيانا العقل البشري مصداق قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5].

---

[1]- أحمد درويش عبد السيّد: **تركة المصطفى وشريعة الإسلام "التعليم في الإسلام"**، مقال دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2020/09/12، آخر زيارة 2023/03/27، سا 11:30.

[2]- سورة المجادلة: الآية 11.

[3]- الترمذي: المصدر السابق، الحديث رقم:2647، ج4، ص 386.

[4]- سورة الزمر: الآية 09.

[5]- سورة الإسراء: الآية 85.

المبحث الثاني: واقع التعليم في إسبانيا قبل الإسلام.

أولاـ لمحة تاريخيّة عن إسبانيا قبل الفتح الإسلامي:

ميّز القرن الخامس الميلادي سيطرة القوط الغربييّن على إسبانيا بعد طردهم للوندال[1]، وهم قبيلة متوحشّة كغيرها من القبائل التي اجتاحت ممالك الإمبراطوريّة الرومانيّة المتهالكة[2]، كانت إسبانيا عندما دخلها القوط[3] "منحلّة العرى، غارقة في ألوان من الترّف الفاجر، والنّعيم الذي يسلب الرّجولة"[4].

فالمجتمع منقسم إلى فئة غنيّة تغرق في الترّف والشّهوات، حتّى كأنّها لم تخُلق إلاّ للطّعام والشّراب واللّهو والقمار، وكلّ ما يثير النّفس ورغباتها، وفئة ثانيّة تشمل العبيد وخدّام الأرض الذّين يُنهكون أنفسهم لزراعتها، وبين الفئتين كانت فئة ثالثة يمثّلها سكّان المدن وهم الطّبقة الوسطى والتي كانت تعاني أصعب ظروف العيش فعليها يقع عبءُ الإنفاق على الدّولة، وعليها يقع جمع الضّرائب، فهم يجمعون الأموال للأغنياء لينفقوها على بذخهم ومَلهاتهم، فكانت هذه الفئة ساخطة لتحملّها تكاليف الدّولة الكبيرة إذ يقع عليها الغُرم دون أن يلحقها الغُنم، أمّا العبيد فلا يأبهون لأمر الدّولة ومن يحكمها، فحياة البؤس التي يعيشونها قتلت في نفوسهم الولاء إلاّ للأرض التي يخدمونها، وأمّا النّبلاء بما فيهم الطّبقة الحاكمة ورجال الكنيسة الذّين يشاركون النّبلاء حكم البلاد والاستمتاع بخيراتها، فكانوا يعيشون في برج عالٍ لا يرون منه واقع المجتمع ومأساته[5].

[1]- **الوندال**: من الشعوب الجرمانية الشرقية، وهم قبائل تعرف بالوحشيّة وكلمة (Vandalism) في اللغة الإنجليزية تعني همجية، وحشية، وتخريبا، وهي تعني كذلك أسلوبا بدائيا وغير حضاري، ويرجع اسم الأندلس إلى أصولهم الفانداليس (Vandales) فقالوا: فاندالسيا، أوفاندالوزيا. محمد كرد علي: **غابر الأندلس وحاضرها**، المطبعة الرحمانيّة، مصر، 1923، ص13.

[2]- علي الجارم بك: **قصّة العرب في إسبانيا**، مكتبة المعارف، مصر، (د ت)، ص05.

[3]- **القوط**: (Gothes) أكثر القبائل الجرمانية عددا وأشدّهم خطرا من أصول اسكندنافية، ظنّ البعض أنّهم ينحدرون من مأجوج بن يافت، مع مطلع القرن الثالث الميلادي انقسموا إلى شرقيين وغربيين يفصل بينهما نهر دنيستر، القوط الغربيون دخلوا إسبانيا عام 414م بقيادة الملك آتوف واتخذوا من طليطلة عاصمة لهم. صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912، ص63. إبراهيم علي طرفان: **دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى(دولة القوط الغربيين)**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1958، ص32.
Jordanes ,The Gothic history,transby,Cristopher,CH,Princeton university press,1915,p 52/56.

[4]- علي الجارم بك: المرجع السابق، ص07.

[5]- عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، ط2، 1987، ص 25 - 26.

تلك حال إسبانيا في عهد الوندال الذّين أوصلوا البلاد إلى حالة يُرثى لها بسبب سوء تسييرهم، فانعدمت العدالة الاجتماعيّة، وساءت حالة العيش في البلاد التي باتت مستهدفة لأي غزو خارجي، فلم يجد القوط صعوبة في الوصول إلى أبواب إسبانيا المتلاشية المتفكّكة، وشعارهم إصلاح الأوضاع ببسط العدالة الاجتماعية وإصلاح ما أفسده غيرهم في البلاد، ومن الطّبيعي أن تلقى الفكرة الترحيب والتأييد من قبل السّواد الكبير في المجتمع الذي ضاق ذرعا من سوء الأحوال فلم يعد يميّز بين ملك وآخر، فهمّه الأساس هو إصلاح ما أفسده الدّهر، واستعادة كرامة العيش في أمان وهو ما لم يحقّقه النّظام الجديد في إسبانيا، إذ "ظلّت الأرستقراطيّة الرومانيّة القديمة على عهدها من الغنى والسّيطرة على النّاس، وظلّ الأحرار من أهل المدن والتّجار وأصحاب المزارع الصّغيرة يعيشون تحت رحمة الأقوياء في حال هي وسط بين الحريّة والرّق، وظلّت بقيّة أهل البلاد رقيق أرض أو عبيدا يَشقَوْن في سبيل الأقليّة الغنيّة المسيطرة"[1].

وممّا زاد الوضع سوءا تلك الخلافات والصّراعات التي بدأت مظاهرها تتجلى في أرض الواقع، منها الخلاف الدّيني الذي ظهر بين القوط المسيحيين الآريوسيين وسكان البلاد الكاثوليك، إذ لا يعتقد الآريوسيون[2] في ألوهيّة المسيح، ولا يعترفون للقساوسة بحقّ الوساطة بين الله والنّاس، ولا يجعلون للعذراء مكانا في العقيدة، وهو ما جعل السّكان ينفرون من حكمهم بتحريض ودعم من القساوسة الذّين رأوا فقدان امتيازاتهم ونفوذهم في ظلّ النّظام الجديد لبلادهم، هذا التّنافر لم يكن ليثبّت نظام حكم القوط في إسبانيا فكان من الضّروري لحكامهم الانصياع لمذهب عامة السّكان وكان ذلك فعلا في عهد الملك (ريكاريدو – Recaredo)[3] الذي اعتنق الكاثوليكية سنة(587م)، وألزم أفراد

[1]- حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص 33.

[2]- **الآريوسيون**: نسبة إلى أريوس الإسكندري (ت:336م)، أول من أثار الجدل حول طبيعة المسيح، وقرّر بأنّ المسيح وإن اتصف بالألوهية إلّا أنّه مخلوق بأمر الإله الأب وهو لذلك أقلّ مرتبة منه، لقيت هذه العقيدة استنكار مجمع نيقيا الذي عقد سنة (325م)، إبراهيم علي طرفان: **دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى . دولة القوط الغربيين**، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص44.

[3]ـ **الملك ريكاريدو**: هو ابن آخر ملوك القوط الغربيين الآريوسيين، (ليوفيجيلد– Liuvigild) (568م ـ 586م)، حارب الكاثوليكيين طول حياته، ثمّ خلفه ابنه (ريكاردو Recaredo)، الذي استبان أن لا صلاح لدولة القوط في إسبانيا، إلاّ بتخلّي ملوكها عن المذهب الآريوسي، أعلن في مجمع طليطلة الدّيني سنة (587م) عن اعتناق الكاثوليكية التي صارت الديانة الرسمية لإسبانيا من ذلك الوقت. محمود شيت خطّاب: **قادة فتح الأندلس**، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر والتوزيع، دمشق، 1424هـ/2003م، ص 128.

عائلته ومقرّبيه بذلك، إذ رأى أنّ إصلاح دولة القوط لن يكون إلاّ بالتخلي عن الآرية، فاتخذ قراره الجريء الذي حوّل إسبانيا إلى دولة كاثوليكيّة [1].

وممّا زاد إسبانيا ضعفا وتقهقرا التنافس على كرسيّ العرش خاصة في عهد (غيتشة ـ Witizu)[2] الذي اعتلى العرش سنة 700م، وشهدت مرحلته عدم الاستقرار، خاصة بعد أن أبدى ليونة وإنصافا لعامة النّاس من استبداد النّبلاء، هذا الموقف كان كفيلا بتحالف النّبلاء عليه وتدبيرهم محاولات الإيقاع به دون جدوى، وكانت وفاة الملك (غيتشة) الطبيعيّة سنة (708م) سببا أجّج نطاق الصّراع والتّنافس في خلافة الملك المتوفى، وقد ظهر ذلك الخلاف حتّى داخل الأسرة الحاكمة، رغم أن الملك قد أوصى بالعرش من بعده لابنه الصبيّ (أخيلا – Achila)[3] الذي وجد معارضة واسعة لكبار القوط الرّافضين لحكم الصّبيّ، وتقديمهم (لذريق– Rodrigo)[4] بديلا عنه، وكان الأمر كذلك إذ اعتلى (لذريق) عرش إسبانيا سنة (710م)[5]، بعد تراجع أبناء غيتشة ومن يدعمهم ولجوئهم إلى شمال إفريقيا، فصودرت أملاكهم باعتبارهم ثائرين على نظام الحكم كما تقضي بذلك القوانين، ليبدأ

1- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص: 18-21.

2- **غيتشة**: أو غَيطَشَة (Witizu) اعتلى العرش في نوفمبر سنة (700م)، لا تعرف حقيقته فالنصوص متضاربة حول شخصيته، وغالبية النصوص الإسبانية تثني عليه، حاول جهده إصلاح الأمور، مال إلى إنصاف النّاس من استبداد النّبلاء، فحاول النّبلاء الانقلاب عليه وشنّوا عليه ثورات في نواحي المملكة، ولما تقدّم به العمر أرغمته زوجته أن يتنازل عن العرش لابنه آخيلا فأقامه حاكما على الولايتين النّاربورنية والطكونية، فكان هذا الإجراء حافزا للطامعين في العرش لمضاعفة الجهد في القضاء على حكم غيتشة. محمود شيت خطّاب: المرجع السابق، ص130.

3- مات غيتشة ميتة طبيعية أواخر (708م)، أو بداية (709م)، كانت كل الطوائف تنتظر موته، ومن بينهم أفراد العائلة المالكة خاصة زوجته وأخوه أوبة (oppa) ان أسقفا لإشبيلية، وثلاثة من بنيه: أخيلا، ألمند، وأرطباس، لم يرض نفر من كبار القوط الخضوع لصبي مثل أخيلا، فدارت رحى الحرب بين المتنافسين، ففرّت الملكة وابنها من طليطلة، لتستمرّ الفوضى سنة ونصف السنة، تكون ممهدة لبروز لذريق واعتلائه سدة الحكم بتزكية من كبار القوط وأعيانهم، مع فرار أبناء غيتشة نحو الجنوب بشمال إفريقيا مترقبين الأوضاع و الظروف التي ينتقمون فيها لضياع عرش أبيهم، وسيقدّمون يد الدعم للفاتحين المسلمين انتقاما من لذريق وأتباعه. محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص131.

4- **لذريق**: آخر ملوك القوط الغربيين في شبه الجزيرة الإيبيرية، لم يكن في الأصل من العائلة الملكية، وإنّما كان من عمال المملة بقرطبة، انتزع الحكم من الملك غيطشة. ابن الأثير(أبو الحسن علي): **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1400هـ/1980م، ج4، ص266.

5- الحميري (محمد بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص34.

عهد جديد لهم بالتنسيق مع الفاتحين ودعمهم لدخول أرض إسبانيا والإطاحة بالملك المغتصب للشرعيّة[1].

ولقد شخّص المستشرق الهولنديّ **رينهرت دوزي** حالة إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي بقوله: "كانت إسبانيا وقد تطلّعت إليها أنظار المسلمين شديدة الضعف، ميسرة تماما على من يغزوها، ويرجع ذلك إلى ما كان عليه مجتمعها من وضع مؤلم، يتّسم بالوهن الذي لم يكن جديدا عليها بل كان متأصّلا فيها منذ وقت بعيد، فلم تكن تفترق في شيء ــ أيّام كانت ولاية رومانيّة ــــ عن بقيّة الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية أيّام كانت تحت حكم القياصرة الأواخر من حيث الوضع المحزن، حتى ليقول أحد كتّاب القرن الخامس للميلاد: إنّه لم يعد للإمبراطوريّة من كلّ ما كانت تملكه سوى الاسم، أضف إلى هذا أنّنا نجد فيها قلّة من الأثرياء يملكون مساحات شاسعة من الأراضي المعروفة باسم (لاتيفونديا) شبه الإقطاعيّة، وتقوم إلى جانبهم فئة ضخمة من البرجوازية المنهارة والعبيد ورقيق الأرض، على أنّ الأثرياء وأصحاب الامتيازات وجميع الذين يشغلون المناصب السّامية في الإمبراطوريّة وهم الذين انفردوا وحدهم دون سواهم بأن يسمّوا بالأمراء، والذين كانوا ينفردون بأن تساق إليه ألقاب الشرف، وكان هؤلاء كلّهم معفون من جميع أنواع الضرائب التي تحمّلت عبأها الطبقة الوسطى وحدها، كما كان هؤلاء المتميّزون يتقلّبون في مطارف النّعيم، ويعيشون عيشة التّرف والبلهنيّة فيسكنون القصور المطلّة على الأنهار الجميلة، والواقعة على سفوح تلال تلاصقها كرمات العنب وأشجار الزّيتون، وحيث يقضي أصحابها أيّامهم في اللّهو والسّباحة والمطالعة والقنص والولائم"[2].

هكذا كان حال إسبانيا قبل الفتح الإسلاميّ، واقع اجتماعيّ متدنّي، تميّزه الطبقيّة، واستغلال عامة الشّعب لخدمة الملك وحاشيته من النّبلاء ورجال الكنيسة. فضلا على الصراع القائم على السّلطة، فكانت كلّ الظّروف والمؤشرات توحي بواقع إسبانيّ داخليّ غير مستقرّ، بل وقابل في أيّ لحظة للتغيّر رغم أنّ الدّولة كانت تمتلك قوة عسكريّة تمكّنها من الدّفاع عن البلاد وحدودها إلاّ أنّ القوة وحدها لم تكن كافية للحفاظ عن الدّولة في ظلّ هشاشة واقعها السّياسيّ والاجتماعي[3]، فلقد كانت الإمبراطورية الرومانية ذات قوة عسكرية وحضور سياسيّ، لكنّها تهاوت عندما فقدت المثل الأخلاقية والعدالة الاجتماعية، كان لتلك الأوضاع تأثير بالغ على الوضع الثقافيّ عموما، وعلى

[1]- عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي**، ص30 – 31.

[2]- رينهرت دوزي: **المسلمون في الأندلس**، تر، تع: حسن حبش، هيئة الكتاب، مصر، ج 1، ص27.

[3]- ستانلي لين بول: **قصّة العرب في إسبانيا**، تر: علي الجارم، مؤسسة هنداوي، 2012، ص 17 - 18.

التّعليم بصفة خاصة في بلد كان همّ الفرد فيه ضمان لقمة العيش إن لم نقل ضمان حقّ العيش فيه، وكما يرى الإسبان أنفسهم أنّ القوط كانوا أقلّ إنسانية من الطوائف البربريّة الأخرى إذ احتفظوا بمساوئ النّظام القديم وأضافوا عليه مساوئهم فعمّ البلاء في إسبانيا، فكانت أرضها ممهّدة لأي حركة خارجيّة تنقذها ممّا هي فيه، وكان لشعبها قابلية لمن يخرجه من براثن العبوديّة والاستغلال[1].

ثانيا – واقع الثقافة والتعليم في عهد القوط.

1- تأثير الوضع الاجتماعي على الواقع الثقافي في عهد القوط:

الحديث عن الواقع الثقافي في إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي لا يمكن معالجته بعيدا عن الحياة الاجتماعية التي كان عليها السّكان، فحياة المجتمع تبرّر إلى حدّ كبير رؤيته للحياة الثقافية، وفي حقيقة الأمر نجد نظرة المؤرّخين للموضوع متباينة، إذ يلاحظ تعصّب المؤرخين الإسبان للفترة المدروسة فهم يرون أنّ المجتمع كان يعيش رخاء ظاهرا في كلّ مناحي الحياة، ويؤكّدون أنّ العصر كان عصر "نهضة إسبانيّة مسيحيّة"[2]، والتعصّب في حقيقة الأمر مبرّر ومعروف السّبب باعتبار أنّ المؤرّخين الإسبان يريدون التّأكيد على أنّ النّهضة التي عرفتها بلادهم لم تكن وليدة العهد الإسلامي، وإنّما سبقتها نهضة مسيحيّة مهّدت الطريق لنشر المسلمين فكرهم ومشروعهم الحضاريّ، وكأنّي بأولئك المؤرّخين يتحرّجون من تاريخ إسبانيا قبل الفتح الإسلامي، وبالمقابل تبيّن كتب المسلمين واقعا مخالفا تماما لنظرة المؤرخين الإسبان، إذ يبيّنون حالة اجتماعيّة مغايرة تماما ميّزت أوروبا في العصور الوسطى ابتعدت فيها عن "النظافة والعناية بالإنسان والمكان"[3].

ونقلا عن صاحب المسالك والممالك يذكر الرحّالة الأندلسيّ إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي في القرن الرابع الهجريّ والعاشر الميلادي، الذي يصف بلد جلّيقيّة[4] شمالي الأندلس بأنّهم: "أهل غدر ودناءة أخلاق، لا يتنظّفون، ولا يغتسلون في العام إلاّ مرّة أو مرّتين بالماء البارد، ولا

[1]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 37.

[2]- المرجع نفسه: ص 36.

[3]- عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي**، ص15.

[4]- **جليقيّة**: بلدة قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب، ومصب نهرها في المحيط، وصلها موسى بن نصير لما فتح الأندلس، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير أهلها. الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي): **معجم البلدان**، دار صادر، ط2، بيروت، 1995، ج2، ص157.

يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تتقطع عليهم، ويزعمون أنّ الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم، وتصحّ أبدانهم"[1].

هذا الوصف وحده كاف لشرح حالة المجتمع الصّعبة التي كانت تعيشها العامة، فكيف تتفرّغ مثل هذه الشّعوب للثّقافة والتّزوّد بالعلم وهي تعيش أصعب ظروف الحياة؟ وممّا يزيدنا قربا للواقع المزري الذّي يعرفه سكّان أوربا في تلك الحقبة الزّمنيّة ما وصفه صاعد الأندلسي لبعض سكان تلك البلاد قائلا: "فهم أشبه بالبهائم منهم بالنّاس، لأنّ من كان منهم موغلا في بلاد الشمال ما بين آخر الأقاليم السّبعة التي هي نهاية المعمورة في الشّمال، فإفراط بُعد الشّمس عن مسامة رؤوسهم، برّد هواءهم، وكثّف جوّهم، فصارت لذلك أمزجتهم باردة، وأخلاقهم فجّة، فعظمت أبدانهم، وابيضّت ألوانهم، وانسدلت شعورهم، فعدموا بهذه دقّة الإفهام، وثقوب الخواطر، وغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم العمى والغباوة كالصّقالبة، والبرغر، ومن اتصل بهم"[2].

هذا جزء ممّا وُصف به الوضع الاجتماعيّ لأوربا عامة وبلاد إسبانيا على وجه الخصوص، وهو حال لا يعكس الرّفاهيّة والاستقرار الذي ذكره لنا المؤرخون الإسبان بل كانت حياة النّاس تعيسة وشاقة وكئيبة[3]، هذا الحال يبيّن لنا طبيعة التّفكير الإنسانيّ الذي ساد المجتمع إذ ذاك، فبعيدا عن تعصّب المؤرّخين الإسبان، ووسطيّة المؤرخين الآخرين، يمكننا القول أنّ الواقع الاجتماعيّ لإسبانيا في عصر القوط لم يكن لائقا، بل كان امتدادا للوضع الموروث من عصر الرومان المتهاوي، ولأنّ قبائل القوط نفسها كانت قبائل بدائية بعيدة عن الضوابط الاجتماعية ممّا صعّب عليها فرض نظام اجتماعيّ خاص بها على إسبانيا وشعبها.

أمّا من النّاحية الفكريّة فالأمر يحتاج إلى مجال واسع للبحث فهو مليء بالآراء والأفكار التي تتطلّب دراسة جديّة، فرغم ما قيل عن تلك الشعوب من بربريّة ووحشيّة إلاّ أنّ هناك من يرى أنّ النّاحيّة الفكريّة كانت "خيرا خالصا" تحت إشراف سكان الأرض الأصليين الذين اعتنقوا المسيحيّة واهتمّوا بتوجيهاتها الدينيّة والفلسفيّة وكانوا دافعا لبعث النّهضة الفكريّة الضائعة[4].

[1]- البكري (أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد): **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج2، ص913.

[2]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 09.

[3]- عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص 15.

[4]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 42.

2- تأثير التعليم في عهد القوط:

ظهرت بوادر الحركة التعليميّة في إسبانيا مع بروز دور الكنيسة[1] كمشرف عام على المجتمع، بعد أن أوكلت لها العديد من الوظائف على غرار إشرافها على التّعليم والمواد الدراسيّة وإصدار الكتب، كما كان لها السّلطة المطلقة على طلبة العلم، وانفردت برعاية الثّقافة وحضارة العصور الوسطى تحت إشراف البابا[2]، الذي يمثّل المؤسسة باعتباره نائبا وممثّلا للربّ على الأرض، وهو الوحيد الموكل بتسيير الأمور الرّوحيّة والإشراف عليها[3]. فتمكّنت الكنيسة بذلك من السّيطرة على عقول النّاس والتّأثير عليهم حتى باتوا يرون أنّ الحياة ما هي إلاّ مرحلة غير مهمّة لا تستحقّ أن يتعلّق بها البشر، وإنّما الحياة الحقّة والمهمّة هي الآخرة، فجعلوا النّاس خدما في الدّنيا لمصالح رجال الدّين مقيّدو التّفكير لا يرون إلاّ بعيون الكنيسة وعقليّة رجالها[4].

تمكّنت الكنيسة من إنشاء المدارس في الأديرة، التي يوجد بها مكتبة وعدد من النسّاخ، ومدرسة لتعليم التّلاميذ تعليما دينيّا خالصا، فكلّ المحاضرات تلقى على الطلبة باللغة اللاتينيّة وبطرق تقليديّة إذ يجلس الطّلبة أرضا في حجرات ضيّقة للاستماع لمحاضرات تستغرق أحيانا السّاعتين وأكثر، دون الاهتمام براحة الطّالب الذهنيّة والبدنية[5]. وفي الكنيسة لم يكن ثمّة إلاّ القليل من المتعلّمين الذّين بإمكانهم كتابة اللّغة اللاّتينيّة بطريقة جيّدة، وكان القليل منهم يُقبلون على كتب الحكمة القديمة، وذلك سببه تفشي الجهل في المجتمع، وكذا عدم الرّغبة في قراءة الكتب والإقبال عليها كونها لا تلبّي قوتا، ولا تحقّق نصرا، لذا كان همّ المجتمع الأكبر يتمثّل في الزّراعة والحروب[6].

---

[1]- **الكنيسة** (Church بالإنجليزية) استخدم المصطلح لأوّل مرّة تعبيرا عن المجتمع المسيحي في القدس، وأخذت الكنيسة تنتشر بشكل تدريجيّ من هناك إلى دمشق وأنطاكية ثم إلى مدينة روما. محمد مصطفى الفوج: **أوروبا في العصور الوسطى**، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، مصراتة، 2009، ص 10.

[2]- **كلمة البابا** (pope) تعني: الأب وتطلق بصفة عامة على جميع الأساقفة، إلاّ أنّ استعمالها اقتصر فيما بعد على من يشغل الكرسيّ البابوي في روما دون غيره. محمود سعيد عمران: **معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1986، ص 158.

[3]- موريس بيشوب: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، تر: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 163-164.

[4]- عمر عبد العزيز عمر: **دراسات في التّاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992، ص10.

[5]- جوزيف نسيم يوسف: **نشأة الجامعات في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 92.

[6]- موريس بيشوب: المرجع السابق، ص 247.

وحتىّ الكتابة والتدوين كانت الإمكانات محدودة، لغلاء أسعارها كالجلود التي تستغلّ للنّسخ، وكادت الكثير من المخطوطات القديمة تضيع لولا براعة العرب وقتها في الاهتمام بالكتابة إذ تمكّنوا من إنقاذ العديد من الكتب النّفيسة التي ظلّت لعقود حبيسة أدراج الكنائس، ويقرّ الكثير من الأوربيين أنّ المحافظة على ذلك التّراث الهام إنّما كان بمساهمة العرب أنفسهم وهو ما ذهب إليه المؤرّخ الفرنسي جوستاف لوبون (1841- 1931) بقوله: "كان الأوربيون في العصور الوسطى يكتبون على الجلود لزمن طويل وكان غلاء أسعارها مانعا من توافر المخطوطات فيها، ونشأ عن ندرتها أن تعوّد الرّهبان حكّ كتب كبار المؤلّفين من اليونان والرّومان ليستبدلوا بها مواعظهم الدّينيّة، ولولا العرب لضاع أكثر هذه الكتب الرّائعة القديمة التي زُعم أنّها حفظت في أروقة الأديرة"[1].

وأمّا المدارس في الأديرة فقد اهتمت في تعليمها على الغناء السّليم والإنشاد الدّيني كإطار لبثّ عقائدها ونشر أساطيرها في أذهان الطّلبة الجدد، فساعدت مدارس المرتّلين الكنسيّة على تدريب وتكوين صغار المرتّلين بالجوقات الكنسيّة، وللإشارة أن معظم المتخرّجين من هذه المدارس كان هدفهم من التّعليم هو بلوغ مناصب وظيفيّة داخل الكاتدرائيات فيتمّ تحضيرهم أساقفة للمستقبل، بالمقابل كان أبناء النّبلاء ينفردون بمدرّسين خصوصيين، وفي أماكن خاصة تجنّبا لاختلاطهم بأبناء العامة من الشّعب، وأمّا البنات فيتمّ إرسالهنّ إلى مدارس الرّاهبات لتعليمهنّ وتكوينهنّ دينيّا واجتماعيّا[2].

وقليلة هي المدارس الكاتدرائيّة التي تنتهج نظاما تعليميّا منتظما يشمل كلّ مراحل التّعليم، ولعلّ أبرز مدرسة تعليمية ظهرت في أوربا في القرن الثاني عشر ميلادي تلك التي أنشأت في "كاتدرائيّة شارتر" بفرنسا والتي اعتمدت النّظام الروماني الذي يقسّم الفنون السبعة على مجموعتين أساسيتين[3]:

- المجموعة الأولى: ثلاثية وتركّز على ثلاث مواد هي: النّحو، البلاغة، والمنطق، وقد عملت هذه المجموعة مهتمّة بشكل أساسيّ على النّصوص اللاتينيّة القديمة، خاصة نصوص الشّعر والنثر.
- المجموعة الثانيّة: رباعيّة تركّز على الحساب، الهندسة، الفلك، والموسيقى، وهي بذلك أرقى من حيث المضمون، وأدقّ من حيث التخصّص.

---

[1]- جوستاف لوبون: **حضارة العرب**، تر: عادل زعيتر، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص 482.

[2]- موريس بيشوب: المرجع السابق، ص277.

[3]- المرجع نفسه: ص 277.

وممّا يلفت الانتباه أن تلك المواد المدروسة للمجموعتين تفتقر إلى التّربية الدّينّية بل ركّزت على مواد لا تمتّ بصلة إلى الكنيسة وتعاليمها، إذ يفهم من ذلك أنّ المدارس الكاتدرائية كانت تركز اهتمامها على إحياء التراث اللاتيني القديم الذي ظلّ مهملا ومنسيّا على رفوف المكتبات، ولم تعرف إسبانيا النّهضة التّعليميّة إلاّ في القرن الثاني عشر، أين بدأ الاهتمام بنوعيّة المواد المدروسة، مع ظهور الإقبال على التّعلّم، خاصة بعد أن تمكّنت الكنيسة من العقول، وراحت تنشر بين فئات المجتمع أهميّة التّعليم في النهضة الحقيقيّة، كون عدوّ الإنسان ليس الشيطان وإنّما عدوّه الجهل، وفي هذا المعنى رفعت شعارها "منفى الإنسان هو الجهل، ووطنه هو العلم"[1].

وتشير بعض الدراسات التي كتبت عن الحضارة العربية الإسلاميّة في الأندلس[2]، أنّ المسلمين هم من أقاموا فيها نهضة علميّة فريدة وسابقة، لم تسبقهم إليها أي أمة من قبل وهو ما أشار إليه صاعد الأندلسي (ت:462هـ/1069م) الذي عاصر مرحلة ازدهار الحضارة العربيّة الإسلاميّة في بلاد الأندلس إذ يشير إلى مرحلة التّحصيل العلمي قبل الفتح قائلا: "وكانت الأندلس قبل ذلك في الزّمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلاّ أنّه يوجد طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الإجماع على أنّها من عمل ملوك رومية إذ كانت الأندلس منتظمة بمملكتهم ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة(711م)"[3].

فكلام مثل هذا يدلّ على خلوّ الأندلس من علم ثابت واضح أو حركة تعليميّة واضحة المعالم، ولم ينفرد صاعد الأندلسي بهذا الرأي وإنّما أيّده من بعده بعض المؤرّخين والباحثين المعاصرين المهتمّين بالشأن الأندلسي، والذين رأوا أنّ العرب في الأندلس كانوا السبّاقين في نشر حضارة الأندلس وبعثها،

---

[1]- موريس بيشوب: المرجع السابق، ص 284.

[2]- **الأندلس**: اختلفت المصادر في أصل التسمية، منهم من ينسبها إلى أول من نزل الجزيرة وهم قوم من ولد أندلس بن نقرش بن يافت بن نوح عليه السّلام، ومنهم من ينسب التسمية إلى قبائل الوندال (vendales) التي أخذت اللفظ العربي (Andalucia)، وهي شبه جزيرة تقع جنوب غربي أوروبا، يحدها شرقا البحر المتوسط، وغربا بحر الظلمات(المحيط الأطلسي)، وجنوبا بحر الزقاق (مضي جبل طارق)، وشمالا جبال البرتات. أنظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص32- 35. المقري (شهاب الدين أحمد ين محمد – التلمساني): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تح: حسان عباس، دار صابر، بيروت، 1388هـ - 1969م، ج1، ص127. مجهول: **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ - 2007م، ص 140.

[3]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 62.

ومن أولئك الباحثين نذكر رأي المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه التي تقول: "ازدهرت حضارة العرب في إسبانيا وبلغت أوجها برغم أنّهم لم يجدوا فيها شيئا من الفكر أو الثّقافة كما وجدوا في البلدان الأخرى التي فتحوها مثل مصر وسوريّة والعراق وفارس، تلك البلدان التي مثّلت شعوبها دورا كبيرا في مزج الحضارات الهلينية والبيزنطية والفارسية والهندية بالحضارة العربية...وكان من المتوقّع والمعقول أن تزدهر الحضارة العربية في مثل تلك البلدان"[1].

كلام مثل هذا لا يحتاج إلى تأويل أو توضيح أكثر، فإسبانيا قبل الفتح لم يكن بها فكر ولا ثقافة تذكر، ذلك يعني أن الحركة التعليميّة بها لم تكن منتشرة إن لم نقل أنّها كانت شبه منعدمة، كونها تعتمد على فئات معيّنة، بأماكن مخصّصة، وتحت إشراف الكنيسة، فعامة النّاس في إسبانيا كانت تبحث عن الخلاص من وضع سئموا عيشه، "وفي إسبانيا حيث القوط الغربيون المتأخّرون، فلم يكن ثمّة ما يبشّر بأي خير...ولم تكن هذه بالشعوب التي يتعلّم منها القادمون من بلاد العرب شيئا يفيدهم"[2].

[1]- زيغريد هونكه: **شمس العرب تسطع على الغرب**، تر: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الجيل، ط8، بيروت، 1993، ص 474.

[2]- المرجع نفسه: ص 474.

المبحث الثالث: البوادر الأولى للحركة التعليميّة في الأندلس قبل عصر الخلافة الأموية

أولا - عصر الولاة (96 - 138هـ/ 714 - 756م):

يطلق هذا العصر على فترة الحكم الإسلامي الأولى لبلاد الأندلس أين حكمها الولاة المعيّنون من حاكم إفريقيّة في معظم الأحيان[1]، وفي بعض الأحيان الأخرى تتدخّل الخلافة الأمويّة في تعيينهم مباشرة[2]، بلغ عدد الولاة المعيّنون عشرين واليا أشرفوا على شؤون الأندلس مدة قربت اثنين وأربعين عاما[3]، وتجمع المصادر التّاريخيّة أنّ هذه المرحلة تبدأ بولاية **عبد العزيز**[4] بن موسى بن نصير، مستبعدين اسمي **طارق بن زياد**[5]، **وموسى بن نصير**[6]، باعتبارهما ممهدَين للفتح الإسلامي وعلى هذا الأساس وصفهما المقّري بأنّهما: "لم يتخذا سريرا للسلطنة"[7].

كان همّ الفاتحين في هذه الفترة الزّمنيّة بسط الاستقرار، وتوطيد الحكم والنّظام بالقضاء على مواطن الضعف الدّاخليّة، وحماية الحدود بإخضاع الدّول المجاورة في الشّمال من وراء جبال البرتات[8]،

---

[1]- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر): **تاريخ افتتاح الأندلس**، (د.ط)، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (د.ت)، ص39- 40.

[2]- ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1419هـ/1983م، ج2، ص 26.

[3]- المقري: المصدر السابق، ص 249.

[4]- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي): **تاريخ علماء الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، لبنان، مصر، (د.ت)، ج1، ص 468. ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج2، ص22. المقري: **نفح الطيب**: ج1، ص 276-299.

[5]- **طارق بن زياد**: فاتح الأندلس، بربري من قبيلة نفزة، أسلم على يد مولاه موسى بن نصير، الذي كلّفه بفتح الأندلس عام 92هـ/710م، استدعاه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة 96هـ/714م رفقة موسى بن نصير، ولم يعرف مصيره بعدها توفي عام 102هـ/720م أنظر الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله): **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1372هـ/1952م، ص03. المقري: المصدر السابق، ص 187.

[6]- **موسى بن نصير**: فاتح الأندلس من وادي القرى ولد عام 19هـ/640م، عيّنه عبد الملك بن مروان واليا على المغرب (65هـ - 86هـ/684م - 705م)، لحق بطارق بن زياد إلى الأندلس في93هـ/711م، توفي سنة98هـ/716م بالمدينة المنورة. ابن القوطية: المصدر السابق، ص35.

[7]- المقري: المصدر السابق، ص 298 - 299.

[8]- **جبال البرتات**: أو جبال البيرينيه (Pyrénées)، بمعنى ممر أو مدخل، المدخل لأوربا من الجنوب، عرّبها الجغرافيون المسلمون إلى باب وأبواب، ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص1. المقري: المصدر السابق، ج1، ص130. عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص141.

وربّما يعدّ ذلك سببا كافيا لتجاهل المصادر الإشارة للحياة العلميّة، والمراكز التّعليميّة في عصر الولاة، كون المرحلة تميزت بالاضطرابات الدّاخليّة والصّراعات العصبية، أضف إليها الحركة الواسعة للتّوسع شمالا، كلّ ذلك أنهك الفاتحين وأشغلهم عن النّشاط التعليمي وترسيخه بين السّكان المحليّين[1]، رغم ذلك لم تخلو بلاد الأندلس من بعض النّشاطات المعزولة والفردية أهمّها تعليم القرآن الكريم في المساجد، إذ من أهداف الفتح الإسلامي تعليم أهل الأندلس أمور الدّين، فكان من أهمّ الأعمال بناء المساجد في أرض الفتح كما فعل **موسى بن نصير**(19- 98هـ / 640 - 716م) لما حلّ بالجزيرة الخضراء (Algeciras)[2] أين أسّس بها مسجد الرايات[3].

وقد عرفت مرحلة الفتح مشاركة عدد من الفقهاء والعلماء، حدّد عددهم بنحو ثمانية وعشرين تابعيّا[4]، منهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي (ت 128هـ/745م)[5]، وجبان بن أبي جبلة (ت: 120هـ/737م)[6].

وذكرت المصادر اسم **عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي**[7] من الولاة القلائل الذين كان لهم اهتمام بالتّعليم ونشره بين سكان بلاد الأندلس، غير أن الإقبال الفعليّ لطلب العلم جاء بعد الاستقرار حيث أقبل الأندلسيون إلى التّعرّف على الإسلام خاصة القرآن الكريم، علم الحديث، اللغة العربية، وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا العصر هو بداية ظهور المذاهب الدينيّة في بلاد الأندلس كونها

---

[1]- مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تح ـ نش: أميلو لافوانتي، مدريد، 1284هـ/ 1867م، ص 61 - 62.

[2]- **الجزيرة الخضراء**: تقع جنوب غربي الأندلس، بينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلا، وهي مشرفة على البحر، بينها وبين قرطبة خمسة وخمسون فرسخا، أنظر الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 2002، ص539. الحميري: المصدر السابق، ص223.

[3]- **مسجد الرايات**: سمي بهذا الاسم لاجتماع رايات العرب ووجوه الكتائب من الموالي لفتح الأندلس. عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي**، ص73.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص227.

[5]- المصدر نفسه، ج3، ص 329 - 330.

[6]- المصدر نفسه، ج3، ص291.

[7]- **عبد الرحمن الغافقي**: من الفاتحين لبلاد الأندلس، تولى مرتين: (102 ـ 103هـ/720 - 721م) و(112 –114هـ/730–732م)، فتح مدينة بوردو، واستشهد في معركة بلاط الشهداء عام (114هـ – 732م).ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج2، ص26 - 28. المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص191– 192.عبد العزيز سالم: **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 141.

أرضا خصبة لنشرها، منها المذهب الأوزاعيّ[1] الذي دخل بلاد الأندلس عن طريق **صعصعة بن سلام الشامي**[2] (ت:192هـ/807م)، ويفسّر اعتناق الأندلسيين لمذهب إمام الشام كون غالبية العرب الذين شاركوا في الفتح واستوطنوا الأندلس كانوا شاميين، فضلا على اهتمام الأوزاعي بالجهاد وفتاوى الرباط، فالأندلسيون يرون أنفسهم مجاهدين ومرابطين في سبيل الله فكان بذلك مذهب الأوزاعيّ الأقرب إليهم[3].

ومن الواضح أنّ دخول المذهب الأوزاعي لبلاد الأندلس كان في عهد الولاة وقبل عهد بني أميّة فيها وذلك ما يوضحّه ابن الفرضي في سياق حديثة عن **زهير بن مالك البلوي** (250هـ/864م) "من أهل قرطبة كان فقيها على مذهب الأوزاعي على ما كان عليه أهل الأندلس قبل دخول بني أمية"[4].

لقد بدأت إرهاصات التّعليم الأولى في بلاد الأندلس مع الفتح وإن كانت بسيطة تعتمد أساسا على تعليم أهل البلاد خاصة الكبار منهم تعاليم الدّين الجديد بلغة عربية بسيطة وسهلة للفهم، وعادة ما يتمّ التّعليم في المساجد التي كانت قليلة يومها. فلقد كان المسلم يحمل قرآنه وثقافته معه حيث حلّ وارتحل، محاولا إيصال صوت القرآن ورسالة الإسلام إلى كلّ ربوع العالم، وتتمّ ممارسة التّعليم لديهم بكلّ الطّرق المتاحة، في المساجد، وفي جبهات القتال، وكذلك من خلال التّعامل اليومي والاحتكاك المتواصل بالأهالي تلك هي مهمة الدّعاة والمتمثلة أساسا في نشر الدّين الإسلاميّ وتعليمه وهو ما يؤكّده صاعد الأندلسي بقوله: "إنّ التّعليم لم يكن يتعدّى تعليم الشّريعة واللّغة

[1]- **عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي**، إمام الشّام (88 –157هـ/ 707 – 774م) يرى ابن خلكان(ت: 681هـ – 1282م) أنّ الأوزاعي نسبة لقبيلة من اليمن، أو اسم قرية في دمشق، نزل بها عبد الرحمن فنسب إليها. ابن خلكان (شمس الدين– أحمد بن محمد): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ج3، بيروت 1994، ص 128. الحميري: الروض المعطار، ص 63.

[2]- **صعصعة بن سلام الشامي** يكنّى أبا عبد الله يروي عن الأوزاعي ولي الصلاة بقرطبة على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة في أيام الأمير الحكم. ابن الفرضي: المصدر السابق، مج1، ص 179.

[3]– عبد الجليل ملاخ: **الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي**، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، العدد17، جانفي 2011، ص50- 80. ولاء يوسف أبو الضبعات: **الحياة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس**، رسالة ماجستير في التاريخ الأندلسي، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل، 1437هـ / 2016م، ص17.

[4]- ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ص181.

العربية، إلى أن توطّد حكم بني أميّة، ولما كان في وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة وذلك في أيام الأمير الخامس من أمراء بني أميّة وهو **محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل** (172 – 180هـ/852 - 866م) تحرّك أفراد من النّاس إلى طلب العلم، ولم يزالوا يظهرون ظهورا غير شائع إلى قرب وسط المائة الرابعة"[1].

من هذا الحديث يتّضّح بما لا يدع مجالا للشّكّ والرّيبة أنّ الحركة التّعليميّة في بلاد الأندلس ظهرت معالمها الأولى مع بداية الفتح الإسلامي معتمدة أساسا على تعليم أهل الأندلس الدّين الإسلامي، بواسطة اللّغة العربية التي بها يقرؤون القرآن ويصلّون، ويتمّ ذلك في حِلق صغيرة، ثمّ تطوّرت طرق التّعليم في عهد الولاة بعد الاستقرار، وإن أغفلت الدّراسات الحديث عن المراكز العلمية والتّعليمية في عهد الولاة[2]، غير أنّ أرض الأندلس كانت مستقطبة للعلماء والفقهاء الفارّين من المضايقات والملاحقات في المشرق، وانتشرت بها العديد من المذاهب الدّينيّة والفكريّة على غرار مذهب الإمام الأوزاعي، أما التعليم بمفهومه الشّامل فلم ير النّور في بلاد الأندلس إلاّ في عهد الإمارة التي سطعت من خلالها أنوار العلم والمعرفة داخل البلاد وخارجها، فصارت الأندلس قبلة لطلبة العلم يقصدونها من كلّ فجّ عميق.

ثانيا - عصر الإمارة (138 - 316هـ/ 756 - 929م):

1- دور الأمراء في نشر العلم والتعليم:

عرفت هذه المرحلة سقوط الدولة الأمويّة في المشرق عام (132هـ/750م)، وقامت مقامها الدولة العباسيّة، التي تولّت مهمّة القضاء على الأسرة الأموية، فتشتّت أفرادها وتفرّقوا في الأمصار، ومن الذين تمكّنوا من الفرار الأمير **عبد الرحمن بن معاوية**[3] (113 - 172هـ/732 - 788م)، الذي تمكّن من الوصول إلى الأندلس وإقامة دولة جديدة بها، الأمر الذي جعل الكثير من المضطهدين في

---

[1]- صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، ص 84.

[2]- أشرف يعقوب أحمد اشتيوي: **الأندلس في عصر الولاة (91هـ ـ 138هـ/711م ـ 756م)**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004، ص183.

[3]- **عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف**: تولى الإمارة بين (138هـ - 172هـ/755م - 788م)، يكنّى أبا مطرف أو أبا سليمان، يلقّب بصقر قريش، سمي بالداخل كونه أول أمويّ يدخل بلاد الأندلس فرارا من ملاحقة بني العبّاس، أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، مج1، ص11. ابن الخطيب: المصدر السابق، مج3، ص467.

المشرق يتوجهون نحو الأندلس بحثا عن الاستقرار، تلك الهجرات ساعدت بدورها على بعث الحياة العلمية في بلاد الأندلس "وليس من شكّ في أنّ شعلة الثقافة الأندلسيّة قد ذكت عند قدوم كثير من الأمويين وأشياعهم الذين كانوا على قدر كبير من الثقافة، وليس من شكّ أيضا في أنّ وفودهم على الأندلس وطّأ للثقافة سبيل الانتشار والذيوع".[1]

ورغم قلّة الاستقرار في عهد **عبد الرحمن الداخل** (138 ـ 172هـ/756 ـ 788م)، لخوضه حروبا كثيرة غايتها تثبيت حكم بني أميّة في الأندلس، إلا أنّه اهتمّ ببناء المساجد على غرار مسجد قرطبة الجامع[2]، تلك المساجد التي شكّلت النواة الأولى للحركة التعليميّة في الأندلس ومن ثمّة يرى المهتمّون بدراسة هذه المرحلة أن فترة عبد الرحمن الداخل كثرت بها المساجد للعبادة والتعليم وإلى ذلك يقول المقري: "انتهت مساجد قرطبة على أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائة وتسعين مسجدا، ثمّ زادت بعد ذلك كثيرا"[3].

وممّا شجع تقدّم مسيرة التعليم في هذه المرحلة اهتمام الأمراء بتهيئة الظروف المناسبة للتعلّم منها بناء المساجد، وإنشاء المكتبات، والرعاية الخاصة بالعلماء، وأهم عنصر يمكن التركيز عليه هو أنّ الأمراء أنفسهم كانوا علماء وأدباء حفّزوا وشجّعوا كلّ باعث للعلم والتعلّم، ولعلّ الشعور بالماضي المجيد للأمويين كان حافزا على بعث عوامل النهضة وتحريك الهمم في طلب العلم منافسة لبغداد عاصمة العباسيين، خاصة إذا علمنا أنّ عبد الرحمن الداخل (113 ـ 172هـ/732 ـ 788م) كان معاصرا لأبي جعفر المنصور[4](136 ـ 158هـ/754 ـ 775م).

---

[1]- محمد عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، دار الفكر العربي، ط1، مصر، 1982، ص 78.

[2]- **مسجد قرطبة الكبير**: من أحسن الجوامع وأجملها، ومن أجلّ مصانع الدنيا، كبر مساحة وإحكام صنعة، ليس بمساجد المسلمين مثله تنميقا وطولا وعرضا، طوله مائة باع، وعرضه ثمانين باعا، جميع خشب هذا الجامع من عيدان الصنوبر، عرف المسجد تطوّرات وإضافات معمارية أيام الأمراء والخلفاء. الحميري: المصدر السابق، ص457.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص78.

[4]ـ **أبو جعفر المنصور**: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد سنة95هـ، ثاني خلفاء بني العبّاس وأقواهم، ولي بعد وفاة أخيه السفّاح عام (136هـ/754م)، وهو من بنى بغداد وجعلها قاعدة ملكهم، يعدّ المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، توفي سنة(158هـ/775م)، دامت خلافته 22عاما. السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر): **تاريخ الخلفاء**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الفجالة الجديدة، ط4، القاهرة، 1389هـ/1969م، ص31.

مثّلت الدولتان دورا هاما في الجانبين العلمي والحضاري، إذ كانت قرطبة[1] وبغداد[2] قبلتان يقصدهما العلماء، ومبعث العلوم المختلفة في زمنهما[3].

واصل **هشام الرضا بن عبد الرحمن**[4] (172- 180هـ/788 - 796م) مسيرة أبيه في تشجيع العلم وطلبه بدء بأبنائه الذين اختار لهم أحسن المؤدّبين على غرار المحدّث والفقيه "شمر بن نمير"[5] الذي أسندت إليه مهمّة تأديب الحكم بن هشام، هذا الاهتمام بالعلماء واختيارهم انعكس خيرا على الأندلس وكلّ من وفد عليها من أهل العلم[6].

وممّا يحسب على الأمير هشام دعمه لطلبة قرطبة خاصة أولئك الذين توجّهوا قِبَل المشرق طلبا للعلم والاستزادة منه، وقد حرص وأشرف بنفسه على توجيه بعض الطلبة إلى المدينة المنوّرة قصد أخذ العلم عن عالمها مالك بن أنس (ت:179هـ/795م)[7]، ونتيجة لذلك بدأ الأندلسيون يتحوّلون من

---

[1]- **قرطبة**: مدينة تقع جنوب الأندلس على ضفة نهر الوادي الكبير وهي في سفح جبل مطلّ عليها يسمى جبل العروس، طولها من غربها إلى مشرقها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد، وتعتبر قاعدة الأندلس وأمّ مدائنها، ومستقرّ خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة. الحميري: المصدر السابق، ص 457 – 458.

[2]- **بغداد**: مدينة دار السلام وحضرة الإسلام مثوى الخلفاء ومقرّ العلماء، ولبغداد جسران اثنان مدوّران على نحو الضفة والناس يعبرونهما ليلا ونهارا رجالا ونساء، فهم في ذلك في نزهة متّصلة، وتعدّ الجهة الشرقية الأكثر عمارا ونشاطا، وبها المساجد التي تقام بها الجمعة وهي ثلاثة: جامع الخليفة، جامع السلطان، وجامع الرّصافة. ابن بطوطة: **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**: تح: عبد السّلام العرقوسي، دار إحياء العلوم، ط1، بيروت، 1987، ص 232 – 233.

[3]- العكش إبراهيم: التربية والتعليم في الأندلس، ص77.

[4]- **هشام الرضى بن عبد الرحمن**: خلف أباه في الإمارة، كان ورعا تقيا لذلك لقّب بالرضى، شبهه بعض المؤرّخين بالخليفة عمر بن عبد العزيز(99- 101هـ/717 - 719م)، عرفت مرحلته الفتن و الثورات الداخلية والخارجية. المقري: المصدر السابق، ج1، ص322 – 323. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 12. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص61.

[5]- شمر بن نمير ويكنّى أبا عبد الله، روى الحديث عن نافع بن يزيد، قدم الأندلس أيام الأمير هشام الرضا، وبقي بها إلى أن توفي، وكان ابنه عبد الله جليس الأمير عبد الرحمن الأوسط. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج1، ص 271 - 272.

[6]- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي): **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ج1، (د ط)، مصر، 1957، ص 65.

[7]- مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن الحارث(92هـ - 710م)، ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك، كان إماما في الحديث، وأحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة، أهم مؤلفاته كتاب الموطأ توفي (179هـ - 795م). الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): **سير أعلام النبلاء**، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ط1، ج11 القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م، ص 316–317 / 321 - 322.ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص65 وما بعدها.

المذهب الأوزاعي إلى مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس[1]، فصار يغلب على الحياة الدينيّة والعلمية، بل وأولى الأمير هشام اهتماما بالغا بالمذهب المالكيّ فصار يمنح المناصب الدينيّة والقضائيّة للذين يعتنقونه[2].كما اهتم الأمير هشام باللغة العربية في التعليم فكانت لغة الدولة ولغة التعليم، وأقبل عليها الأندلسيون على اختلاف أعراقهم وأجناسهم، فأتقنها اليهود والنصارى على حدّ سواء في عهده[3].

أمّا الأمير **الحكم الربضي بن هشام الأول**[4] (180 - 206هـ/796 - 822م) فهو من أهل الخير والصلاح[5]، سار في بداية عهده على إقصاء العلماء وتهميشهم، فحصر عملهم في إقامة الشعائر والفتوى، ومنعهم من التدخّل في شؤون الدولة، فحرّضوا العامة عليه ممّا أدّى إلى اندلا ع ثورة أهل الربض عليه في قرطبة(202هـ - 818م)، وكان سببها تحريض الفقهاء للعامة واتهام الحكم بشرب الخمر والتشاغل باللهو والصيد[6] ثمّ ما لبث أن غيّر نهجه أواخر سنوات حكمه، فازدهرت العلوم والآداب، ونبغ العديد من الشعراء والكتاب في عهده كعباس بن ناصح الثقفي، ويحي الغزّال، وعباس بن فرناس[7].

---

[1]- دخول المذهب المالكي للأندلس وانتشاره ينظر عبد الجليل ملاخ: **الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري (138 - 479هـ/ 756 - 1086م)**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، 1438- 1439هـ/ 2017 - 2018م، ص92 وما بعدها.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص 34 - 35.

[3]- معالي محمد علي ياسين: **الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية وعلاقتها مع بلاد المغرب والمشرق**، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2017، ص 46.

[4]- **الحكم الربضي بن هشام الأول**: خلف أباه رغم أنه لم يكن الابن الأكبر، كان قويا حازما حتى شبّه بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136هـ — 158هـ/754م — 775م)، عرفت مرحلته الفتن داخليا وخارجيا، وعرفت مرحلته ثورة المولدين في طليطلة، ومحاولة الفقهاء الإطاحة به لتهميش دورهم ومحاولة تعويضه بابن عمه القاسم بن محمد بن المنذر بن عبد الرحمن الداخل، وقد وشي القاسم بهم للأمير الحكم، فأعدم اثنين وسبعين من مدبّري المؤامرة وصلبهم عام(189هـ/805م)، فقام الفقهاء بتدبير ثورة أهل الربض جنوب قرطبة في 13 رمضان 202هـ/25مارس817م، أنظر المقري: المصدر السابق، ج1، ص327.

[5]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص68.

[6]- المراكشي: المصدر السابق، ص13.

[7]- ولاء أبو الضبعان: المرجع السابق، ص123.

وبعد وفاة الحكم بن هشام تولّى الإمارة بعده ابنه **عبد الرحمن الأوسط**[1] (206 - 238هـ/822 ـ 852م) الذي بذل كلّ جهده في استقرار البلاد وتطوّرها، فكان محبّا للعلوم، نصيرا للعلماء، وكان في حدّ ذاته عالما وفي ذلك يقول ابن خلدون (ت:808هـ- 1405م): "كان عالما متبحّرا في علوم الدّين والفلسفة"[2]، أعاد للعلماء مكانتهم وهيبتهم التي تزعزعت في بداية عهد والده، "التزم إكرام أهل العلم وأهل الأدب والشعر في دولته وإسعافهم في مطالبهم كلّها"[3]، نشط جامع قرطبة في عهده، فأقبل الطلبة على حلق العلماء والفقهاء منها حلقة الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت:238هـ- 852م)[4]. كان اهتمام عبد الرحمن الأوسط بعلوم عديدة منها الفلك والتنجيم، فقرّب إليه علماء الفلك وأغدق عليهم[5]، كما ساهم في جمع الكتب القيّمة ونسخها لتكون نواة مكتبة قرطبة الكبيرة، وبفضل اهتمامه تمّ انتقال التراث اليوناني والفارسي إلى مكتبة قرطبة العامرة[6].

وشهد عهد الأمير **محمد بن عبد الرحمن الأوسط**[7] (238-273هـ/852-886م) استمرارا لمنهج والده في الاهتمام بالعلم والتعليم، إذ كان محبّا للعلوم، مقرّبا لأهل الحديث، وعارفا بالسير[8].

---

[1]- **عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن أبو المطرف**: رابع أمراء بني أميّة في الأندلس، ولد في طليطلة وبويع في قرطبة عام 206هـ، كان أديبا شاعرا. المقري: المصدر السابق، ج2، ص254.

[2]- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ ابن خلدون المسمى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر، ج4، بيروت، لبنان، 1972، ص167.

[3]- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص75.

[4]- **عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي العباسي الأندلسي**، أخذ العلم عن الغازي بن قيس، وزياد اللخمي، ارتحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، فأخذ العلم عن أصحاب مالك، ورجع إلى قرطبة بعلم كثير. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج12، ص 102 - 103. ابن فرحون: **التيجان المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج2، ص 09.

[5]- المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص347.

[6]- المصدر نفسه: ج1، ص347.

[7]- **محمد بن عبد الرحمن بن الحكم**: خلف والده بعد ثلاثة وثلاثين عاما، كان محبّا للعلم، آثر أصحاب الحديث، فناصر بقي بن مخلد الحافظ على أهل الرأي، وسمح بدراسة مصنّف ابن أبي شيبة ونسخه. كان يتوغل في بلاد الروم ويبقى في الغزوة السنة وأكثر. الذهبي: المصدر السابق، ج8، ص 262.

[8]- الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص 35.

ازدهر العلم في عهده، خاصة علم الحديث فلم يعد يقتصر على المدوّنة[1]، وإنّما دفع إلى جلب مصادر جديدة وهو ما قام به كلّ من بقي بن مخلد (ت:276هـ-889م)، ومحمد بن عبد السلام الخشني (ت:286هـ-899م) بجلب مصنّف ابن أبي شيبة[2]، وكثير من فتاوى التّابعين في المشرق الإسلامي.

ويمكننا القول أنّ مرحلة الأمير عبد الرحمن الأوسط ومن بعده ابنه الأمير محمد كانت أكثر المراحل نشاطا وحركة فكرية وتعليميّة شهدتها بلاد الأندلس سيكون لها الأثر البارز فيما سيأتي من مراحل قادمة.

لنختم مرحلة الإمارة بـ: **عبد الله بن محمد**[3] (275-300هـ/888-912م) وهو آخر الأمراء في ذلك العصر ـ قبل اعتلاء عبد الرحمن النّاصر الإمارة ــ فقد عرف من أهل العقل والسّخاء لأهل العلم، عرف عهده بروز التأليف بين الأندلسيين ونقل مؤلفاتهم نحو المشرق ومن بين أولئك الذين برزوا في هذه الفترة الزمنية أحمد بن عبد ربّه (ت:327هـ-938م) صاحب كتاب العقد الفريد[4].

أمّا **عبد الرحمن النّاصر لدين الله (عبد الرحمن الثالث)**[5] فقد تولى الإمارة في (300هـ/890م) وبقي مدّة ستة عشر عاما أميرا، ثمّ يلقّب بالخلافة عام (316هـ/928م)، وذلك

[1]- المدوّنة كتاب في فقه الإمام مالك بدأ جمعه أسد بن الفرات بعد أن سمع بمصر عن الفقيه المالكي عبد الرحمن بن القاسم وسمي كتابه الأسدية، وعندما أضاف عليه سحنون ما أضاف صار يعرف بالمدوّنة (مدوّنة سحنون)، فجعلت روايته هي الأساس. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج3، ص 181 - 182.

[2]- **مصنّف ابن أبي شيبة** هو مصنّف في الحديث لعبد الله بن محمد القاضي أبي شيبة(ت: 235هـ - 850م) جمعه ورتّبه وصنّف فيه المسند والأحكام والتفسير. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج11، ص 122 - 123.

[3]- **عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام**: كان ليّنا وادعا يحبّ العافية، فقام عليه من كلّ قطر من الأندلس متغلّب، في عهده استضعفت دولة بني أميّة، وتراجعت مكانة الدولة ونفوذها فانحصرت في قرطبة. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص93. المقري: المصدر السابق، ج1، ص337.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 151 - 152.

[5]- **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقّب بالنّاصر لدين الله**: هو حفيد الأمير عبد الله بن محمد، حين تولى الإمارة كان عمره ثلاثا وعشرين عاما، لم يكن الابن المباشر للأمير عبد الله وإنّما حفيده، فإنّ أعمامه زهدوا في الإمارة للمخاطر المحدقة بها، تمكّن من إنهاء الفتنة، ثمّ أعلن نفسه خليفة للمسلمين في الغرب الإسلامي سنة (316هـ/929م)، وتلقّب بأمير المؤمنين وهو عصر الخلافة في الأندلس. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 156-157. عبد العزيز سالم: مرجع سابق، ص 280.

عقب ضعف الخلافة العباسية في بغداد، وإعلان لقب الخلافة في الدولة الفاطمية، في هذه المرحلة بلغت سلطة بني أمية في الأندلس شأنا عظيما فلم يكن ينقصها غير لقب الخلافة فكان لها ذلك.

فتح عبد الرحمن النّاصر لدين الله المجال لاستقطاب العلماء من بلاد المشرق على غرار: أبو علي القالي البغدادي(ت:356هـ-967م)[1] والذي أثّر بدوره على الحركة التعليمية في هذه الحقبة الزمنيّة، فكلّفه عبد الرحمن النّاصر بتأديب ابنه الحكم المستنصر، وقد حمل معه إلى الأندلس العديد من الكتب والدواوين الشعرية التي أغنت بدورها طلبة العلم عن الرحلة نحو المشرق[2]، وقد سجّل التاريخ لعبد الرحمن الناصر تشجيعه ودعمه كلّ من ينقل المؤلفات النفيسة والمخطوطات النادرة خاصة من مكتبة دار الحكمة ببغداد لإثراء مكتبة قرطبة التي صارت في عهده من أهم وأنفس المكتبات في المعمورة[3].

1- مراحل التعليم ومناهج الدراسة في عصر الإمارة:

مرّت الدراسة في عصر الإمارة بمراحل ثلاث نوجزها في الآتي:

أ) المرحلة الأساسيّة:

وهي المرحلة الأولى من التّعليم غالبا ما تتمّ في البيوت من قبل الآباء والأمّهات، قبل انتقال الطفل إلى الأماكن المخصّصة للتعليم[4]، وقبل تحوّل الصبيّان إلى مؤدّب يعنى بهم في سنّ الخامسة من عمرهم فإنّهم يلقّنون السّور الصّغيرة من القرآن وكذا مبادئ اللّغة العربيّة في بيوتهم، ثمّ يحوّلون في سنّ مبكّرة إلى معلّم يشرف عليهم، وفي ذلك يقول ابن حزم الأندلسي: "فالواجب على من ساس صغار ولدانه، أو غيرهم أن يبدأ منذ أول اشتدادهم وفهم ما يخاطَبون به، وقوّتهم على رجع الجواب، وذلك يكون في خمس سنين ونحوها من مولد الصّبيّ، فيسلّمهم إلى مؤدّب"[5]. ويكون التعليم في هذه المرحلة

[1]- **أبو علي القالي**: ولد بألرمينية، دخل بغداد لطلب العلم فنسب لها، دخل الأندلس في عهد عبد الرحمن النّاصر، وله العديد من المصنّفات أشهرها كتاب البارع في اللغة. القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ج1، 1406هـ-1982م، ص239 - 241.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 75.

[3]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 183.

[4]- المرجع نفسه: ص 215.

[5]- ابن حزم الأندلسي (أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد): **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.م)، 1987، ج4، ص65.

متاحا لعامة أبناء الشعب، غير أنّ أبناء الأمراء يحضون بعناية خاصة في القصور، وإعدادهم لتحمّل المسؤولية مستقبلا[1].

ب) المرحلة المتوسطة:

في هذه المرحلة ينتقل الطفل للدراسة إلى المكتب أو الكتّاب، أين يتلقّى العديد من العلوم وعلى رأسها العلوم الشرعيّة[2]، وغالبا ما يكون الكتّاب غرفة، أو حانوتا، أو فناء بقرب المسجد[3]، ولا يكون بداخل المسجد كون الصبيان في مقتبل أعمارهم لا يحرصون على الطهارة ويُخشى منهم إيذاء بيوت الله وفي ذلك يقول ابن عبدون الأشبيلي (ت:529هـ-1134م): "المساجد هي بيوت الله، ومواضع الذكر، ومواضع العبادة، مشهورة بالطهارة، ويجب أن لا يؤدّب فيها الصبيان فإنّهم لا يتحفظون من النّجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولابدّ ففي السّقائف"[4]، ورغم ذلك فإنّ بعض المؤدّبين لم يلتزموا بهذه الآداب فاتخذوا من المساجد أو من بعض زواياها أماكن لتعليم الصبيان[5].

قسّمت الكتاتيب في الأندلس من حيث الإنشاء والإشراف إلى أهليّة تكون على نفقة الأشخاص المحسنين ولا يكون للدولة تدخّل فيها، وأمّا الكتاتيب الرّسميّة فهي التي أنشأتها الدّولة وأشرفت عليها من حيث المناهج والنفقات[6].كما أعطي المؤدّب في الكتّاب أو في المساجد صلاحيّة واسعة، ففضلا عن التعليم فهو المسؤول عن الجانب التربوي وإليه يوكل تلقين المبادئ الأولى للدين كالعقيدة، الوضوء، والصلاة، فضلا عن الأخلاق، الأحاديث الصّحاح، وشيء من الحساب[7]، وأهم

---

[1]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 429.

[2]- ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ج[2]، ص 65.

[3]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 240.

[4]- ابن عبدون الأشبيلي (محمد بن أحمد التجيبي): **رسالة أندلسيّة في آداب الحسبة والمحتسب**، تح: ليفي بروفنسال، (د.ط)، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 24.

[5]- الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، ص 152

[6]- أبو صالح وائل فؤاد: **التربية اللغوية في الأندلس عصر سيادة قرطبة**، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1979، ص11.

[7]- القابسي (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري): **الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين**، تح: أحمد خالد، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، (د.م)، 1986، ص 122 – 128.

ما يتعلّمه الصبيّ في الكتّاب القرآن الكريم، وتعلّم القراءة والكتابة "وحدّ تعلّم القراءة بحيث أن يمهر الصبيّ في قراءة كلّ كتاب يخرج من يده بلغته التي يخاطب بها قومه، وكذلك يحفظ القرآن الكريم"[1].

يبدأ اليوم الدراسي في الكتّاب من الصّباح الباكر بعد صلاة الفجر ويستمرّ إلى صلاة الظهر، أين تكون استراحة يتناول فيها الطّالب وجبة الغذاء ويأخذ قسطا من الرّاحة، ثمّ تستأنف الدراسة بعد صلاة العصر إلى ما بعد صلاة العشاء، كما كانت الراحة الأسبوعيّة من ظهر الخميس إلى صباح يوم السبت[2].

ج) المرحلة العليا:

وهي المرحلة التي يعتمد فيها الطالب على معلّم يختاره ويلازمه، يستزيد منه المعرفة وتدفعه للتعمّق والتخصّص في العلم الذي يكون إليه أميل، وغالبا ما تكون أماكن الجلوس إلى المعلّمين في هذه المرحلة المسجد الجامع، الذي يعدّ بمثابة الجامعة الإسلاميّة التي يلتقي فيها كبار العلماء والفقهاء بطلابهم في حلقات عديدة على غرار مسجد الرايات، ومسجد قرطبة...ويمكننا القول أنّ المساجد لم تكن على مستوى واحد في التعليم، بل تتباين مستوياتها فالمسجد الجامع يكون أعلى مستوى من غيره، ومسجد قرطبة تحديدا الذي وصفه الإدريسي في قوله: "... وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقا وطولا وعرضا"[3]، هذا المسجد كان أعلى مستوى وأكثر تخصّصا من بقيّة المساجد الأخرى، وقد اشتهرت قرطبة في عهد بني أميّة بالعلم والعلماء، ومواصفات ميّزتها عن غيرها ذكرها القائل[4]:

بـأربع فاقت الأمصارَ قرطبة *** منهنّ قنطرة الوادي وجامعهـا
هاتان ثنتان والزهـــراء ثالثة *** والعلم أعظم شيء وهو رابعها

كـان بعض المعلّمين يتخذون من بيوتهم مركزا للتعليم، خاصة إذا ضاق الوقت على إتمام دروسهم في المساجد[5]، أو لرغبة منهم في رفع أجرتهم علما أنّ أجرة التأديب في المساجد الأندلسية

[1]. ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ج4، ص 66

[2]ـ المغراوي (أبو عبد الله محمد الوهراني): **جامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تح: أحمد جلولي البدوي، ورابح بونار، (د.ط)، الجزائر، (د.ت). ص 06.

[3]- الشريف الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1409هـ، ج2، ص 575.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 153.

[5]- أبو صالح وائل فؤاد: المرجع السابق، ص 56.

كانت محدّدة[1]، وقد يكون السبب أيضا لمرض أو عجز يلحق بالمعلّم فيتعذّر عليه الانتقال إلى المسجد فيضطرّ إلى استقبال طلبته في بيته كما فعل يحي بن يحي المعروف بابن السّمينة (ت:315هـ- 927م)[2].

يبدأ اليوم الدّراسيّ في هذه المرحلة بعد صلاة الصبح ويستمرّ إلى القيام لصلاة العشاء، وتتوقف الدراسة طبعا عند القيام للصلاة المكتوبة، لتستأنف بعدها مباشرة، وتقسّم مواد الدراسة من صلاة الصبح إلى الضحى يتمّ فيها قراءة القرآن الكريم ومراجعته، فضلا عن التفسير والحديث النّبوي، من الضحى إلى صلاة الظهر يتمّ تعليم اللغة العربية نحوا وبلاغة، ومن بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء توزّع المواد المختلفة الأخرى[3].

وكانت تختتم الدراسة في هذه المرحلة بمنح إجازة علميّة يقدّمها المربّي لطلبته المتفوّقين تسجّل على وثيقة من الجلد، أو يكتبها المعلّم على أحد صفحات الكتب التي درس فيها الطّالب وتعلّم بخط يد معلّمه[4]، فتكون دليلا واعترافا ببلوغ الطالب مرحلة من التحصيل يمكنه بعدها التوجّه لتعليم الصبية العلم الذي تلقاه عن شيوخه، أو يستزيد من العلم والبحث والتخصص في العلم الذي يفقهه.

كانت تلكم لمحة عن المراحل التي مرّ بها التّعليم في بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي مرورا بمرحلة الفاتحين، وعهد الولاة، وصولا إلى عصر الإمارة التي شهدت استقرارا كبيرا شجّعها على بعث الحياة العلمية بتشجيع من حكامها العلماء المهتمين بالعلم ونشره بين جميع فئات المجتمع، ولعلّ تلكم التراكمات دفعت بالأندلس إلى تقدّم الدول في المشرق والمغرب حضاريّا فصارت قبلة العلماء والطلبة على حدّ سواء، واستمرّ الاستقطاب والتفوّق العلميّ في باقي المراحل القادمة من عهد الخلافة إلى مرحلة ملوك الطوائف، فرغم الخلافات والاضطرابات التي شهدتها الأندلس في تاريخها إلا أنّها ظلّت متمسّكة بنهجها القويم الذي جعل من التعليم والإنتاج الفكري أساس البقاء حتى وإن سقطت الأندلس في 02 ربيع الأول897هـ الموافق لـ: 02 يناير 1492م.

---

[1]- معالي محمد علي ياسين: المرجع السابق، ص 56.

[2]- **يحي بن يحي** من أهل قرطبة يكنّى أبا بكر، نبغ في الكثير من العلوم خاصة الأدب ورواية الأخبار، وله معرفة بالفقه، وله رحلة إلى المشرق، بصيرا بالاحتجاج وعلم الكلام، نافذا في معاني الشعر وعلم العروض، والتنجيم وعلم الطب، امتدحه صاعد الأندلسي بسعة العلم واتساع الثقافة، ثم قال: "وكان معتزلي المذهب". صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، ص65. ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج2، ص 234 – 235.

[3]- أبو صالح وائل فؤاد: المرجع السابق، ص 60.

[4]- دويدار حسين: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138هـ ـ 422 هـ/755م ـ 1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة، (د.ت)، ص 397- 404.

الفصل الأول

العوامل المساعدة على تطوّر التعليم في الأندلس

المبحث الأول: العوامل المساعدة على تطوّر التعليم خلال عهد الخلافة الأمويّة

أولا ـ اهتمام الخلفاء بالتعليم وعنايتهم به.

ثانيا ـ الرّحلات العلميّة ودورها في تطوير التعليم.

ثالثا ـ المكتبات والكتب ودورهما في الدفع بحركة التعليم.

المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تطوّر التعليم خلال عهد ملوك الطوائف.

أولا ـ الفتنة البربرية وأثرها في تنشيط حركة التعليم في الحواضر الأندلسية.

ثانيا ـ اهتمام ملوك الطوائف بالعلم وتشجيع العلماء.

ثالثا ـ المكتبات والكتب ودورهما في الدفع بحركة التعليم.

المبحث الأول: العوامل المساعدة على تطوّر التعليم خلال عهد الخلافة الأمويّة

أولا- اهتمام الخلفاء بالتعليم وعنايتهم به:

يمثّل عصر الخلافة مرحلة هامة من تاريخ الأندلس إذ عرف ازدهار الحركة التعليميّة واتساع نطاقها، وذلك راجع للاستقرار الذي عرفته البلاد في جميع المناحي والأصعدة، ولقد تمكّن عبد الرحمن النّاصر الذي اعتلى الإمارة أولا سنة (300هـ/912م) من القضاء على الفتن الداخليّة، واسترجاع هيبة الدولة الخارجيّة والتي كانت على رأي ابن عذارى: "جمرة تحتدم، ونارا تضطرم شقاقا ونفاقا، فأخمد نيرانها، وسكن زلزالها"[1].

وبعد أن رأى ضعف العباسيين في المشرق، وتلقّب الفاطميّين بالخلافة ببلاد المغرب والخطر الذي باتوا يشكّلونه على الأندلس، تلقّب بأمير المؤمنين النّاصر لدين الله في الثاني من ذي الحجّة (316هـ/929م)[2]، وارتقى شأن الأندلس في عهده حتى دنت له الدول طالبة العون والدعم "ومدّت إليه أمم النصرانيّة من وراء الدروب يد الإذعان، وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينيّة في سبيل المهادنة والسّلم، والاعتمال فيما يعنّ في مرضاته، ووصل إلى سدّته الملوك من أهل جزيرة الأندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة[3] وبَنبلونة[4] وما ينسب إليها من الثغور الجوفيّة، فقبّلوا يده، والتمسوا رضاه، واحتقبوا جوائزه، وامتطوا مراكبه"[5].

تقدّمت الأندلس وتفوّقت حضاريّا في هذه الحقبة الزمنيّة حتى صارت رغبة الكثير الحصول على فرصة التعليم بمدينتها الرائدة قرطبة، بل ورغب حتى الملوك الأوروبيون في تربية أبنائهم وتعليمهم بقبلة العلم والعلماء الرائدة في زمانها.[6]

ساهمت نشأة **عبد الرحمن الناصر لدين الله** العلميّة في تطوير الحياة التعليميّة ببلاد الأندلس، فقد درس القرآن الكريم والحديث ولما يبلغ العاشرة من عمره، كما برع في اللغة والشعر، إلى جانب

---

[1]- ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج2، ص158.

[2]- أبوحيان الأندلسي(أبومروان بن خلف): **المقتبس في أخبار بلاد الأندلس**، شر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ. 2006م، ص241. عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي**، ص320.

[3]- قشتالة Castile ـ Castilla إقليم عظيم بالأندلس، قصبته طليطلة. معجم البلدان، ج7، ص336.

[4]- بنبُلونة Pamplona: مدينة أندلسيّة غربي الأندلس، خلف جبال الشارة، تعتبر عاصمة بلاد نافارNavarre، وتقع نافار شرقي مملكة ليون، بمحاداة جبال البرت التي تفصل بين إسبانيا وفرنسا. محمد شيت خطاب: المرجع السابق، ص59.

[5]- ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج4، ص299. المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص354.

[6]- عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي**، ص322.

إتقانه فنون الحرب والفروسيّة[1]، فضلا إلى ما كان يتمتّع به من ملكة أدبيّة، فكان "يرتاح للشعر، وينبسط إلى أهله، ويراجع من خاطبه به من خاصّته"[2]، وممّا استحدثه عبد الرحمن النّاصر في فترة خلافته إقامة ديوان خاص بالعلم وهو بمثابة وزارة للعلم والتعليم في العصر الحديث، قام فيها انتداب ابنه الحكم للقيام برعاية العلم والتعليم، وهو ما يبيّنه صاعد الأندلسي بقوله: "ثمّ لما مضى صدر من المائة الرابعة، انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن النّاصر لدين الله، وذلك في أيّام أبيه، إلى العناية بالعلوم، وإلى إيثار أهلها، واستجلب من بغداد، ومن مصر، وغيرهما من ديار المشرق، عيون التآليف الجليلة، والمصنّفات الغريبّة في العلوم القديمة والحديثة، وجمع منها في بقيّة أيّام أبيه، ثمّ في مدّة ملكه من بعده، ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العبّاس في الأزمان الطويلة"[3].

وفد من العلماء على بلاد الأندلس في عهد عبد الرحمن النّاصر الكثير من الأسماء وإن كان يصعب تحديد عددهم، فكان قدومهم للأندلس بسبب الاستقرار الذي حلّ أرجاءها، وللعناية التي لقيَها العلماء بهذه البلاد وإكرامهم فيها، ونذكر من الأسماء التي حلّت بالأندلس **أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي** الذي حلّ بالأندلس عام(343هـ/954م)، وهو فقيه مصر وأهلها[4]، **وأبو علي القالي البغدادي** (288 - 356هـ/901 - 967م)، وهو من كلّف بتأديب الحكم المستنصر، وكثير من الطلبة في قرطبة، وقد ظهر تأثير أبو علي القالي البغدادي واضحا جليّا على شخصية الحكم في فترة حكم أبيه، وبعد توليه الخلافة، لما قدّمه خدمة للعلم وأهله، وممّن استقدمهم الخليفة **الفقيه محمّد بن عيسى بن رفاعة الخولاني** (ت:337هـ/948)، وهو من أهل ريّة[5] وكانت له شهرة واسعة "استقدم محمّد بن عيسى إلى قرطبة سنة (336هـ/947م) فأقام يحدّث النّاس بمدينة الزهراء بقيّة ذلك العام، ثمّ انصرف إلى ريّة فمات بها بعد ذلك حوالي 337هـ"[6].

---

[1]- محمّد عبد الله عنان: **تراجم إسلاميّة شرقيّة وأندلسيّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1390هـ/1970م، ص69.

[2]- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص199 . 200.

[3]- صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، ص88.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج4، ص139.

[5]- **ريّة**: هي إحدى الكور التي كانت تتشكّل منها الدولة الأموية في الأندلس، في قبلي قرطبة، كثيرة الخيرات، وقاعدتها ومنزل ولاتها كانت مدينة أرشذونة ومن مدنها مالقة وماربيا وببشتر. الحميري: المصدر السابق، مج1، ص79.

[6]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص351 . 352.

إنّ وجود مثل هؤلاء العلماء واستقرارهم بقرطبة ارتقى بالتعليم في مساجدها، وارتفع المستوى العلميّ والثقافيّ لأهلها ممّا شجّع على زيادة الانتقال من باقي الأقاليم الداخليّة للأندلس شطر قرطبة طلبا للعلم والجلوس لعلمائها الذين ذاع صيتهم داخل الأندلس وخارجها، وتجدر الإشارة إلى أنّ الاهتمام بالتعليم في عهد الخليفة عبد الرحمن النّاصر جعله ينشئ المدارس لتعليم المسلمين فقد حوت قرطبة وحدها أزيد من ثمانين مدرسة[1]، وهو عدد كبير يعكس مدى التركيز على تكوين الإنسان الذي يبني الدولة المتحضرة المنشودة من قبل الخلفاء الأمويين.

أمّا الخليفة **الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله** (350 – 366هـ/961 – 976م)، فقد أشادت المصادر بدوره في ترقيّة حركة التعليم بالأندلس منذ فترة خلافة أبيه، ولا يفوتنا ذكر نشأة الخليفة الحكم العلميّة ودورها في بعث الحركة الفكريّة العلميّة في الأندلس، وهو الذي تلقّى تعليمه على يد علماء ذاع صيتهم في قرطبة زمن الخليفة الأول للبلاد، من أمثال: **الأديب محمّد بن إسماعيل القرطبي** (ت:331هـ/942م)، الذي أخذ عنه الأدب والنّحو، **والفقيه قاسم بن أصبغ** (ت: 340هـ/951م) الذي أخذ عنه التفسير، الحديث، والفقه[2]، بمثل هؤلاء الأعلام تكوّنت شخصيّة الحكم الفكريّة ونضجت، وقد وصفه المؤرّخون بالاطلاع الكثير، والنظرة العميقة لما يقرأه من كتب العلم[3]، لدرجة أنّه لا يقرأ كتابا إلاّ ويسجّل فيه من الملاحظات والإضافات والهوامش، "وقلّما تجد له كتابا كان في خزانته إلاّ وله فيه قراءة ونظر، من أيّ فنّ كان من فنون العلم، يقرأه ويكتب فيه بخطّه إمّا في أوّله أو آخره، أوفي تضاعيفه نسب المؤلّف ومولده ووفاته والتعريف به ويذكر أنساب الروّاة له"[4].

كلّ هذه المكتسبات والمؤهّلات جعلت منه رجلا محبّا للعلم مجلاّ للعلماء، فقرّبهم منه مجلسا، وأحسن تكريمهم، كما هيّئ لهم ظروف الإقامة والاستقرار، حتى لا يشغلهم شيء عن العلم وتدريسه، "وفي أيّامه كثر العلماء وأدلوا بما عندهم، وألّفت التواليف، وصنّفت التصانيف"[5].

1- زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص 499.

2- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 365 - 366.

3- المقري: المصدر السابق، ج1، ص395. زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص 501.

4- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص202.

5- الأشبيلي عن سعد عبد الله صالح البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة بالأندلس**، رسالة مقدّمة لتحصيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة، 1401هـ-1402هـ/1981- 1982م، ص 76.

أثنى الكثير من المؤرّخين على شخصيّة **الحكم المستنصر بالله** وحسبنا في هذا المقام الاستشهاد بقول ابن الأثير المشرقي الذي قال عنه: "كان محبّا لأهل العلم عالما فقيها في المذاهب عالما في الأنساب والتواريخ، جمّاعا للكتب والعلماء مكرما لهم محسنا إليهم، أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم"[1]، كما ذكره معاصره لسان الدين بن الخطيب فجمع في ذكره صفات حميدة منها: "وكان رحمه الله عالما فقيها بالمذاهب، إماما في معرفة الأنساب حافظا للتاريخ جمّاعا للكتب، مميّزا للرجال من كلّ عالم وجيل وفي كلّ عصر وأوان، تجرّد لذلك وتهمّم به، فكان حجة وقدوة وأصلا يوقف عنده"[2].

وممّا قدّمه الخليفة الحكم المستنصر للأندلس إنشاؤه المكاتب وإشرافه عليها، فقد أمر بإنشاء سبعة وعشرين مكتبا، ألحق ثلاثة منها بجامع قرطبة، وعيّن الفقهاء والعلماء للتدريس بها، وأجرى عليهم المرتّبات، وحرص على تعليم أبناء المسلمين والعناية بهم[3]، ولم يُحرم أحد من التعليم في عهده حتى اليتامى وأبناء الفقراء من رعيّته كانت فرص التعليم لهم متاحة فإلى عام (364هـ/974م) أي قبل وفاته بسنتين "حبّس حوانيت السرّاجين بقرطبة على المعلّمين لأولاد الضعفاء"[4]، وفيه قال الشاعر مادحا[5]:

وساحة المسجد الأعلى مكلّلة *** مكاتبا لليتامى من نواحيها

لو مكنت سور القرآن من كلم *** نادتك يا خير تاليها وبانيها

وهذا العمل يجعلنا نفهم أنّ مجانيّة التعليم لم تكن من الأمور المستحدثة، وإنّما قد سبق إليها الأولون، ومن بينهم الخليفة الحكم الذي أصّل لتعميم التعليم ومجّانيته بين أبناء الأندلس دون تمييز بينهم، فكان التعليم في عهده حقّ إنسانيّ، وضرورة تربويّة، لا غنى عنها للنهوض بالمجتمع، فكانت

---

[1]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج7، ص83.

[2]- لسان الدين بن الخطيب: **أعمال الأعلام**، تح: ليفي بروفنسال، طبعة دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص41.

[3]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص240 . 241. سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص152– 153.

[4]- ابن عذارى: المصدر نفسه، ج2، ص249.

[5]- المصدر نفسه: ج2، ص241. الشاعر: محمد بن مطرف بن شخيص القرطبي (ت: قبل 400هـ) أنظر أحمد عبد القادر صلاحية: **ابن شخيص الأندلسي حياته وشعره**، مقال مجلة التراث العربي، العدد:52، دمشق، 1 يوليو 1993، السنة 13، ص 92 . 102.

قرطبة مهدا للمعرفة، وأرضا خصبة لكل باحث طموح، فقد حوت مكتبة جامعها وحدها نحو أربعمائة ألف مجلّد أو يزيد، ممّا جعلها قبلة الباحثين والطلبة من مشارق الأرض ومغاربها[1].

ولما توفيّ الخليفة الحكم بن عبد الرحمن ترك وراءه ابنه **هشام المؤيّد بالله**[2] (366 ـ 399هـ/976 ـ 1009م)، وكان طفلا صغيرا لم يبلغ بعد الثانية عشرة من عمره، فجعل تحت وصيّة رجل طموح يدعى **الحاجب محمد بن أبي عامر**[3] الملقّب بالمنصور(327 ـ 392هـ/938م ـ 1002م)، الذي تمكّن من دواليب الحكم إذ كان كاتبا لزوجة الحكم صبح البشكنجية[4]، وأثبت كفاءة عالية، وتقرّب من قلب صبح لما قدّمه لها من التحف والخدمات ما لم يتمكّن به غيره[5].

وتذكر المصادر التاريخيّة أنّ الحكم قد لفت انتباهه تصرّفات محمّد بن أبي عامر، وتقرّبه بالهدايا من زوجته بما يوحي عن أمر يدبّره في قابل الأيام فأوجس منه خيفة على مستقبل بني أميّة في حكم الأندلس فوصفه: "بحسن الخدمة وموافقة المسرّة وسعة البذل في باب الإتحاف والمهاداة، حتى استهواها وغلب على قلبها، وكانت الغالبة على مولاها، وابن أبي عامر يجتهد في برّها والمثابرة على ملاطفتها، فيبدع في ذلك، ويأتيها بأشياء لم يعهد مثلها... وقال الحكم يوما لبعض ثقاته: "ما الذي استلطف به هذا الفتى حرَمنا حتى ملك قلوبهنّ مع اجتماع زخرف الدنيا عندهنّ، حتى صرن لا

[1]- خوليو رييس روبيو: **الأندلس بحثا عن الهوية الغائبة**، تر: غادة عمر طوسون ورنا أبو الفضل، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014، ص112.

[2]- **هشام بن الحكم المؤيد بالله**: بويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ستة وستين وثلاثمائة، وكان مولده في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وكان الذي تغلّب على أمره وتولى حجابته وتنفيذ أموره أبو عامر محمد بن عبد الله. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص38. المراكشي: المصدر السابق، ص72.

[3]- **أبو عامر محمد بن عبد الله (الحاجب المنصور)**:كان من أصل ابن أبي عامر في المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، من قرية تدعى طرشن، شريف البيت، قديم التعين، ورد شابا إلى قرطبة، وأخذ فيها العلم، طموح تدرّج في المناصب إلى أن حكم الأندلس. عبد الواحد المراكشي (محي الدين أبي محمد بن علي): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص72.

[4]- **صبح البشكنجية**: جارية استرقّت بالأسر من نافاردية، وصارت بين جواري القصر، فأحبّها الحكم وتزوّج بها، منحها ثقته وأنجبت له مولودا أسماه هشاما. ابن بسّام (أبو الحسن علي الشنتريني): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، ط1، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م، ج1، ص57.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص376.

يضعن إلاّ هداياه، ولا يرضيهنّ إلاّ ما آتاه، إنّه لسامر عليم، أو خادم البيت، وإنّي لخائف على ما بيده"[1].

وقد وقع ما كان يخشاه الحكم حقّا، فانفرد المنصور بالسلطة بعد تهميش الخليفة القاصر الذي لم يبق له من الخلافة سوى الدعاء له في المساجد، وحجبه عن النّاس قائلا: "إنّ الخليفة يتعبّد لله"[2].

فرض الحاجب[3] هيمنته العسكريّة على الممالك المسيحيّة في الشمال، فأوقع بها الهزائم، وحقّق الانتصارات، ورغم ذلك النفوذ فقد احترم مكانة الخلافة ولم يسقطها، فبقيت العهدة العامرية مدة ثلاثا وثلاثين عاما (366- 399هـ/976- 1009م)، تحكم الأندلس تحت ظلّ خلافة هشام الاسمية فقط[4].

إلى جانب حنكته السياسيّة التي وصفه بها ابن الخطيب في قوله: "كان آية من آيات الله في الدّهاء والمكر والسياسة"[5]، وفضلا على سعيه في متابعة الفتوحات الخارجيّة "معتمدا على مبدأ الجهاد في سبيل الله لكي يُكسب عمله الشّرعية الدّينيّة لضمان تأييد النّاس له"[6]، فقد بلغت غزواته الخمسين غزوة لم يهزم في واحدة منها[7]، ويروى عنه أنّه كان يجمع الغبار العالق على وجهه في غزواته، فكان الخدم يحفظون غبار وجهه بالمناديل، حتى صار منه صرة ضخمة، أوصى أن تكون حنوطا له عند موته[8].

---

[1]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص375.

[2]- المصدر نفسه: ج2، ص278.

[3]- **الحجابة**: جاء في مقدمة ابن خلدون: "وأمّا في الدولة الأمويّة بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء"، كان يتمتع الحاجب بوظيفة رئيس الحكومة، وهو بذلك أقرب الوزراء من الخليفة، ويمثّله في جميع سلطاته الفعليّة. ابن خلدون: **المقدّمة**، ج1، ص299. صالح صبحي: **النّظم الإسلاميّة نشأتها وتطوّرها**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1388هـ/1968م، ص306.

[4]- ج س كولان: **الأندلس**، تر: إبراهيم خورشيد وآخرين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1986، ص123 . 125.

[5]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 77.

[6]- وديع أبو زيدون: **تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص273.

[7]- وديع أبو زيدون: المرجع السابق، ص273.

[8]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص288.

فضلا على هذين الجانبين الهامين في قيادة الدّولة وتسييرها، وتجاوزا في الحكم عن شخصه من هذا الجانب أو ذاك، فإنّ المنصور كان يتميّز برجاحة العقل والأدب والعلم، إذ نشأ نشأة علميّة بالجزيرة الخضراء[1]، ولما برزت قرطبة كمهد للنهضة العلميّة قصدها وأخذ العلم عن ثلّة من مشايخها وعلمائها، مثل **أبي علي القالي** الذي أخذ عنه الأدب واللّغة، **وابن القوطية** الذي أخذ عنه النحو، **وأبي بكر بن معاوية القرشي** الذي أخذ عنه الحديث[2]، فليس غريبا أن تشهد الحركة الفكريّة والعلميّة في عهده شأنا كبيرا، يكفي أن مجلسه كان يمتلأ بالعلماء والأدباء والفقهاء الذين أكرمهم أيّما إكرام، فقد نظّم مجلسا أسبوعيّا بالزاهرة[3] يحضره جهابذة العلم والأدب يتجاذبون فيه أمور العلم والفقه والأدب، وذلك بحضوره شخصيّا، ولم يكن يمنعه حضور تلك المجالس إلاّ الجهاد[4].

ويذكر عنه ابن الأثير قوله: "وكان شهما شجاعا، قوي النّفس، حسن التدبير... وكان عالما محبّا للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنّفوا لها تصانيف كثيرة"[5].

هذا وجه آخر للحاجب الذي وصفته كثير من المصادر بالشدّة والطغيان، غير أنّ له وجها آخر مشرقا مشرّفا في حبّ العلم وتشجيع أهله، وأسهم في توسعة المسجد الجامع في قرطبة سنة (377هـ/987م) الذي "ضاقت الأرباض وغيرها، وضاق المسجد الجامع على حمل النّاس"[6]، ليسع بعدها عشرات الآلاف من المصلّين الذين قصدوا المسجد الجامع لطلب العلم، ويذكر أنّ المنصور قد استعمل الأسرى الإسبان في هذه التوسعة وانتهت الأشغال به سنة (380هـ/990م)[7]، ليستقطب بعدها طلبة العلم من داخل الأندلس وخارجها.

[1]- **الجزيرة الخضراء** وسطى مدن الساحل الجنوبي وأقرب مدن الأندلس مجازا إلى العدوة وهي أول ما فتح من الأندلس. الحميري: **الروض المعطار**، ص74.

[2]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص257.

[3]- **مدية الزاهرة**: مدينة متّصلة بقرطبة، بناها المنصور أبي عامر بعد تمكّنه من الدولة، شرع في بنائها سنة (368هـ/978م)، تغنّى بها الشعراء لروعة هندستها. الحميري: المصدر السابق، ص283 – 284.

[4]- عبد الواحد المراكشي(محي الدين أبي محمد بن علي): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص60. الحميدي: المصدر السابق، ص78.

[5]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 176.

[6]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص287.

[7]- وديع أبو زين: المرجع السابق، ص 281.

ولئن كان هذا شأن المنصور مع العلم فإنّه اتخذ موقفا معاديا لكتب التنجيم والفلسفة التي قام بإحراقها، والتي جلبت له العداء من بعض الباحثين الذين اتهموه تجاوزا بمواجهة الحركة العلميّة وتعثّرها "وكان من نتائج استبداده أن تعثّرت الحضارة الأندلسيّة في سيرها على أيامه"[1]، غير أنّ حقيقة الأمر كانت مخالفة لذلك تماما، فموقف المنصور من كتب الفلسفة والتنجيم كان لها باعثا سياسيّا الغرض منه التقرّب من الفقهاء المالكية المعادين لتيّار الفلسفة ودعاتها، وبذلك يمنع وصول الجدل إلى مسألة الخلافة والحجر على الخليفة، الأمر الذي يعزّز موقفه ونفوذه في المجتمع[2]، ولا يخدش ذلك من عقيدته أو يشكّك في صحّة دينه إذ كان "متّسما بصحّة باطنه، واعترافه بذنبه وخوفه من ربّه وكثرة جهاده، وإذا ذكّر بالله ذكر، وإذا خوّف من عقابه ازدجر"[3]، تلك كانت حقيقة المنصور العلميّة والعقديّة بعيدا عن طموحاته السياسيّة التي حاول تجسيدها مدة خمس وعشرين سنة من حكمه.

وخلاصة القول أنّ المرحلة العامرية لا تقلّ شأنا في الاهتمام بالتعليم ونشره بين النّاس، وإن نُعت المنصور بالاستبداد السياسي في تحجيره على خليفة المسلمين، إلاّ أنّه في الجانبين العلمي والثقافي لم يتوان في الحفاظ على المستوى الذي ظهر في عهد الخلفاء "وربّما كان من عوامل استمرار الثقافة الأندلسيّة في تلك الفترة أنّ المنصور بن عامر كان على صلة قديمة بالثقافة قد ارتبط بها منذ نشأته وأنّه كان على صحبة قويّة للعلماء قد أخذ نفسه بها منذ ولايته"[4]. فكانت مرحلته بذلك امتدادا لفترة الازدهار العلمي التي حاول الخلفاء نشرها من قبله في قرطبة وما جاورها.

1- أنخل جونثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955، ص 12–13.

2- المقري: المصدر السابق، ج 1، ص 211.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 2، ص 289.

4- أحمد هيكل: **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، ط6، القاهرة، 1971، ص 274.

ثانيا ـ الرّحلات العلميّة ودورها في تطوير التعليم:

ارتبطت الرّحلة العلميّة[1] بمسار العلماء وتحصيلهم، وغالبا ما تكون الرّحلة بعد استكمال المراحل الأولى من التّعليم التي تكون في مسقط الرأس "وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمّات التي ببلده فليرحل إلى غيره"[2]، والغرض من الرّحلة تنمية قدرات الطّالب، واكتسابه المزيد من المعارف والخبرات "فالرّحلة لابدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال"[3]، ويتحقّق ذلك بالجلوس إلى أهل العلم والراسخين فيه من المشايخ، فمجالستهم مكسب ينهل منه طلبة العلم ويتخصّصون وفي ذلك يقول ابن خلدون: "على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها... فلقاء أهل العلوم وتعدّد المشايخ، يفيده تمييز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرّد العلم عنها، ويعلم أنّها أنحاء تعليم وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرّسوخ والاستحكام في الملكات، ويصحّح معارفه ويميّزها عن سواها، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعدّدهم وتنوّعهم"[4].

ساهمت الرّحلة العلميّة في توحيد ثقافة العالم الإسلامي، فرغم الاختلاف السياسي بين المشرق، إفريقية، والأندلس، إلاّ أنّ العالم الإسلاميّ كان مهدا للعلماء يتنقّلون ذهابا وإيّابا حتى شبّهت حركتهم بحركة النّمل تأكيدا على النّشاط الذي عرفته الرّحلة خاصة بين الأندلس والمشرق الإسلامي[5]، ويمكن إرجاع هذا الترابط بين الأندلس والمشرق إلى عاملين أساسيين:

---

[1]- **الرّحلة العلمية**: الرحلة في اللغة مشتقّة من الفعل رحل يرحل رحيلا، وارتحل القوم بمعنى انتقلوا، ورجل رحول وقوم رُحّل أي يرتحلون كثيرا، والراحلة هي النّاقلة، وفي الاصطلاح: الرحلة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معيّن ماديا كان أو معنويا. ابن منظور: المصدر السابق، ج11، ص 276- 277. مجد الدين محمد ب يعقوب الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص1005. عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، مكتبة دار العربي للكتاب، ط1، القاهرة، 1996، ص15.

[2]- الشهر زوري بن الصلاح (أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن): **علوم الحديث**، تح: نور الدين عتر، دار الفكر، (د.ط)، دمشق، 1986، ص 246.

[3]- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي): **المقدّمة**، تح: أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت، (د.ط)،2001، ص618.

[4]- المصدر نفسه، ص 618.

[5]- أحمد أمين: **ظهر الإسلام**، مر: شفيق البسيط، المكتبة العصريّة، ط1، صيدا، بيروت، 2006، ج3، ص26.

أ) الشوق والحنين للمشرق العربي، فهو مركز الأمة وفيه تاريخها، وكانت رغبة الأمويين في الأندلس منذ عام (138هـ/756م) هي بعث مجد أجدادهم الضائع في دمشق، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالتواصل المستمرّ مع المشرق.

ب) الرّغبة الملحّة لدى طلبة العلم في الاستزادة من المعارف والعلوم بشدّ الرّحال نحو المشرق والجلوس إلى علمائه الذين ذاع صيتهم في العالم.

وفي حقيقة الأمر اتخذ الخلفاء الأندلسيون من المشرق الإسلامي المثل الأعلى، فكانت قرطبة في بداية نهضتها تتخذ من بغداد نبراسا يحتذى به، فكان المشرق بذلك منطلقا لتلك الثقافة الرّائدة في بلاد الأندلس، كيف لا وهو منبع الدين والعلم، وموطن القداسة والحجّ[1]، وهو الأمر نفسه الذي ذكره صاحب كتاب الذّخيرة الذي وصف تعلّق أهل الأندلس بالشرق بطريقة مميّزة ورائعة تنمّ عن الانتماء الحقيقيّ للسكان وعاطفتهم الجيّاشة نحو بلاد الشرق الإسلامي إذ يقول: "إنّ أهل هذا الأفق أبوا إلاّ متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطنّ بأقصى الشّام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما"[2].

إنّ اعتماد الأندلس على بلاد المشرق في بداية التكوين الحضاري لا ينقص البتّة من مكانته بل كان من الضرورة الاعتماد على المشرق وإرسال البعثات العلميّة نحوه، ومخالطة العلماء فيه، ليتخرّج بعدها علماء مجازون عادوا إلى الأندلس فحوّلوها إلى مركز علميّ يقصده الطلبة من أصقاع المعمورة كلّها، فالبدايات الأولى كانت ضروريّة لبناء تلك المرحلة الهامة من تاريخ الأندلس[3].

ولقد استغلّ الخليفة عبد الرحمن النّاصر لدين الله الفتنة الواقعة في بغداد بين الأمين والمأمون، والتي أدّت إلى نهب قصور الخلافة العباسيّة بما فيه الكتب القيّمة والنفيسة، فوكّل عبّاس بن ناصح بابتياعها وإحضارها إلى الأندلس وأهمّها كتب الفلسفة[4]، وهذا العمل ساهم حقّا في نقل المؤثرات المشرقيّة إلى بلاد الأندلس والاستفادة منها لبعث النهضة الفكريّة الجديدة.

1- طه عبد المقصود: **الحضارة الإسلامية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج2، 2004، ص477.

2- علي بن بسام الشنتريني: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1997، ص12.

3- طه عبد المقصود: المرجع السابق، ج2، ص667.

4- ابن حيان: المصدر السابق، ص288.

1- اتجاهات الرحلة العلميّة:

أ) حواضر المشرق الإسلامي:

كانت الرحلة نحو المشرق هدفا يسعى إليه كلّ طالب علم في الأندلس، فكانت بمثابة "فريضة ثقافيّة يؤدّونها"[1]، وقد كانت فريضة الحجّ عاملا أساسيّا في تشجيع الرّحلات من الأندلس إلى المشرق الإسلامي، إذ كانت تصنّف الرحلات إلى مكة المكرّمة بدافع العبادة وأداء ركن من أركان الإسلام وهو الحج، ثم تطوّرت الرحلة فصار هدفها الأساس طلب العلم[2]، ومن المؤكّد أنّ الرّحلات العلميّة كانت ظاهرة علميّة شهدتها بلاد الأندلس لدرجة أنّه يتعذّر إحصاء عدد تلك الرّحلات، وهي حقيقة يذكرها المقري في قوله: "اعلم أنّ حصر أهل الارتحال إلى المشرق لا يمكن بوجه ولا حال، ولا يعلم ذلك على وجه الإحاطة إلاّ علاّم الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام"[3].

ولقد اتخذ الأمراء والخلفاء من هؤلاء العلماء المرتحلين مؤدّبين لأبنائهم كما فعل عبد الرحمن الأوسط مع **الفقيه عثمان بن المثنى** (ت:273هـ/868م)، وسمع الحكم بن عبد الرحمن من **سعيد بن جابر بن موسى الكُلاعي الاشبيلي** (ت: 325هـ/936م)، والذي سمع بدوره من كبار علماء المشرق منهم: أحمد بن شعيب السبئي، وعلي بن سعيد الرازي[4].

واهتم عبد الرحمن النّاصر باستقدام كلّ من ذاع صيته في العلم من أبناء الأندلس نحو قرطبة قصد الاستفادة من علمهم كما فعل مع **الفقيه وهب بن مسرة** (ت: 346هـ/957م)، فسمع النّاس عنه المدوّنة ومسند ابن أبي شيبة وغيرهما[5].

كان التوجّه الغالب للأندلسيين صوب الحجاز ومصر بالدرجة الأولى، ثمّ إفريقيّة بالدرجة الثانيّة، ويرجع السبب الأوّل لاختيارهم دون شكّ هو التوجّه للحجّ، وكذلك هناك سبب آخر يتمثّل

1- طه عبد المقصود: المرجع السابق، ج2، ص667.

2- عمارة مختار: **الرحلة العلمية الأندلسيّة إلى حواضر المشرق وأثرها على النهضة العلميّة في الأندلس خلال العهد الأموي (138هـ - 422هـ/755م - 1030م)**، مقال بمجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، العدد:02، المجلد 07، 2020/07/30، ص110 - 123.

3- المقري: المصدر السابق، ج2، ص05.

4- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 176 –177/ 196 –197.

5- المصدر نفسه: ج1، ص 194 – 195.

في توجّه طلبة العلم حيث ينتشر المذهب المالكيّ، فالمدينة مهد الإمام مالك بن أنس، وبها كثير من العلماء أمثال: **أشهب بن عبد العزيز**(ت204هـ/820م)، **ونافع بن أبي نعيم المقرئ** (169هـ/786م)، وكذلك مصر ظهر بها علماء كثر للمذهب المالكيّ مثل **أصبغ بن الفرج** (ت:225هـ/840م)، **ويونس بن عبد الأعلى** (ت:264هـ/878م)، أمّا إفريقيّة فقد انتشر بها المذهب المالكي واستقرّ به الحال، ومن علمائها **سحنون بن سعيد التنوخي** (ت:240هـ/854م)...تلك بعض دوافع اختيار الأندلسيين لهذه المناطق في رحلاتهم مع قلّة توجّههم للعراق وبلاد الشام رغم انتشار علم الحديث والنحو بهما[1].

ب) رحلة علماء المشرق إلى الأندلس:

عرفت مرحلة **عبد الرحمن النّاصر** (300 ـ 350هـ)، وابنه **الحكم المستنصر** (350 ـ 366هـ)، رحلة العديد من العلماء المشارقة إلى بلاد الأندلس، حيث عرفت مرحلتهما عناية خاصة بالعلم والعلماء الذين ملئوا جوانب الأندلس علما وتعليما من أمثال **أبو علي القالي، وصاعد البغدادي**، فأكرم الحكم المستنصر وفادة الكثير من العلماء القادمين إلى بلاده، إذ عرض جراية على **حباشة بن حسن اليحصبي القيرواني** (ت:374هـ/985م) من أجل جلوسه للفتيا، كما أكرم المستنصر وفادة **الفقيه الشافعي محمد بن أحمد البغدادي** (ت: 373هـ/983م)، ورفع منزلة العديد من العلماء غيرهم ممن وفد على الأندلس في عهده[2]، وأقدم المنصور بن أبي عامر بعده وفادة الأديب واللغوي **صاعد بن الحسن البغدادي** (ت:417هـ/1026م)، وزاد في الإحسان إليه، وقد ألّف للمنصور كتاب "الفصوص" على غرار كتاب "النوادر" لأبي علي القالي[3].

عموما حظي علماء المشرق بمكانة كبيرة لدى أهل الأندلس، وليس ذلك غريبا عليهم فهم "يحبّون العلم وأهله"[4]، فازدحموا على مساجد قرطبة والزهراء يستمعون إليهم ويأخذون عنهم، ولقي

1- عمارة مختار: المرجع السابق، ص 114.

2- الخشني (أبوعبد الله محمد بن الحارث): **أخبار الفقهاء والمحدّثين**، تح: ماريا لوديسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، (د.ط)، مدريد، 1991، ص 178.

3- الحميدي: المصدر السابق، ص 240.

4- المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تع: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ص 236.

أولئك العلماء من العناية والمكانة ما لم ينالوها في بلدانهم التي جاءوا منها[1]، ممّا جعلهم يفضّلونها أحيانا على أوطانهم التي قدموا منها، ويرفضون العودة إليها، بل هناك من توفّته المنيّة بالأندلس راضيا وقانعا بالحال التي وجدها، ومفضّلا إيّاها على وطنه الذي ولد فيه.

ولقد خصّص المقري في ذلك بابا للحديث عن أولئك العلماء الوافدين من بلاد المشرق إلى الأندلس قائلا: "اعلم أنّ الدّاخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها وطنا، وصيّرها سكنا إلى أن وافته منيّته ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضيت بالأندلس منيّته"[2].

2- نتائج الرحلات العلمية للأندلسيين:

يمكن تحديد نتائج الرحلات العلميّة للأندلسيين نحو المشرق الإسلامي في الآتي:

أ) صقل معارف وعلوم طلبة العلم، حتى صار لهم شأن كبير في زمنهم، ونذكر منهم الشاعر **عباس بن ناصح الثقفي** الذي التقى بكبار الأدباء كالأصمعي، وعاد إلى الأندلس متألّقا لمع اسمه بين أدباء عصره، فضلا عن الأديب الشاعر **فرج بن سالم القرطبي** الذي لقي الجاحظ وأخذ عنه كتاب "البيان والتبيين"، ثمّ دخل الأندلس وعلّم أبناءها ما أخذه من علم في المشرق[3]، كما استفاد **عمر وأحمد ابنا يونس بن أحمد الحراني** من رحلتهما إلى بغداد والتي أقاما فيها نحو عشرة أعوام يتعلمان كتب جالينوس على يد **ثابت بن سنان الصابئ**، ليرجعا سنة (351هـ) نحو الأندلس ويكونان في خدمة الخليفة الحكم المستنصر، وكذلك الشأن بالنسبة **محمد بن عبدون الجبلي** الذي ارتحل إلى مصر والبصرة سنة (347هـ) وتمهّر في الطب ليرجع بعدها إلى موطنه سنة (360هـ) بعد أن بلغ شأنا كبيرا في عهد الحكم المستنصر وابنه[4].

وما أن حلّ القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حتى أصبح الأندلسيون يعتمدون على أنفسهم في تكوينهم العلمي دون الانقطاع عن المشرق بل بقوا على اتصال مستمرّ بعلمائه ربما

[1]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 76.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 05.

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 243 – 340 – 341.

[4]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 80-81.

بشكل أقلّ، ويمكننا وصف هذه المرحلة بمرحلة الاستقلال الفكري والعلمي عن باقي الأقاليم الإسلاميّة[1].

ب) من نتائج الرحلة العلمية التي قام بها علماء الأندلس دخول مذهب **الإمام مالك بن أنس** وموطأه، بعد أن كانت الأندلس على مذهب **الإمام الأوزاعي**، وينسب إدخال المذهب لمجموعة من العلماء يأتي في مقدّمتهم **زياد بن عبد الرحمن اللّخمي** المعروف **بزياد شبطون** الذي لقي مالكا وروى عنه الموطأ ونشره بالأندلس، فضلا عن **غازي بن قيس** الذي أخذ الموطأ عن مالك وأدخله الأندلس كما أدخل رواية **الإمام نافع عن أبي نعيم**[2]، ولا ننسى دور **الفقيه يحي بن يحي اللّيثي** الذي مكّن من انتشار المذهب المالكي في الأندلس بعد أن سمع عن إمامه في المدينة المنوّرة فنقل المذهب والموطأ[3]، ولا يمكننا تجاهل رحلة **بقي بن مخلد** التي جلب بها للأندلس علم الحديث والرواية، فمكّن من اطلاع النّاس على مصنّف ابن أبي شيبة، وفقه الإمام الشافعي فكانت الإضافة والتنوع في مصادر الفقه والحديث وإن ظلّ المذهب المالكي السائد في بلاد الأندلس[4].

ج) من النتائج المترتبة عن الرحلات العلمية، دخول الكتب والمؤلّفات، والتي تعدّ من أهمّ العوامل المساهمة في انتقال المؤثرات المشرقيّة لبلاد الأندلس، وساهم في نقل تلك الكتب فضلا عن طلبة العلم، الرحالة والتجار الذين اعتمدوها وسيلة للربح، ومنهم من تقرّب بها للحكام والعلماء[5]، وتزامن ذلك مع العناية والحرص الشديدين للأمراء والخلفاء الأمويين في بلاد الأندلس لاقتناء النفائس من المؤلفات في بلاد العالم، وقد برز هذا التوجه في عهد عبد الرحمن الأوسط الذي أرسل **عباس بن ناصح الجزيري** (ت:238هـ/853م) إلى العراق لاقتناء ونسخ أقدم الكتب، فضلا عن الدور الذي قام به الحكم المستنصر الذي وظّف وراقين دورهم نسخ الكتب في بلاد المشرق الإسلامي وتزويد المكتبات الأندلسية بها، وكان يراسل أصحاب المؤلفات ويغدق عليهم

---

[1]- حمزة مريقي: **الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجري**، دورية كان التاريخية، العدد:32، السنة التاسعة، (د.ب)، يونيو 2016، ص 73 - 81.

[2]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 183 – 387.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 382 – 383.

[4]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص107، وما بعدها. عمارة مختار: المرجع السابق، ص117 - 118.

[5]- عمارة مختار: المرجع السابق، ص 118.

بالأموال مقابل نسخة من مؤلفاتهم كما فعل مع **أبي الفرج الأصفهاني** (ت:356هـ/967م) الذي منحه ألف دينار مقابل نسخة من كتاب الأغاني، وكذلك فعل مع **القاضي أبي بكر الأبهري** (ت:375هـ/986م) في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم[1]، وسأحاول توضيح أهمّيّة الكتب والمكتبات ودورها في تطوير الحركة العلمية بالأندلس في العنصر الموالي من هذا المبحث.

ثالثا– المكتبات والكتب ودورهما في الدفع بحركة التعليم:

ازدهرت حضارة الأندلس في فترة الحكم الأموي للبلاد، فقد عُرفت الأسرة الأموية بحبّها للعلم واحترامها للعلماء، فأثمرت تلك الجهود العلمية بشغف الأندلسيين للقراءة وحبّ الاطلاع وازداد شغفهم بالكتب ونما لدرجة قصوى جديرة بالإعجاب حقّا[2]، ولم تكن عملية جمع الكتب حكرا على الخلفاء وحدهم، وإنّما تعداهم ليشمل عامة الأندلسيين إذ كانت عملية اقتناء الكتب من علامات الرفعة والسؤدد في المجتمع، فلا يكاد يخلو بيت من مكتبة حتى وإن لم يكن أصحابه على قدر من المعرفة[3]، فصار ذلك عندهم "من آلات التعيين والرياسة حتى إنّ الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس إلاّ لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلانيّ ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخطّ فلان قد حصله وظفر به"[4].

وممّا يبيّن اهتمام أهل قرطبة بالكتب وتهافتهم على اقتنائها، ما ذكره المقري على لسان الرّحّالة أبي يحي الحضرمي، الذي عرف عنه اقتناء الكتب وجمعها، إذ دخل سوق الكتب بقرطبة لشراء كتاب، وقد جرى العرف أن يتمّ البيع بالمزاد بواسطة خبير مثمّن، وجاء على لسانه: "أقمت مرّة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدّة أترقّب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخطّ فصيح وتسفير مليح، ففرحت به أشدّ الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ، إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلت له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخصا عليه لباس رياسة، فدنوت منه وقلت له: أعزّ الله سيّدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حدّه، فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمّل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها

---

[1]- بن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص201 – 202. المقري: المصدر السابق: ج1، ص 386.

[2]- ريبرا خوليان: **المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية**، مجلّة المخطوطات العربية، مج4، ماي 1958، ج1، ص94.

[3]- حامد الشّافعي دياب: **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص95.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص463. ريبرا خوليان: المرجع السابق، ص71.

موضع يسع هذا الكتاب، فلمّا رأيته حسن الخطّ جيّد التجليد، استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير، قال الحضرميّ: فأحرجني، وحملت على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرا إلاّ على من مثلك، يعطى الجوز من لا له أسنان، وأنا الذي أعلم ما في الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا، وتحول قلّة ما بيدي بيني وبينه"[1].

تلك حال سوق قرطبة التي اشتهرت ببيع وتجارة الكتب، وتنافس مقتنيها وإن كانوا من غير أهل العلم، فجمع الكتب زينة يتفاخر بها الأندلسيون كما يفتخرون بجمال اللباس، ونلاحظ من النّص فوائد وعبر كثيرة أهمها اهتمام الأندلسيون بالكتب لدرجة تخصيص سوق خاصة يتمّ فيها بيع وشراء الكتب بجميع عناوينها وتخصّصاتها، إضافة إلى اهتمامهم بالمستوى الفني للكتاب من حيث نوع الخط والتجليد، والأهم من كلّ هذا تهافت الأندلسيون على شراء الكتب ولو بأغلى الأثمان حتى وإن كان المشتري لا يفقه شيئا عن الكتاب ومحتواه[2].

ولقد خلص الأستاذ حامد الشافعي دياب من النّص إلى جملة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها في النقاط التالية[3]:

أ) كانت هواية جمع الكتب واقتنائها لها أكبر الأثر في توسيع دائرة التأليف، وإحداث ريادة في حركة النسخ، وتنشيط مستمرّ لحركة بيع الكتب.

ب) كانت هذه الهواية وراء إنشاء المكتبات وخاصة في قرطبة التي مثّلت أكثر بلاد الأندلس انتشارا للكتب، وأصبح أهلها أشدّ النّاس حرصا في إنشاء المكتبات.

ج) أكثر أنواع المكتبات التي ظهرت في بلاد الأندلس كانت من فئة المكتبات الخاصة، التي أنشأها الأفراد على اختلاف مستوياتهم الفكرية والاجتماعيّة.

د) ساعدت هواية جمع الكتب على نشر التعليم ومحو الأميّة، حتى صار أغلب السّكان يحسنون القراءة والكتابة، وقد عدّت الأندلس من البلاد القليلة التي تراجعت فيها الأميّة حتى زالت أو كادت تزول.

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص463. محمّد إبراهيم زغروت: **مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوربا**، مجلة البحوث الإسلامية، العدد: 17، 1406هـ، ص338 - 339.

[2]- محمد إبراهيم زغروت: المرجع السابق، ص114.

[3]- حامد الشافعي دياب: المرجع السابق، ص97.

لم يكن الاهتمام بالمكتبات حكرا على قرطبة وحدها وإن كانت هي الرائدة في هذا المجال، بل تعداه إلى مدن أخرى في الأندلس شهدت هي الأخرى تطورا علميّا متقدّما على غرار إشبيلية، طليطلة، مرسية، غرناطة...إذ برزت في غالبية المدن مكتبات ثريّة عكست حجم النهضة الفكريّة الحقيقيّة "خلال الازدهار العظيم للثقافة الإسلامية في الأندلس، كان هناك ما يقارب سبعين مكتبة عامة"[1]، وكان يوجد "في قرطبة وحدها عشرون مكتبة"[2]، ويمكن في هذا العرض تحديد نوع المكتبات كما يلي:

أ) مكتبات الجوامع والمساجد:

وهي قديمة قدم ظهور الدّين الإسلامي وانتشاره في بلاد الأندلس، إذ جرت العادة في البلاد الإسلاميّة أن يوقّف النّاس مصاحف وكتبا دينيّة في المساجد يستفيد منها طلبة العلم، خاصة إذا علمنا أنّ المسجد يعدّ أوّل مكان للتعلّم، ومن أهم المكتبات المسجديّة، مكتبة جامع قرطبة، وجامع طليطلة، فبعد سقوط هذه الأخيرة سنة (478هـ/1085م) إثر حصار ملك قشتالة ألفونسو السادس، وُجد بأحد مساجدها مكتبة غنيّة، بلغت شهرتها أقصى البلاد النصرانيّة في الشمال[3].

ب) المكتبات الخاصّة:

وهي التي تخصّ أفرادا بعينهم، أنشئوها على نفقاتهم الخاصة، رغبة منهم في السمعة والفخر، وربّما غريزة غلبت على بعض الخواص تُعرف بحبّ التملك وهي "غريزة فطرية في الإنسان، وحينما توجد كتابة وكتب، تجد تلك الغريزة مجالها للانطلاق، ومن أجل ذلك ظهرت المكتبات الخاصّة في الدول الإسلاميّة منذ وقت مبكّر"[4].

ويعود سبب التملّك بشكل كبير في الأندلس إلى "انتشار استعمال الورق ورخص ثمنه وهبوط أثمان الكتب، نتيجة لرخص المواد التي تُصنع منها، ولرخص أجور النسخ والتجليد"[5].

---

[1]- محمد محمد أمان: **الكتب الإسلامية**، تر: سعد بن عبد الله الضبيعان، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، 1990، ص 66.

[2]- سيغريد هونكه: المرجع السابق، ص499.

[3]- دي بور، ت ج: **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، تع: عبد الهادي أبوريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1957، ص417.

[4]- عبد الستار الحلوجي: **لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات**، دار الثقافة، القاهرة، 1982، ص39.

[5]- محمد ماهر حمادة: **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1970، ص86.

وقد حدّد المستشرق الإسباني خوليان ربيرا عددا من أصحاب المكتبات الخاصة في بلاد الأندلس[1]، على غرار مكتبة **القاضي أبو مطرف عبد الرحمن بن فطيس** (348هـ - 402هـ)، والذي يقول عنه ابن بشكوال: "كان حسن الخط، جيّد الضبط، جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، مع سعة الرواية والحفظ والدراية، وكان له ستة وراقين ينسخون دائما وكان قد رتّب لهم على ذلك راتبا معلوما، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من النّاس طلبه للابتياع منه وبالغ في ثمنه فإن قدر على ابتياعه وإلاّ انتسخ منه ورُدّ إليه...وبلغ من كثرة كتبه أنّ أهل قرطبة اجتمعوا - بعد وفاته - لبيع كتبه مدّة عام كامل في مسجده، وإنّه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسميّة"[2].

وكذا **أبو الوليد ابن الفرضي الحافظ القرطبيّ** المشهور (351 - 403هـ/962 - 1013م) والذي وصفه ابن بشكوال بأنّه: "كان جمّاعا للكتب فجمع منها أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد"[3]، وكان واسع العلم والمعرفة في علوم شتى "جمع علما كثيرا في فنون العلم"[4].

هذان نموذجان يعكسان اهتمام الخواص بالمكتبات وإنفاقهم الشيء الكثير من أجل الكتب وتحصيل العلم، ومن باب الإنصاف نشير إلى أنّ المرأة في الأندلس لم تكن بعيدة عن هذا المشهد في جمع الكتب وذلك دليل اهتمامها بالعلم والتعلّم، ويذكر ابن بشكوال عن **عائشة بنت أحمد** (ت: 400هـ/1009م) أنّها كانت تمتلك مكتبة عامرة، مع تميّزها بإجادة النّسخ وحسن الخطّ[5].

فالكلّ في جمع الكتب مهتم "والكلّ يمارس بشغف وسائل كسب العلم وتحصيله لا يبالون ما ينفقون وما يتجشّمون من صعاب في السّفر وتكاليف في الحضر، باذلين الصّبر والجهد والسّهر في طلبه وطول المعاناة في كسبه"[6].

[1]- خوليان ربيرا: المرجع السابق، مج5، ج1، ص72 – 73.

[2]- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف عبد الملك): **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، 1955، ج1، 298 – 299.

[3]- المصدر نفسه: ج1، ص253.

[4]- المصدر نفسه: ج1، ص252.

[5]- المصدر نفسه: ج2، ص692.

[6]- عبد الرحمن علي الحجي: **دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي**، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، أبو ظبي، 2007، ص151.

وكان يقول قائلهم: "اليوم لي منذ أخدم هذه الكتب وأعانيها ستون سنة"[1]. فعلا زمن طويل وجهد كبير يبذل في اقتناء الكتب وجمعها، فعدّ بذلك جمع الكتب ضرورة أصيلة، بل جزء وثيق من الحياة لا يمكن الاستغناء عنه في الأسرة الأندلسية.

ج) المكتبات المحبّسة (الوقفيّة):

جرت العادة في بلاد الأندلس على تحبيس أشياء كثيرة تجري منفعتها على عامة المسلمين، ومن تلك الأشياء تحبيس الكتب والمكتبات، وهي من باب تقديم العون للطلبة وتسهيل طرق البحث عندهم، ويعدّ ذلك من أعمال البرّ والخير التي دأب عليها أصحاب المكتبات احتسابا لوجه الله تعالى، ونذكر هنا ثلّة من أولئك الذين حبّسوا كتبهم ومكتباتهم على غرار **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي الأشبيلي** المعروف **بابن الرومية** (561 ـ637هـ/1166 ـ 1239م) الذي كان "كثير الكتب، جمّاعا لها في كلّ فنّ من فنون العلم، سمحا لطلبة العلم، ربّما وهب منها لملتمسه الأصل النّفيس الذي يعزّ وجوده، احتسابا وإعانة على التعليم، له في ذلك أخبار منبئة عن فضله وكرم صنعه، وكان كثير الشغف بالعلم، والدؤوب على تقييده ومداومته، سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته وحاجات النّاس إليه، إذ كان حسن العلاج في طبّه المورود، الموضوع لثقته ودينه"[2].

وكان من عمل أصحاب المكتبات الخاصة والعلماء توقيف مكتباتهم أو جزء منها بعد وفاتهم ويعتبر عبد الرحمن علي الحجي هذا العمل "تشريع اجتماعي بليغ المعنى عميق القيمة كبير المدلول، ذو أثر بيّن، ضخم النتيجة"، ويضيف قائلا: "وهو عنوان المحبّة للنّاس والاهتمام بمصالحهم والعمل بما ينفعهم، وهو تعبير عن رابطة خيّرة تلغي طابع المصلحة الذاتية والنفعيّة بأي صورة، وتتجاوز حبّ الذّكر، وتزيل معاني الحقد والمنافسة الفرديّة الأثرة وتؤكّد الإيثار، وتربي المحبّة الصادقة، تحمل التفكير والاهتمام بصالح المسلمين العام المستمر في حياة فاعلها وبعد وفاته"[3].

والأمثلة كثيرة في الذين وقّفوا كتبهم في بلاد الأندلس احتسابا لوجه الله تعالى نذكر منهم:

– **قاسم بن سعدان بن إبراهيم** (ت:347هـ/ 959م) من أهل رية وسكن قرطبة، أوقف مكتبته بعد وفاته على طلبة العلم، ويذكر ابن الفرضي أنّه "كان ضابطا لكتبه متقنا لروايته، حسن الخط،

[1]- ابن بشكوال: **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، ج1، ص216.

[2]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص215 – 216. عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص93.

[3]- عبد الرحمن علي الحجي: المرجع نفسه، ص95.

جيّد الضبط، عالما بالحديث، بصيرا بالنحو والغريب والشعر...ولا أعلم أحدا بالأندلس أعنى بالكتاب عنايته. ولن يزل في نسخ ومقابلة إلى أن مات...وحبّس كتبه فكانت موقوفة عند محمد بن محمد بن أبي سليم، وكثير من سماعنا عليه فيها"[1].

- **أبو عمر هارون بن سالم** (ت:238هـ/853م) وهو من أهل قرطبة "كان منقطع القرين في الفضل والزهد والعلم، وكان يقال فيه أنّه مجاب الدّعوة، وكان يحفظ المسائل حفظا حسنا، وكانت كتبه موقوفة عند أحمد بن خالد"[2]، وهو قريبه طريق أمّه[3].
- **الحافظ الحميدي الأندلسي** (ت:488 هـ/1095م) صاحب المصنّفات وهو "من أهل العلم والفضل والتيقظ، لم أر مثله في عفّته ونزاهته وورعه، وتشاغله بالعلم... وقّف كتبه على أهل العلم رحمه الله تعالى"[4].

د) المكتبات العامة:

وهي التي تشنؤها الدولة وتشرف عليها، عادة ما تخصّص لعامة النّاس ومقصد طلبة العلم من كل مكان، وذكر القلقشندي خزائن الكتب في العالم الإسلامي: "كانت ثلاث هي: خزانة الخلفاء العباسيين في بغداد، والفاطميين في مصر، والأمويين في الأندلس"[5]. وما زالت في إسبانيا أهم مكتبة تحافظ على التراث الإسلامي في الأندلس هي مكتبة (الإسكوريال) ـ على مسافة 49كم غربي مدريد ـ تحتوي مجموعات المكتبة على ستين ألف مجلّد[6].

ومن أهم المكتبات العمومية مكتبة قرطبة التي أنشأها محمد الأول (238 ـ 273هـ) والتي قيل أنّها "أحسن ما في مدينة قرطبة"[7]، اعتنى عبد الرحمن الناصر من بعده بالمكتبة، ولأنّه عرف بحبّه للكتب وشغفه بالقراءة فقد أهداه الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع كتابان نفيسان (هيروشيش وديسقوريدس) الأول في التّاريخ والثاني في النّباتات الطبيّة[8]، ولما بلغ الأميران الحكم ومحمّد الدراسة

1- ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج1، ص367.

2- ابن حيان: **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، ج2، ص221.

3- عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص97.

4- المقري: المصدر السابق، ج2، ص114 ـ 115.

5- القلقشندي(أبو العباس أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1919، ج1، ص466.

6- محمد عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية في إسبانيا والبرتغال**، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1961، ص432.

7- خوليان ريبرا: المرجع السابق، ص54.

8- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، 121.

والتعلّم تنافسا في جمع الكتب ولم يرضيا عن مكتبة أبيهما، فراحا يتنافسان في جمع الكتب حتى شكّلا لنفسيهما مكتبتان نفيستان، وعندما توفي محمّد آلت مكتبته لأخيه الحكم وورثها عنه[1].

بعد وفاة الخليفة **عبد الرحمن الناصر** تولّى الخلافة بعده **الحكم المستنصر**(350– 366هـ) حيث امتازت فترته على قصرها بنشاط علمي زاهر تبوّأت خلالها الأندلس مكانة مرموقة بين الأمم واهتم الخليفة الحكم بالعلم والعلماء، وأنشأ سبعا وعشرين مدرسة لعامة أبناء الأندلس مجّانا تكفّل بدفع أجور المعلّمين من ماله الخاص، ولتطوير المكتبة نشر رجاله في أقطار العالم الإسلاميّ لاقتناء الكتب بأغلى الأثمان، فاشتروا بعضها من مؤلفيها لتصدر في الأندلس قبل غيرها من البلدان[2].

وقد ذكر المقري أنّه كان "محبّا للعلوم، مكرما لأهلها، جمّاعا للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله"[3]، ويذكر عنه ابن الآبار أنّه "لم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمّم بها"[4]، فتكوّنت مكتبة الحكم الثاني من اجتماع مكتبة القصر التي حوت كلّ ما جمعه سلفه من الكتب، ومكتبة أخيه محمّد التي ورثها منه، ومكتبته الخاصة، إذ بلغ عدد كتب على أصدق الرّوايات أربعمائة ألف مجلّد[5].

ويذكر ابن حزم محتويات مكتبة الخليفة الحكم فيقول: "وأخبرني (قليد) الفتى ــ وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس ــ أنّ عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كلّ فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلاّ ذكر أسماء الدواوين فقط"[6].

وحقيقة يظهر أنّ المكتبة كانت كبيرة جدّا، أضف إلى ذلك أنّها كانت مقسّمة حسب التخصّصات، فمن نص ابن حزم يبيّن أنّ (قليد) كان يشرف على خزانة العلوم فقط، أي أنّ هناك خزائن أخرى حسب التخصّص يشرف عليها آخرون، وهذا كلام منطقيّ يشرحه المقري في تحديد عدد المجلّدات والمدة التي تمّ فيها نقل الكتب إلى مبنى جديد في عهد الحكم الثاني فيقول: "إنّه جمع

1- ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ص206.

2- حامد الشافعي دياب: المرجع السابق، ص111.

3- المقري: المصدر السابق، مج1، ص386 - ص395. سيغريد هونكه: المرجع السابق، ص500 – 501.

4- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص201.

5- حامد الشافعي دياب: المرجع السابق، ص111.

6- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط3، مصر، 1391هـ، ص100. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج4، ص146. المقري: المصدر السابق، ج1، ص387.

من الكتب ما لا يحدّ ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل إنّها كانت أربعمائة ألف مجلّد، وإنّهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها"[1]، وهذا الرأي يدعمه الكثير من الباحثين في سيرة الحكم العلميّة[2].

وما يحزّ في النفس أنّ هذا الجهد الكبير في جمع الكتب وما أنفق فيها سيذهب أدراج الرّياح مع ظهور الفتن التي قصمت ظهر الخلافة الأموية في بلاد الأندلس، وانقسمت الدولة القويّة إلى مجموع دويلات صغيرة متنافرة ومتناحرة في ما عرف بعصر الطوائف (422هـ ـ 484هـ)، أين نهبت تلك الكتب وتعرّض بعضها للحرق، فقد عمد الحاجب ابن أبي عامر إلى مكتبة الحكم المستنصر فأحرق من كتب العلوم القديمة كالفلسفة والنجوم تقرّبا لعوام النّاس وإرضاء للفقهاء، إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند سلفهم مذمومة بألسنة رؤسائهم[3]، فكانت تلك بداية ضياع خزانة كتب قرطبة.

واستمرّ إحراق الكتب في إسبانيا لقرون عديدة حقدا وانتقاما من التاريخ المجيد الذي حقّقه المسلمون في هذه الأرض التي كانت تخلو من العلم والمعرفة في عهد القوط، ولعلّ ذلك التعصّب الأعمى الذي فجّره الحاقدون على تلك الحقبة الزمنيّة من تاريخ إسبانيا جعل المستشرق خوليان ربيرا يقدّم لها تبريرات واهيّة لا يقبلها العقل ولا يصدّقها الواقع فيقول: "يجب ألاّ نظنّ أنّ ذلك كان نتيجة لاحتقار العلوم، أو حقدا منّا على المسلمين وعلومهم، بل العكس فإنّ ذلك بفضل الحماس المتزايد أو المبادئ المغالى فيها وهي ميزة خاصة في شعبنا"[4].

ولعلّ تلك المبادئ يقصد بها التيارات الفكرية والمذاهب الدينيّة التي تعترض وتوجّه العامة من الشعب الإسباني المدعّم من حكامه الرافضين لانتشار تلك الأفكار، وهو ما يبيّن بحقّ أهميّة الكتب كوسيلة اتصال مؤثرة على رأي المجتمعات، أضف إلى كلّ ذلك السياسة المتّبعة من قبل الحكام الإسبان بعد سقوط غرناطة سنة (1492م) والمتمثلة في القضاء على كلّ ما يمتّ بصلة للتاريخ الإسلامي الحافل، وضربوا بذلك عرض الحائط رغم شروط معاهدة الصلح التي نصّت على محافظة ملك إسبانيا على الكتب العربية وإبقائها في يد أصحابها العرب المسلمين، إلاّ أنّ الكاردينال خمنيس

1- المقري: المصدر السابق، ج1، 395.

2- عبد الرحمن الحجي: المرجع السابق، ص317. السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة**، ج2، ص162. زيغريد هونكه: تحدّدها بنصف مليون من الكتب القيّمة، المرجع السابق، ص353.

3- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص86 – 87.

4- خوليان ربيرا: المرجع السابق، مج5، ج1، ص94 – 97.

مطران طليطلة[1] جمع الإنتاج الفكري الأندلسي من كل أنحاء البلاد وكدّسها في ساحة سوق غرناطة وأمر بحرقها، وبلغ ما هلك من الكتب العربية في تلك الواقعة أزيد من مائة ألف مخطوط[2].

كان ذلك عرضا للعوامل التي ساعدت في بعث الحركة التعليميّة في عهد الخلافة، والتي أشرف عليها الخلفاء أنفسهم فكانوا سببا رئيسا في بلوغ الأندلس تلك المكانة العلمية الرّفيعة، لما قدّموه من إمكانات ماديّة وتحفيزيّة للعلماء المحليّين أو القادمين من بلاد المشرق والذين جمعوا حولهم العديد من طلبة العلم فاستنارت الحياة الفكريّة داخل الأندلس وخارجها، ولا تخلو حركة علمية دون كتب وهو ما ركّز عليه الأندلسيون بدء بالخلفاء وانتهاء بالعامة، فكانت المكتبات زينة البيوت يتنافس في اقتنائها عامة النّاس حتى الذين لم يؤتوا قدرا من العلم والمعرفة وذلك وحده يعكس المستوى الثقافي الذي بلغه السّكان، وكما رفعت الكتب وجمعها من مركز الأندلسي العلمي، كانت الكتب مظهرا من مظاهر انهيار الأندلس أواخر عهد الخلافة وعهد ملوك الطوائف حين بدأت الصراعات الشخصيّة تطغى على المظاهر الفكريّة وتنوّعها، وما ظاهرة حرق الكتب إلاّ نموذجا من تلك الصراعات الضيّقة.

---

[1]- **طليطلة**: (Tolido) عاصمة الأندلس، تقع شرقي مدينة وليد على جبل عال، وهي من أمنع البلاد وأحصنها، ولها نهر يمرّ بمعظمها، مدينة قديمة، تحدق الأشجار بها من كلّ جهة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج6، ص56 – 57.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص432.

المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تطوّر التعليم خلال عهد ملوك الطوائف.

أولا- الفتنة البربرية وأثرها في تنشيط حركة التعليم في الحواضر الأندلسية:

كانت خلافة **هشام بن محمّد المعتد بالله**[1] (418 - 422هـ/1026 - 1031م) آخر عهد بالخلافة الزاهرة القويّة، فلمّا دبّ الضعف في الدولة تدخّل في شؤونها الغوغاء من الصقالبة والبربر، فكانت النتيجة عزل آخر خلفاء الدولة الأمويّة في 12ذي الحجّة 422هـ/30نوفمبر1031م[2]، ليعلن الوزير **أبو حزم بن جهور**[3] انتهاء رسم الخلافة جملة، لعدم وجود من يستحقّها، ونودي في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى في قرطبة أمويّ ولا يؤويهم أحد[4]. وبسقوط الخلافة الأمويّة يبدأ عصر الطوائف ابتداء من (422 - 479هـ/1031 - 1086م)، فيكون مطلع القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي فوضى تدخل البلاد عصر الانقسامات بلغ عدد الممالك فيها أزيد من ستين مملكة تختلف في قوتها العسكرية، ومدّتها الزمنيّة، ورقعتها الجغرافية[5].

كان للفتنة أثرها في بلاد الأندلس، فأصيب المجتمع في وحدته وترابطه، ونالت الفتنة من أبنائه، وصوّر صاحب الذخيرة ذلك الواقع الأليم الذي عاشه أهل قرطبة بقوله: "أصبحوا طرائد سيوف، وجلاء حتوف، وقد خلعهم لين العيش على خَشِنه، وأسلمتهم غفلات الزّمان إلى محنه، يلوذون بآفاق هذه الجزيرة المنكوبة لِواذ الماء بأقطار الزجاجة المصبوبة، فكانوا كما وصف الملك الضليل:

[1]- **أبو بكر هشام المعتد بالله** (364 - 428هـ/973- 1036م)، آخر خلفاء قرطبة وآخر حكام الدولة الأمويّة في الأندلس، دامت فترة حكمه أربع سنوات (418هـ- 422هـ)، وقضى حياته في جوار سليمان بن هود صاحب لارادة حتى وفاته. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص145. المراكشي: المصدر السابق، ص 50 -51.

[2]- عبد الجليل ملاخ: **الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري(138-479هـ/ 756–1086م)**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، 1438-1439هـ/ 2017-2018م، ص67.

[3]- **جهور بن محمّد بن عبيد الله بن محمد بن يحي بن عبد الغفار بن أبي عبيدة:** (364هـ - 435هـ/974م - 1043م) عرف بابن أبي حزم القرطبي من وزراء الدولة العامرية، صار له تدبير أهل قرطبة، أوكلت له الرياسة بعد شغور منصب الخلافة لتسيير المرحلة الانتقالية، ومكث بها حتى وفاته. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص121– 122. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 185.

[4]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 145. المراكشي: المصدر السابق، ص 41- 42. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 138 - 140.

[5]- عبد الجليل ملاخ: المرجع السابق، ص 71.

فريقان منهم جازع بطن نخلة، وآخر منهم قاطع نجد كوكب[1]. فغدت الأندلس ذلك الفردوس المفقود خرابا ودمارا سبّبته الفتنة الممقوتة، التي وصفها ابن حزم بقوله: "فرأيتها ـ أي قرطبة ـ قد محت رسومها وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها...فصارت صحاري مخرّبة بعد العمران، ومأوى للذئاب ومخابئ للصوص"[2].

وأمّا ابن حيان فقد أصيب بالذهول لما آلت إليه حال البلاد من خراب ودمار فقال: "وأنسأتني المدة إلى أن لحقت بيدي من بعث هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة، المفرّقة للجماعة الهادمة للمملكة المؤثلة، المغرية الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية ففاضت أهوالها تعاظما أولهني عن تقييدها ووهمني أن لا مخلص منها فعطّلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها..."[3].

وانقسم العلماء في هذه الفتنة إلى فئة يمثّلها الفقهاء المتزلّفين لأهل السلطان، يصطنعون لكلّ حادث فتوى، ويقدّمون الذرائع والتبريرات إرضاء للأمراء[4]، وفئة مثّلها الشعراء الذين لا همّ لهم سوى جمع المال جزاء ما يقدّمونه من تملّق بعيدا عن المبادئ والقيم، وأمّا الغيورين على الدّين والمبادئ فقد صدحوا بالحقّ وجهروا به فكان جزاؤهم السجن أو الموت، وكثير منهم اختار الفرار بدينه ونفسه نحو المدن الآمنة حتى لا تصله نار الفتنة المقيتة[5].

وفقد العلم بتلك الفتنة ثلّة من خيرة علماء البلد ومؤدّبيها "فقد هلك في وقعة قنتيش من المؤدّبين أكثر من ستين مؤدّبا، ممّا حرم تلاميذهم من مواصلة تعليمهم، أو تعطيلهم لفترة طويلة"[6]، وفي نفس الوقعة "ذهب فيها من الخيار وأئمّة المساجد والمؤذّنين خلق عظيم"[7].

ولعلّ أبرز الذين استشهدوا في تلك الفتنة الفقيه المحدّث والمؤرّخ **أبو الوليد عبد الله بن محمّد بن الفرضي** صاحب كتاب "تاريخ علماء الأندلس" وذلك إثر الهجوم البربري على مدينة قرطبة سنة

---

[1]- ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج1، ص 9 – 10.

[2]- ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، ج1، ص311.

[3]- ابن حيان نقلا عن إحسان عباس: المرجع السابق، ص10.

[4]- سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (422هـ ـ 488هـ/1030م ـ1090م)**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى، قسم التاريخ الإسلامي، السعودية، 1405هـ – 1406هـ/1985م ـ 1986م، ص54.

[5]- الطاهر أحمد: **دراسات أندلسية ـ الأدب والتاريخ والفلسفة**، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1980، ص 58 – 59.

[6]- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 43 – 44.

[7]- الحميدي: المصدر السابق، ص18.

(400هـ/1009م)[1]، وفي وقعة قنتيش استشهد العلاّمة **محمّد بن عبد السّلام التدميري** الذي عرف عنه "الورع والعبادة والتفنّن في العلوم والآداب"[2]، كما استشهد العديد من العلماء في تلك الفتنة نذكر منهم الفقيه القاضي **محمّد بن عيسى المعروف بابن البريلي** من أهل تطيلة[3] والذي عرف عنه العلم والصلاح والشجاعة، إذ كان يرى ضرورة اتباع **المهدي محمّد بن هشام**[4] واستشهد في معركة عقبة البقر التي انكسر فيها المهدي[5]، وفي نفس الموقعة استشهد الأديب **محمّد بن أحمد بن يحي المعروف بابن الفضّال القرطبي** الموصوف بالنّباهة والذكاء[6].

كثير من العلماء نال الشهادة بسبب موقفه من الفتنة واتخاذه موقفا واضحا من دعاتها ومن بينهم الفقيه **محمّد بن سعيد الله السرى** الذي اعتبر البربر سبب الفتنة ووقودها، وعند اقتحامهم قرطبة أشهر ابن السرى سيفه عليهم وهو يقول: "إليّ إليّ يا حطب النّار، طوبى إليّ إن كنت من قتلاكم... حتى قتلوه يوم الاثنين السادس من شوال سنة 403هـ/1012م"[7].

ولم يميّز البربر في هجومهم على قرطبة بين صغير وكبير، ولا بين النّساء والرجال، بل كانوا يدخلون البيوت ويتعدوا على ساكنيها دون تمييز[8]، وما يحزّ في النّفس أن تجد من بين تلك البيوت المقتحمة بيت العلاّمة الفقيه والمحدّث **محمّد بن قاسم بن محمّد الأموي القرطبي** الذي قيل فيه: "كان حافظا للفقه، ذاكرا للأخبار والشواهد، بصيرا بالعقود والوثائق، وكان حليما أديبا، ظريفا جميل المشاركة لإخوانه، حسن الأخلاق سمحا، قضّاء للحوائج"[9].

---

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص55.

[2]- ابن بشكوال: **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، ج2، ص488

[3]- **تطيلة**: مدينة في الشمال الغربي لسرقسطة، بينهما 78 كم. الحميدي : المصدر السابق، ص133.

[4]- **محمد بن هشام**: يكنى أبا أيوب، بويع سرّا بعد إعلان الخليفة هشام المؤيّد ولاية العهد لعبد الرحمن شنجول، كان جسورا، ثائرا، ومخاطرا، ولما ذهب ولي العهد الجديد عبد الرحمن بن المنصور للغزو، تمكن محمد من الدخول إلى دار السلطان في 16 جمادى الآخرة 399هـ، بايعه المراونة والهاشمية والوزراء، وتلقّب بالمهدي، لمعرفة المزيد من الخلافات والصراعات ينظر: ابن الخطيب: المصدر السابق، ص107، ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص59.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص488.

[6]- المصدر نفسه: ص489.

[7]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 489 – 490.

[8]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 56.

[9]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 491.

ويذكر صاحب الصلة أنّه عندما هاجم البربر منزله وقف مستبسلا يذود عن أهله وولده حتى قتل داخل منزله، وكان ذلك يوم الاثنين 06 شوال من سنة 403هـ/1012م"[1].

ومن العلماء من اختار العزلة، أو مغادرة المدينة المنكوبة إلى سواها من مدن الأندلس للتفرّغ ومواصلة الحياة العلميّة الطبيعيّة، هؤلاء سيكون لهم الأثر البالغ في نهضة العلوم في مرحلة عصر الطوائف، إذ يعدّ خروجهم من قرطبة أمرا إيجابيا خاصة بالنسبة للمدن التي تمّ الانتقال إليها، فكانوا مصابيح هداية أنار الأصقاع التي حلّوا بها، حيث استفاد منهم ومن علمهم أهل تلك البلاد وطلبة العلم فيها، كما وجد فيهم ملوك الطوائف مفاخر يتباهون بها في مملكاتهم، فنالهم من الإكرام والاهتمام ما جعلهم يقدمون على نشر العلم وتعليم المقبلين على طلبه، فمنحوا من العناية والتسهيلات ما شجّعهم على التوجّه للبحث العلميّ في مجالاته المختلفة، فازدهرت بذلك الحياة العلميّة وآتت ثمارها فكان لها الشأن الكبير على تلك الممالك بل وتعداه إلى خارجها[2].

ومن بين العلماء الذين آثروا الهجرة من قرطبة العلاّمة **هشام بن غالب بن هشام الغافقي القرطبي** (ت:438هـ/1046م) "الذي كان من أهل العلم والمعارف المختلفة، ميّالا إلى الفقه الظاهري، عرف بحسن المحاضرة وظرافة المجلس، ولما وقعت الفتنة خرج إلى غرناطة ثمّ انتقل منها إلى إشبيلية، وفيها أمضى بقيّة عمره مشتغلا بالعلم متصرّفا إليه"[3]، ومن العلماء **أبا الحسن علي بن الخلف بن بطّال البكري** (ت:444هـ/1052م) والذي شهد الفتنة وخشي على نفسه وأهله فارتحل إلى بلنسيّة، عرف عنه تمكّنه في علم الحديث والذي صنّف فيه كتابا قيّما في شرح صحيح البخاري، سبق وأن تولى قضاء لورقة[4]، إذ كان متمكّنا في الفقه ضليعا فيه[5].

ومن الآثار الإيجابية التي صاحبت خروج العلماء من قرطبة، إخراجهم لكتبهم معهم وكان ذلك مساهما في تطوير الحركة التعليميّة ونشرها على نطاق واسع في بلاد الأندلس، علما أنّ الكتب خرجت من قرطبة بطرق شتّى "واضطرّتهم الفتنة ـ أي أهل قرطبة ـ إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من

---

[1]- ابن بشكوال: **الصلة**، ج2، ص491.

[2]- خوليان ربيرا: المرجع السابق، ص 215.

[3]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 652.

[3]- **لورقة**: من أعمال مرسيّة بغرب الأندلس. الحميري: المصدر السابق، ص 512.

[5]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 356.

ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع، فبيع ذلك بأوكس ثمن وأتفه قيمة، وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس[1].

طبعاً كانت تلك الكتب التي جمعها خلفاء بني أميّة في الأندلس، ومعظمها كان للخليفة الحكم المستنصر، الخليفة العاشق لنفائس الكتب، حتّى قيل: "إنّه لم يسمع في تاريخ الإسلام ساواه في اقتناء الكتب وجمعها وإيثارها على ما سواها"[2]، وفضلا على مكتبة الحكم التي نهبت وبيعت، هناك كتب لعلماء أجلاّء تفرّقت كتبهم على غرار مكتبة الوزير العالم **أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس** (ت:402هـ/1011م) الذي بيعت كتبه جرّاء الفتنة في مدّة بلغت السنة بما قيمته أربعون ألف دينار قاسميّة[3]، وذكر عن العلاّمة الحافظ **عمر بن عبد الله الذهلي الزهراوي** (ت:454هـ/1062م) والذي غادر قرطبة المنكوبة زمن الفتنة، ذكر عنه أنّه شدّ ثمانية أحمال من الكتب يقصد بها السفر فلم يتمّ له ذلك حتى هاجمه البربر ونهبوها[4].

ورغم محاولة إنقاذ بعض الكتب إلاّ أنّ الكثير منها تعرّض للحرق والتلف نتيجة الفتنة المقيتة. ومن المظاهر الإيجابية التي يمكن ذكرها في عصر الطوائف إعادة ظهور الدراسات الفلسفية ونشاطها بعدما كانت ممنوعة في عهد المنصور أبي عامر، فما أن ظهرت الفتنة واشتعل الصراع بين الحكّام، حتى وجد المهتمّون بالفلسفة والمنطق متنفّسا لإعادة دراستهما والحصول على الكتب المتخصّصة بهذا العلم والتي نجت من الحرق والإتلاف، فأخرج النّاس ما كان مخبّأ لديهم من بعض كتب الفلسفة والمنطق[5]، وهي من المؤشّرات التي ساهمت في ازدهار الفلسفة ودراستها زمن الطوائف.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الزخم الكبير الموروث من عصر الخلافة (316هـ- 422هـ) سيخدم المرحلة الجديدة علميا، وإن بدت أوضاعها السياسيّة منهارة غير مستقرّة، وسأحاول تبيين دور ذلك الموروث المكتسب في الحفاظ على المكانة العلميّة لبلاد الأندلس، فالحضارة لا تبنى من الفراغ، وإنّما هي نتاج تراكمات معرفيّة وفكريّة ورثتها الأندلس من العصر الزاهر زمن الخلافة، والذي استمرّ أثناء عصر

1- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 89-90. خوليان ريبرا: المرجع السابق: ص215.

2- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص201. ابن حزم الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، ص100. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج4، ص136. المقري: المصدر السابق، ج1، ص387 – 395.

3- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص310.

4- خوليان ريبرا: المرجع السابق، ص156. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص87 / 89.

5- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 89 – 90.

الطوائف وما بعده، فكلّ ما أُلّف في العصر الأخير من كتب كانت مكمّلة لزمن الخلافة، وأخصّ بالذكر هنا العلوم العقليّة وتحديدا الطبّ، فضلا عن اللغة العربية وعلومها "فكانت مؤلّفات ابن جلجل في ميدان الطبّ والعلاج، ومنهجه في ذلك من كبر المصادر التي استفاد منها الطبّ في عصر الطوائف، والشيء نفسه يقال عن الشعر والشعراء الذين تفرّقوا في هذه الحواضر الجديدة...فهؤلاء الشعراء حملوا معهم ذلك الزخم الشعري كجوازات لقبولهم في قصور الطوائف بعدما عصفت بهم الفتنة نحو ضياع حقيقي"[1].

لقيت تلك العلوم متنفّسها الجديد خارج قرطبة المكلومة، فكانت سببا لإنقاذ بعض الذي يمكن إنقاذه والحفاظ عليه بعد خراب العاصمة الثقافيّة للبلاد.

وكما بدت آثار **أبا عليّ القالي** جليّة واضحة في مجال اللغة زمن الخليفة عبد الرحمن النّاصر، فقد تمكّن تلاميذه من مواصلة الرسالة زمن الطوائف مثل **أبو القاسم إبراهيم بن محمد الزهري المعروف بابن الإفليلي** (ت:441هـ/1050م)، والشأن نفسه يقال في **ابن حزم الأندلسي** (ت:456هـ/1064م) وما تركه من إنتاج فكريّ هائل برزت آثاره في رسالته في فضل الأندلس[2].

فرغم الفتنة والصراعات التي عصفت بالأندلس في عصر ملوك الطوائف، إلاّ أنّ الاستفادة من الإرث الكبير الذي أنتج في العهد الأموي كان أساسا للاستمرار الفكري والثقافي، ومنهلا ثريّا لبلد أنهكته الفتنة، فلو أنّ ذلك التراث الغزير ظهر في فترة أكثر استقرارا أمنا لكانت حالة البلاد العلميّة أفضل بكثير ممّا كانت عليه، ولكنّ رياح الفتنة جرت عكس ما كانت تصبو إليه سفن الثقافة والمعرفة، فتناثر الزخم الفكري بين ربوع الأندلس باحثا عن مأوى يحفظه من الفتنة وشرورها.

ثانيا ـ اهتمام ملوك الطوائف بالعلم وتشجيع العلماء:

بالرغم من التفكّك السياسي الذي عرفته بلاد الأندلس أثناء الفتنة وبعدها، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع ملوك الطوائف من رعاية العلماء وتشجيع طلبة العلم، فظهر نوع من التنافس بين الملوك في فتح أبواب مملكاتهم لتكون ملاذا للعلماء الفارّين من فتنة قرطبة، فحرصوا على التظاهر بمظهر الحماة

[1]- جعفر ياينش: **الحركة الطبيّة في الأندلس بين صراع السياسي والمعرفي**، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2004، ص 40 – 41.

[2]- مطلق ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الطوائف**، المكتبة العصرية، بيروت، 1967، ص 40 – 41.

للعلم وأهله[1]، فكان "أكثرهم يحضر العلماء والأدباء، ويجب أن يشتهر عنه ذلك عند مباديه في الرياسة"[2]، وقد يدخل ذلك في مجال التباهي الذي عرفته الأندلس في تلك المرحلة العصيبة من تاريخها، ورغبة كلّ أمير في إظهار نفسه الأجدر والأحقّ بتولي بقايا الخلافة المتلاشيّة "فآل أمرهم إلى أن تلقّبوا بنعوت الخلفاء"[3]، وقال فيهم **أبو رشيق القيرواني** (358 ـ456هـ/995 ـ 1063م) كما جاء عند المقري[4]:

ممّا يزهّدني في أرض أندلس *** تلقيب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها *** كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد

كان شغف بعض ملوك الطوائف بالعلم وأهله واضحا جليّا، بل إنّ بعضهم كان له حظّا وافرا من العلم والثقافة ومثل ذلك **مجاهد العامري** (400 ـ 436هـ) أمير دانية[5]، الذي بذل كلّ ما في وسعه تشجيعا للحركة التعليميّة، وعرف عنه أنّه "أديب ملوك عصره بمشاركته في علوم اللسان، ونفوذه في علوم القرآن، فكانت خزانته كتبا جمّة"[6].

ويقول فيه ابن عذارى: "كان ذا نباهة ورياسة زاد على نظرائه من ملوك الطوائف بالأنباء البديعة منها العلم والمعرفة والأدب، قصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب وألّفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم فأجزل على ذلك بآلاف الدنانير"[7].

---

[1]- فاطمة بلهواري: **الحركة العلمية في الأندلس على عهد ملوك الطوائف**، مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران1، العدد:23، أوت 1437هـ/2016م، ص 305.

[2]- المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص 206.

[3]- المصدر نفسه: ج1، ص 205.

[4]- المصدر نفسه: ج1، ص 205.

[5]- **دانية**: مدينة بشرق الأندلس على البحر شرقا، كانت قاعدة ملك أبي الحبش مجاهد العامري، وأهلها أقرأ أهل الأندلس. الإدريسي (أبو عبد الله محمّد الشريف): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينيّة، (د.ط)، القاهرة، 2002، مج1، ص557. الحميري: المصدر السابق، ص231.

[6]- عصام سالم سي سالم: **جزر الأندلس المنسيّة ـ التاريخ الإسلامي لجزر البليار**، دار العلم للملايين، ط1، 1984، ص467 – 468.

[7]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 155.

وكذلك عرف عن **المظفّر بن الأفطس** (437 ـ 461هـ) صاحب بطليوس[1] الذي ذكر عنه أنّه "كان كثير الأدب جمّ المعرفة محبّا لأهل العلم جامعا للكتب، اشتهر بخزانته العظيمة وبخاصة النحو واللغة والشعر ونوادر الأخبار، وقد جمع من ذلك كتابا سمّاه (المظفريّ) يقع في خمسين مجلّدا"[2].

وقد تعدّدت مواصفات العلم والثقافة لدى حكّام ملوك الطوائف، وتميّز كلّ منهم بمجال اشتهر فيه وبرز "حيث امتاز المتوكل صاحب بطليوس بالعلم الغزير، كما اختصّ المقتدر بن هود صاحب سرقسطة[3] بالعلوم، وبرع ابن طاهر صاحب مرسية[4] في النثر الجميل المسجوع"[5].

ترعرعت الحركة التعليميّة في أحضان الملوك الذين رعوها وأولوها العناية الكبيرة رغم انشغالهم بالسياسة وتجاذباتها[6]، فكان **المعتمد بن عبّاد** (461 ـ 484هـ) ملك إشبيلية أحد أبرز ملوك الطوائف في تشجيع الحركة العلميّة، إذ كان مثقّفا له باع في العلم، في عهده "نفقت سوق الأدباء فتسابقوا إليه وتهافتوا عليه"[7].

وأمّا **المعتصم بن صمادح** (443 ـ 484هـ)صاحب المرية[8] "فقد كان يعقد المجالس بقصره للمذاكرة، ويجلس كلّ جمعة للفقهاء والخواص فيتناظرون بين يديه في مجالات عديدة لتفسير الحديث، ولزمه فحول الشعراء كابن حدّاد وابن عبادة"[9].

---

[1]- **بطليوس**: مدينة كبيرة بالأندلس تقع على نهر آنة غربي قرطبة، بناها عبد الرحمن بن مروان، لها أقاليم وحصون كثيرة. البكري: المصدر السابق، ج2، ص906 – 907. الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 447.

[2]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 156.

[3]- **سرقسطة**: مدينة مشهورة بالأندلس تطلّ على النهر الكبير، تتميّز بثمارها الطيّبة، وتوفّر معدن الملح بها، حتى سمّيت بالمدينة البيضاء، سقطت في قبضت الإفرنج سنة 512هـ. الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 212 – 213.

[4]- **مرسية**: مدينة أندلسية برية وبحرية متصلة بالبحر و الجبل، كانت قاعدة الحكم في شرق الأندلس أيّام بني أميّة عرفت بمدينة التراب، الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص556. الحموي: المصدر السابق، ج1، ص490.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص442.

[6]- صلاح الدين وانس: **علماء الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف دراسة في أدوارهم العلمية والسياسية (422هـ ـ 479هـ/1030م ـ 1086م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ وحضارة، جامعة الجزائر1، 1431هـ ـ 1432هـ /2010م – 2011م، ص70.

[7]- صالح خالص: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية وتاريخية**، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص193.

[8]- **المرية**: مدينة أندلسية أمر ببنائها الناصر لدين الله سنة (344هـ ـ 955م)، اتصفت بالحصانة وبنشاطها التجاري، تقع على الساحل الشرقي للأندلس. الحميري: المصدر السابق، ص537.

[9]- مريم قاسم طويل: **مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح (443هـ ـ 484هـ/1051م ـ 1091م)**، مكتبة الوحدة العربية، ط1، الدار البيضاء، 1994م، ص123.

هكذا اجتهد ملوك الطوائف في تحقيق التميّز بممالكهم الجديدة هدفهم استقطاب العلماء والفقهاء إليها، راغبين في تحويلها مثيل عاصمة الخلافة المتلاشية، فكان ذلك التسابق بينهم عاملا محفّزا حافظت به بلاد الأندلس على بعدها التعليميّ حتى في أحلك الظروف وأصعبها.

ثالثا ـ المكتبات والكتب ودورهما في الدفع بحركة التعليم:

1- اهتمام المجتمع الأندلسي بالكتب:

كما بيّنا من قبل أهميّة الكتاب في حياة المجتمع الأندلسي في ظلّ ارتقاء البلاد إلى أزهى عصورها العلميّة والمعرفيّة، أين لقي الكتاب اهتماما كبيرا لما يحمله من مضمون معرفيّ تعليمي، وكذلك ظهر الاهتمام بكلّ ما يتعلّق بالكتاب من خطّ، ونسخ، وتجليد، إذ ارتبط رواجه بنشاط الورّاقين حيث "نشطت صناعة الورق لسدّ حاجات التأليف والعلماء وطلاّب العلم، وحاجات الدولة المختلفة"[1]، وقد تجتمع في الورّاقين مواصفات تؤهّلهم للنسخ الجيّد مثل **يوسف بن محمّد الهمذاني** (ت:383هـ/993م) الذي قام بنسخ تفسير الطبراني وتميّز بروعة خطّه وجماله[2]، وزاد دور الورّاقين زمن عصر الطوائف خاصة بعد الفتنة التي أتت على أهمّ المؤلّفات، وتعرّض مكتبة الدولة في قرطبة للنّهب والسّلب، فازداد عدد الورّاقين لإعادة نسخ وترتيب ما أتلف وضاع[3]، وقد عرف في زمن الطوائف نوع من التخصّص في مهام الورّاقين فظهر "ورّاقوا الحكّام، ورّاقوا الخاصة، ورّاقوا العامة، ولعلّ هذه المهمّة شهدت تنظيما معيّنا، حيث يتولى أحد الورّاقين الإشراف عليهم ويلقّب برئيس الورّاقين، والذي له شهرة لم تكن معروفة من قبل إلاّ في عصر ملوك الطوائف"[4].

بفضل نشاط الورّاقين انتشرت الكتابة وتطوّرت، وتنافس النّاس في جمع الكتب وإنشاء المكتبات، وقد اشتهرت في هذا المجال مدن عن أخرى، فأهل قرطبة اشتهروا بحبّهم للكتب وجمعها، والظفر بنوادرها، وصار ذلك مبعثا للجاه والرياسة والنبل في المجتمع[5].

1- حامد الشافعي: **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنّشر، ط1، القاهرة، 1998، ص31.

2- ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج2، ص206.

3- المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص386.

4- خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص128.

5- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص211.

"حتى إنّ البعض منهم ممّن لا يتمتّع بالعلم وليس له سابقة في المعرفة كان يسعى إلى اقتناء الكتب، وإنشاء المكتبات الكبيرة في منازلهم ليقال إنّ لدى فلا خزانة كتب، أو إنّ هذا الكتاب أو ذاك لا يملكه سواه، أو إنّ الكتاب الذي بخطّ فلان قد ظفر به"[1].

حافظت قرطبة على تلك المكانة حتى بعد الفتنة، وتجاوزتها إلى ما بعد مرحلة عصر الطوائف، فظلّ اسمها مقرونا بالكتب وتجارتها وذلك ما تبديه مناظرة **أبي بكر بن زهر الإشبيلي الطبيب، والوليد بن رشد القرطبي الحفيد الفيلسوف** سنة (595هـ/1198م)، وكان كلّ منهما يفتخر بمدينته ويفضّلها، ففضّل ابن زهر إشبيلية على قرطبة، فردّ عليه ابن رشد بقوله: "ما أدري ما تقول غير أنّه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية" قال: "وقرطبة أكثر بلاد كتبا"[2].

لم تكن قرطبة وحدها مشتهرة بالكتب وجمعها، فقد تنافس ملوك الطوائف من أجل تطوير العلم وجودة التعليم، فأضحت حواضرهم منارات وضّاءة بالعلم والمعرفة، وأخصّ بالذكر إشبيلية التي برزت بها سوقا للكتب يقصدها المتعلّمون بحثا عن نفائس التأليف ونوادر التصانيف، فضلا على كثرة الورّاقين بها حتى نسب إليهم شارع كبير يعرف بشارع الورّاقين[3]، وكذلك الشأن بالنسبة لباقي الحواضر على غرار طليطلة، دانية، بطليوس، غرناطة...

1- أهم المكتبات في الحواضر الأندلسية:

انقسمت المكتبات في الحواضر الأندلسية بعد الفتنة إلى نوعين بارزين هما:

أ) مكتبات الملوك والوزراء:

عرف عن بعض ملوك الطوائف اهتمامهم بالعلم، وانشغالهم بالكتب، نذكر منهم على سبيل المثال ابن المعتمد من ملوك بني عباد الذي عرف بأنّه "حريص على طلب الأدب، مسارع في اقتناء الكتب، مثابر على نسخ الدواوين"[4]، وكذلك ذكر عن المظفّر ملك بطليوس الذي كان يمتلك خزانة نفيسة مكّنته من تصنيف موسوعته الأدبية التي أسماها المظفري، والتي تثبت سعة اطلاعه ومعرفته

---

[1]- المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص462 - 463. عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي**، ص317.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص155.

[3]- ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص463. خوليان ريبرا: المرجع السابق، ص219.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص96.

الواسعة بالأدب[1]، والشأن نفسه يقال عن المقتدر ملك سرقسطة وابنيه المؤتمن والمستعين، الذين ملكوا خزانة جمعت علوم الأوائل من الطب والرياضيات والفلسفة، ويذكر أنّ للمقتدر ولابنه المؤتمن مؤلّفات لم يكونا قد بلغاها لولا توفّرهما على المصادر النفيسة[2].

وعرف عن المأمون بن ذي النون ملك طليطلة اهتمامه بالكتب، إذ جمع منها الكثير وبكلّ الطرق المتاحة له، فقد ذكر الضبي نقلا عن **ابن علقمة** (428 – 509هـ/1037 – 1115م) في تاريخه أنّ المأمون انتهب مكتبة العلاّمة **عبد الله بن حيان الأروشي**[3] (ت:487هـ/1094م) نزيل بلنسية الذي "كانت له همّة عالية في اقتناء الكتب وجمعها، جمع من ذلك شيئا عظيما"[4]، وقال: "إنّ ابن ذي النون صاحب بلنسية أخذ كتب الأروشي من داره وسيقت إلى قصره، وذلك مائة عدل وثلاثة وأربعون عدلا من أعدال الحمّالين، يقدّر كلّ عدل منها بعشرة أرباع، وقيل إنّه كان قد أخفى منها نحو الثلث"[5]، وتجاوزا لهذه الحادثة فإنّ المأمون كان محبّا للكتب مجدّا في اقتنائها فقد أهدى له من قبل المؤرّخ ابن حيان كتابه المتين[6].

ومن الوزراء اشتهر الوزير **أحمد بن عباس الأنصاري** (ت:469هـ/1037م) وزير زهير العامري أمير المرية فقد كان كاتبا حسن الخط، بليغا واسع الأدب، ماهرا في الشعر، وغيرها من العلوم والأدب، وتعود شهرته إلى ما جمعه من الكتب ونفائسها، ومساعيه في اقتناء نوادرها مهما كلّفه ذلك من جهد ومال، وقد اجتمع لديه خزانة كتب عظيمة لم تجتمع لغيره من أهل عصره[7]، كان جمّاعا للدفاتر "حتى بلغت أربع مائة ألف مجلّد وأمّا الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عدّها لكثرتها"[8].

وتحدّث المقري عن ذي الوزارتين **أبي عبد الله محمّد بن عبد الرحمن بن الحكيم** (ت:708هـ/1308م) الذي تولى الوزارة لسلطان غرناطة محمّد الثالث قال عنه: "كانت له عناية

---

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 216.

[2]- المرجع نفسه: ص 216 – 217.

[3]- **الأروشي**: نسبة إلى قرية أروش من عمل قرطبة، أصل سلفه من هناك. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص287.

[4]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص288.

[5]- أبو جعفر الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1976، ص343 – 344.

[6]- ابن بسام: **الذخيرة**، ج2، ص578.

[7]- ابن بسام: المصدر السابق: ج2، ص464 – 465. المراكشي: **الذيل والتكملة**، ج1، ص277.

[8]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص535.

بالرواية وولوع بالأدب، وصبابة باقتناء الكتب، جمع من أمّهاتها العتيقة وأصولها الرائقة الأنيقة، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد سواه، ولا ظفرت به يداه"[1]، عرف عنه أنّه كان كاتبا بليغا وشاعرا اشتهر ذكره بالأندلس "أحيا معالم الأدب، وأكرم العلم والعلماء، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقبة تدبير الملك عن المطالعة والسّماع، وأفرط في اقتناء الكتب، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، وأثمرت أنديته من ذخائرها"[2].

ب) مكتبات العلماء:

كثير هم العلماء الذين عرفوا بمكتباتهم في عصر ملوك الطوائف منهم العلاّمة الأديب **محمّد بن يحي الغافقي القرطبي المعروف بابن الموصل** (ت: 433هـ/1041م) والذي وصفه ابن الآبار بقوله: "كان أديبا كاتبا جمّاعا لدفاتر العلم منذ صباه، منقيا لكرائمها، بصيرا بخيارها، عافا بخطوطها، يحتكم إليه في ذلك...اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالأندلس بعد الحكم الخليفة"[3]، وصارت لديه خزانة قيّمة حافلة بأنواع الكتب النّفيسة، منها إصلاح المنطق بخط أبي علي القالي، ونوادر ابن الأعرابي بخط أبي موسى الحامض، وتاريخ أبي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخطّ ابن ملول الدمشقي...وقد بيعت كلّها بعد وفاته، ودفع في شرائها أغلى الأثمان حتى قوّمت الورقة في بعضها بربع مثقال"[4].

ونذكر من العلماء الذين جمعوا الكتب **ابن حزم الأندلسي** (384 ـ 456هـ/ 994 ـ 1064م) "كان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسّعه في علم اللسان، والبلاغة، والشعر، والسير، والأخبار"[5]، وكانت له مكتبة ضمّت مؤلّفات منسوخة بخطّه فاقت الأربعمائة مجلّدا ما مجموعه ثمانون ألف ورقة ورثها عنه ابنه أبو رافع[6].

---

[1]- المقري: **نفح الطيب**، ج5، ص499.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج5، ص 504.

[3]- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص317.

[4]- **المثقال**: وزنه من الذهب اثنان وسبعون حبة من الشعير، وربع المثقال يعادل من الذهب الخالص ثمانية عشر حبة من الشعير. ابن خلدون: **المقدمة**، ص263. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص387.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص293.

[6]- المصدر نفسه: ج2، ص298.

ذكر المقري تلك الكتب التي قام بنسخها بيده فقط، دون أن يذكر عدد الكتب التي جمعها في مكتبته من غير خطّ يده وذلك يعكس العدد الهائل الذي جمعه من الكتب.

ويذكر ابن بشكوال عددا من العلماء المعلّمين المهتمين بجمع الكتب مثل **أحمد بن عبد الله بن قزلمان** (429هـ/1037م) "الذي سكن قرطبة وأقرأ النّاس بها محتسبا...جمع كتبا حسانا كثيرة النّفع على مذاهب أهل السنّة، ظهر فيها علمه، واستبان فيها فهمه"[1].

هذه التأليف كانت تتمّ بجانب عمل يعيش منه العالم سواء كانت تجارة، زراعة، أو وظيفة منها التدريس والقضاء، لكن يظهر من خلال الكم الهائل للمؤلّفات تفرّغ أصحابها للعلم، كما يتبيّن لنا اهتمام المجتمع الأندلسي بالعلم وطلبه والجلوس إلى العلماء حتى في أحلك الظروف باعتبار ذلك جزء من العقيدة الإسلامية[2].

الحديث عن المكتبات والكتب له صلة مباشرة بالتعليم، حتى صار يقاس مدى جودة المكتبات بمدى فعاليتها في تحقيق العملية التعليمية، فهي مراكز أساسيّة للبحوث وإلقاء الدروس، وكانت مقصد العلماء وطلبتهم لعقد النّدوات والمناظرات العلميّة، ولذلك عدّت من المراكز التعليميّة التي لا يستغني عنها طلبة العلم في بلاد الأندلس[3].

رابعا ـ أهل الذمّة ودورهم في التعليم:

في ظلّ التسامح الذي عاشته بلاد الأندلس، نشطت حركة التعليم بين أهل الذمّة[4] كغيرهم من سكان البلاد، وإن ركّزنا الحديث في هذه الفترة على عصر الطوائف فإنّه لا تستثنى المراحل

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص45.

[2]- عبد الرحمن علي الحجي: **الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي**، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2007، ص 145 – 146.

[3]- حامد الشافعي دياب: **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1995، ص127.

[4]- **أهل الذمّة**: أهل الذمة في اللغة هم أهل العقد وأهل الأمان، ويقال أهل الذمة لأنّهم أدّوا الجزية فأمنوا على دمائهم وأموالهم، فالذمّة في اللغة هي العهد والكفالة والأمان، وفي الاصطلاح ذكر ابن قيم الجوزية أهل الذمّة بقوله: "الكفار إمّا أهل حرب، وإمّا أهل ذمة، وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان". فهم أهل الكتاب الذين يقيمون إقامة دائمة في الدولة الإسلامية مقابل تأمينهم وحمايتهم، ويدفعون مقابل عهد الأمان ضريبة مالية تسمى الجزية، فرض لهم الإسلام المساواة مع المسلمين في كثير من الحقوق، ويسمح لهم بتولي الوظائف العامة عدا الولاية العامة، وكفل لهم حرية الرأي والعقيدة وأداء الشعائر، ونهى عن إيذائهم. ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص253. ابن قيم الجوزية: **أحكام أهل الذمة**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1986، ص475. أحمد عبد العزيز محمود السورجي: **الدولة الفاطمية في مصر تاريخها وحضارتها**، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، (د.ت)، ص124.

السابقة من الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس من مبدأ التعايش، الذي كان عاملا من عوامل الإشعاع والازدهار في شتّى الميادين بما فيها ميدان التعليم.

يعدّ التعليم شرف الرجل في بلاد الأندلس، إذ كان ينفق الكثير من أجل التعلّم، ومن عرف بالتعليم ارتقى إلى مقام التكريم، وصار يشار إليه بالبنان[1]، وساهم التعايش في فتح المجال لأهل الذمّة التعلّم للأخذ من العلوم المدرّسة لأبناء المسلمين[2]، فكان النصارى واليهود يتلقّون العلوم من علماء المسلمين، فاجتمعوا على **عبد الله بن سهل الغرناطي**[3] سنة (553هـ/1158م)، الذي أجمع عليه المسلمون وأهل الذمّة، أنّه ليس لديه شبيه في علمه، فكان النصارى ينتقلون إليه من طليطلة إلى بياسة[4] التي استقرّ بها لينهلوا من علمه[5].

كان التعليم للجميع باللغة العربية وذلك منذ عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل الذي جعل العربية لغة رسمية للتعليم حتى في معاهد النصارى واليهود، وذلك بهدف نشر التقارب والتسامح خاصة بين النصارى والمسلمين[6]، وكان هدف المستعربين[7] تعلّم العربية واستيعابها وذلك بهدف تحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، وكان هدفهم الأسمى الذي سعوا لأجله هو الوصول إلى المراتب العليا في الدولة[8]، ومهما كانت أهدافهم فإنّهم كانوا يشكّلون فئة هامة من سكان الأندلس، "اختلطوا بالمسلمين، واتخذوا العربية لسانا، ونهجوا نهجهم، وتزيّنوا بزيّهم، وتسموا بأسمائهم، وحتى طقوسهم كانت مختلفة عن أبناء ملّتهم، وتسموا بالطقوس المستعربة، كما أنّ بعضهم اعتنق الإسلام عن وعي

---

[1]- أنور محمّد رتاقي: **العلم والتعليم في الأندلس**، (د.ط)، جامعة عين شمس، (د.ب)، 2008، ص2.

[2]- حسن الوراكلي: **ياقوتة الأندلس**، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ص12 – 13.

[3]- **عبد الله بن سهل** يكنّى أبا محمّد اشتهر بعلم المنطق والعلوم الرياضية وسائر العلوم النقلية. لسان الدين ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1975، ج1، ص404.

[4]- **بياسة Baeza**: بلدة أندلسية قديمة تقع شمال شرقي جيان. ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج1، ص404.

[5]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص404.

[6]- محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، (د.ت)، ج1، ص229.

[7]- **المستعربون (Mozarabos)**: وهم المسيحيون الذين عاشوا وسط مسلمي الأندلس وتعلموا العربية، عرفوا بالنصارى، المسيحيون، الروميون، وأهل الذمة، وللمؤرّخين أراء مختلفة حولهم، للاطلاع أكثر ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص349. حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، ص125 – 126. ميكيل دي إيبالزا: **المستعربون ـ الحضارة العربية في الأندلس ـ** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ج1، 334.

[8]- علي محسن سلمان: **الأندلس أرض التسامح والتعايش الديني**، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 20، ع:82، (د.ب)، (د.ت)، ص402 – 103.

وإدراك"[1]، وعومل المستعربون منذ الفتح معاملة اتسمت بالتسامح فكانوا يمارسون شعائرهم بكلّ حريّة[2].

حافظ النصارى على تراثهم المكتسب من القوط (الذي سبق ذكره في الفصل التمهيدي)، فتمتعوا بحرية ممارسة شعائرهم الدينيّة، وازداد التسامح في عصر ملوك الطوائف، فكثرت كنائسهم ولم تتعرّض للتخريب زمن الفتنة[3]، فكانوا يتلقون العلوم في المدارس الكنسية منها الحساب والقراءة، ثمّ بعد احتكاكهم بالمسلمين درسوا في معاهدهم وأخذوا من علمائهم، وبقي التعليم في الكنائس للعلوم الدينيّة المسيحيّة[4].

اتخذ النصارى العربية لغة رسميّة، إذ صارت متداولة في حياتهم اليومية، وكان الشباب المسيحيّ يقرأ الكتب العربية بطلاقة متخذين منها مكتبات متنوعة وبأثمان مرتفعة، وكانوا يفتخرون بذلك الأدب ويعلنون عنه في كلّ مكان لأنّه جزء من ثقافتهم المكتسبة[5].

أمّا اليهود فقد تأثروا بالمجتمع الأندلسي المسلم المتعلّق بالعلم والتعلّم، فحرصوا على تعليم أبنائهم اللغة العربية فهي لغة العلم في الأندلس[6]، وكان لهم أماكن مخصصة للتعليم مثل المسلمين، وتدفع أجرة المعلّم من الجماعة اليهودية[7]، ويقوم الأثرياء بتعليم أبنائهم في أماكن خاصة أهمّها بيوت المعلّمين مقابل أجر يدفع كلّ شهر[8].

يمرّ التلاميذ اليهود في دراستهم بمراحل ثلاث، يبدأ في المرحلة الأولى القراءة والكتابة التي يحسن بواسطتها قراءة التوراة، وتنتهي هذه المرحلة الابتدائية في سنّ الثالثة عشر[9]، وبعدها يشرع التلميذ في

---

[1]- مصطفى الشكعة: **المغرب والأندلس آفاق إسلامية**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987، ص 91 - 92.

[2]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 130.

[3]- خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص 51.

[4]- محمد الأمين ولدان: **النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (422 - 539هـ/ 1030- 1141م)**، رسالة دكتوراه، تخصص المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإسلامية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011 - 2012، ص 137.

[5]- ليفي بروفنسال: **حضارة العرب في الأندلس**، تح: ذوقان، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د.ت)، ص 80.

[6]- ولاء يوسف أبو الضبعان: المرجع السابق، ص153.

[7]- سولومون ديفريتز جواتيان: **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**، تر: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1980، ص155.

[8]- محمد الأمين ولدان: المرجع السابق، ص149.

[9]- حاييم الزعفراني: **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، تر: أحمد شحلان، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص64.

الدراسة المنتظمة للكتاب المقدّس وللقوانين التي شرّعها علماء اليهود والمستمدّة من الكتب الفقهيّة[1]، في هذه المرحلة تتبيّن ميول التلاميذ العلميّة وتوجّهاتهم الفكرية، وفي هذه المرحلة أيضا يحدّد الحاخامات[2]، الذين يمثلون اليهودية في المستقبل[3].

وآخر مرحلة تعليميّة يتلقاها التلاميذ هي المرحلة الأكاديمية العالية، والتي يمارس فيها الطالب الجدل والتأويل، بحيث عند اجتيازه هذه المرحلة يعدّ حينئذ حَبرا[4]، ليتسنّى له بعد ذلك متابعة العلوم العقلية المتنوعة، ودراسة كتب ابن سينا وجالينوس في الطبّ[5].

يقتصر التعليم عند اليهود في الذكور دون الإناث، فالبنت غير معنيّة بالقدّاس وهي بذلك غير معنيّة بتعلّم التوراة والتلمود[6]، وكذلك ينظر إليها أنّها ناقصة عقل لا تصلح للتعليم ولا يعتدّ بها في نقل العلوم خاصة الدينيّة[7].

ومما ذكره حاييم الزعفراني في مقارنة قدّمها بين المنهجين العربي الإسلامي واليهودي ببلاد الأندلس، أنّ ثمّة تقارب بينهما ملخّصا ذلك بقوله: "للطالب اليهودي (تلميذ/حجم) وزميله المسلم الفقيه نفس المميزات العلمية، وهما معا ثمرة تعليم تقليدي متشابه، يبدأ بالنسبة للأول بالحيدر (الكتّاب)، أو ما يشابهه في ذلك الوقت ويتبع اليشفا وهي مؤسسة علمية أعلى، ويبدأ بالنسبة لزميله

---

[1]- مسعود كواتي: **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة، ط2، الجزائر، 2002، ص147.

[2]- **الحاخام**: كلمة عبرية معناها الرجل العاقل والحكيم، وتستخدم للتعبير على الفقهاء اليهود والأحبار الربيّين، الذين فسّروا التوراة وابتدعوا الشريعة الشفوية. عبد الوهاب الميسري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط1، مصر، 2003، ص38.

[3]- عطا علي محمد شحاتة ريه: **اليهود في المغرب الأقصى**، دار الكلمة، دمشق، 1999، ص190.

[4]- فاطمة بوعمامة: **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8 هـ**، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011، ص162.

[5]- محمد الأمين ولدان: المرجع السابق، ص149.

[6]- **التلمود**: كلمة عبرية مشتقة من الأصل لامود وتعني التعاليم، وهو من أهم الكتب العقائدية التي تفسّر وتبسّط معارف الشعب اليهودي، يعدّ الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية. عبد الوهاب الميسري: المرجع السابق، ص35. العربي إسماعيل: **دولة بني زيري ملوك غرناطة**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1404هـ/1982، ص81.

[7]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص109.

المسلم بالمسيد ثمّ المدرسة، وتتمّ هذه الدراسة التقليديّة بالنسبة للاثنين بمعارف نحوية ورياضية وفلسفية..."[1].

وألّف بعض اليهود كتبا في مجال التعليم ومناهجه وطرقه، كما فعل الحبر بن يهودا السموأل المعروف في الأندلس بأبي البقاء بن يحي المغربي الأندلسي، ألف رسالة في التعليم جاء فيها: "في سنّ الثالثة يبدأ الطفل يتعلّم القراءة، وفي الرابعة والنّصف يدرس الأبواب الأولى من التوراة، وعندما يصل الطفل الثالثة عشر تبدأ عملية تدريسه النحو من كتب المتخصّصين كابن جناح... وذلك بمؤازرة دراسة التلمود حيث يبدأ الطفل بالفصل البابلي، وفي الثامنة عشر يتزوج الطالب وحينئذ يشتغل بدراسة العلوم... وتدرس جلّ المواد من كتب العلماء المسلمين"[2]، ومن هذا النص يتضح اعتماد اليهود في تدريسهم لأبنائهم على الكتب التي يعتمد عليها المسلمون، وبالأحرى المؤلّفة من علمائهم وذلك قمة التعايش والاعتراف بمكانة العلماء المسلمين.

وظلّ الطلبة اليهود يتلقون مختلف العلوم على يد أساتذة مسلمين، حتى في ظلّ سيطرة النصارى على بعض المدن الأندلسية، وفي ذلك يقول المقري: "وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة: المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب، فيلسوفا طبيبا ماهرا، آية الله في المعرفة بالأندلس، يقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلّمها، ولما تغلّب طاغية الروم على مرسية، عرف له حقّه، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود"[3].

يستطيع كلّ منصف بعد ذلك أن يقرّ بالدور الذي لعبته بلاد الأندلس كحاضرة علميّة جمعت كلّ الأطياف والأديان، لهدف واحد هو نشر المعرفة بين كلّ طلبة العلم دون استثناء، وباللغة العربية التي سعى المسيحيون واليهود أنفسهم إلى تعلّمها باعتبارها لغة العلم والحضارة في زمنهم.

1- حاييم الزعفراني: المرجع السابق، ص 76 – 77.

2- خالد يونس عبد العزيز الخالدي: **اليهود في الدولة العربية الإسلامية**، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ إسلامي، جامعة بغداد، مكتبة دار الأرقم، فلسطين، 2011، ص 393 – 394. مسعود كواتي: المرجع السابق، ص157.

3- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 130.

الفصل الثاني

طرق التعليم ومناهجه في الأندلس

المبحث الأول: مراكز التعليم في حواضر الأندلس.

أولا ـ أهم مراكز التعليم في المدن الأندلسية أثناء عهد الخلافة الأموية.

ثانيا ـ أهم مراكز التعليم في حواضر الأندلس أثناء حكم ملوك الطوائف.

ثالثا ـ أهم الحواضر العلمية والتعليمية في الأندلس خلال عصر الطوائف.

المبحث الثاني: طرق التعليم ومراحله في الأندلس.

أولا ـ طرق التعليم.

ثانيا ـ مراحل التعليم.

المبحث الثالث: مناهج التعليم وإجازته في الأندلس.

أولا ـ مناهج التعليم.

ثانيا ـ الإجازة العلميّة.

المبحث الأول: مراكز التعليم في حواضر الأندلس.

أولا– أهم مراكز التعليم في المدن الأندلسية أثناء عهد الخلافة الأموية.

تنوّعت المراكز المخصّصة للتعليم في بلاد الأندلس خلال الفترة الأمويّة وتحديدا في عهد الخلافة، ويمكننا أن نعرض أهم تلك المراكز المتنوّعة وهي:

1- المنازل:

يعدّ المنزل المؤسسة الأولى في تنشئة الطفل وتربيته التربية الصحيحة، وفي حقيقة الأمر لعبت المنازل دوران إيجابيان في عمليّة التعليم، أمّا الدور الأول فهو التنشئة الأولى التي يقوم بها الأولياء مع أبنائهم قبل التحاقهم بالكتاتيب والمساجد، إذ تتكفّل الأسرة في هذه المرحلة بتربية الطفل وتلقينه المبادئ الأولى للدين الإسلامي مع تحفيظهم قصار السور من القرآن الكريم، وأمّا الدور الثاني للمنزل فيبرز بعد استكمال الطلبة تحصيلهم في الكتاب والمسجد، بعد هذه المرحلة يقصد التلميذ بيوت العلماء للاستزادة والتخصّص في العلوم التي يرغب التلميذ في تحصيلها[1].

وغالباً ما يقصد الطلبة العلماء في بيوتهم لسبب عجزهم في التنقّل لمراكز التعليم كما كان الحال للعالم أصبغ بن سفيان القرطبي، وكذلك العالم النحوي **أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز** (ت:369هـ/979م)، الذي لزم بيته سبعة أعوام حتى توفاه الله، وكان الطلبة يسمعون عنه في سنوات مرضه ومنهم **ابن الفرضي** (ت:403هـ/1012م) صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس[2].

ويذكر الإمام الحافظ **ابن خير الأشبيلي** (ت:575هـ/1179م) أنّه قرأ الملخّص لمسند موطأ الإمام مالك بن أنس **لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي** (ت:403هـ/1012م) الفقيه رحمه الله، قرأه عليه في منزله، وكذلك حدّثه به الشيخ الفقيه **القاضي محمد بن عبد الحق بن عطية المحاربي** قرأه عليه في منزله بالمرية عام (534هـ/1139م)[3].

كان شائعا أن يتخذ المعلّمون مكانا منفصلا في منازلهم يستعمل لاستقبال تلامذتهم وإلقاء الدروس فيه، وقد تكون هذه الأماكن غرفا في فصل الشتاء البارد، كما ذكر بعض طلبة

[1]- بن حاج ميلود: **التربية والتعليم في الأندلس من عصر الإمارة الأموية إلى عصر ملوك الطوائف**، ص 136.

[2]- ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج2، ص 752 – 753.

[3]- محمد عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعلم في الأندلس**، ص 265.

ابن وضّاح (ت:286هـ/899م) أنّهم كانوا في الاستماع عنده في غرفة فدخل عليه رجل أخبره بوفاة ابنه، فلم يكترث له، وأقبل على ما كان فيه من إمساك كتابه، وأمر القارئ أن يتمادى في قراءته[1].

أمّا في فصل الصيف أين ترتفع درجة الحرارة فكانوا يتّخذون من السطوح مكانا للتعليم، وانتشر هذا الأمر في شمال إفريقيا أيضا، ويذكر ابن فرحون عن **حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمي القرطبي** (ت:469هـ/1102م) قوله: "كنّا عند أبي الحسن القابسي نحو ثمانين رجلا من طلبة العلم، وكنّا في عِلِيَة له، فصعد إلينا الشيخ يوما وقد شقّ عليه الصعود، فقام قائما، وتنفّس الصعداء وقال: والله لقد قطعتم أبهري"[2].

2- الكتاتيب:

وهي المراكز التي يقصدها التلاميذ بعد المنازل، فيها يتعلّمون كتاب الله عزّ وجلّ، والمبادئ الأساسية للقراءة والكتابة، وتعود نشأتها الأولى إلى عهد **عبد الرحمن بن معاوية** (138 ـ 172هـ/756 ـ 788م)، ومن الأوائل الذين قاموا بمهنة التأديب في قرطبة **الغازي بن قيس** (ت:199هـ/814م)[3]، وتتمثّل أهمّيّة الكتاتيب في تهيئة الصّبيّ وتأديبه، وتعليمه المبادئ الأولى للدين والعلم، خاصة تعليم اللغة العربية والخطّ.

ومصطلح الكتّاب فيه تبسيط وتوضيح، إذ يطلق مصطلح المكتب على المكان الذي يتلقى فيه الطفل تعليمه الأول ولما يبلغ السادسة من عمره، أمّا الكتّاب فيلتحق به عند تمام العاشرة من عمره، ويتحكّم في ذلك الظروف العائليّة، وتقدير الأولياء[4].

أمّا عن موقع هذه الكتاتيب، فمنها ما كان ملحقا بالمسجد، ومنها ما كان مستقلّا عنها، ويرجع ذلك إلى حرصهم على حرمة بيوت الله، وكراهتهم أن تدنّس من قبل الصبيان ولو بغير قصد،

1- القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المحمدية، ط1، المغرب، ج4، ص440. محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص265.

2- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص157 – 160. ابن فرحون: المصدر السابق، ص345.

3- الزبيدي الأندلسي (أبو بكر محمد بن الحسن): **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 254.

4- محمد الأمين بلغيث: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي:2002 – 2003، ص77.

"الذين لا يتحفظون من النّجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم"[1]، فكان علماء الأندلس يتحفظون بشدّة في اتخاذ المكاتب داخل المساجد، ولقد ذكر القاضي **ابن سهل الأندلسي** (ت:486هـ/1073م)، عن الفقيه **محمد بن أحمد العتبي** (ت:255هـ/869م)، عن شيخ المالكيّة في المغرب الإسلامي الفقيه **سحنون بن سعيد التنوخي** (ت:240هـ/854م)، أنّه كتب إلى أحد القضاة يشير عليه ألاّ يعلّم الصبية في المساجد وهذا خوفا من قلّة تحفّظ الصبيان من النّجاسة[2]، وعلى الرغم من ذلك نجد بعض المؤدّبين لم يلتزموا بتلك الإرشادات والتوجيهات فاتخذوا من المساجد أمكنة لتعليم الصبيان[3].

يتقاضى المعلّم في الكتاتيب أجر ما يعلّم به الصبيان، وهو ما أشار إليه ابن حزم عن **الفقيه المغراوي** قوله: "إنّ الصغير إذا انتهى إلى حدّ الكتب في اللوح بالقلم، وأحسن الكتب فلمعلّم الحذقة[4] ثمانية دراهم"[5]، أي أن المعلّم يتقاضى بعد أن يشرع المتعلّم في الكتابة على اللوح، وبعد أن استقرّ الأمر في الأندلس، وتطوّر شأن التعليم فيها، أنشأت الدولة مناطق خاصّة لتعليم أبناء الفقراء الذين يتعذّر على أوليائهم إرسالهم إلى الكتاتيب، ودفع أجر الحذقة، وقد يكون مقابل التدريس أجرا أو هدايا، يقدّم مالا في جانب منه، يدفع كلّ شهر، وجانب آخر يقدّم عينا، ويكون عادة (أروبتين) أو ثلاثا من القمح، ونصف (أروبة) من الزيت[6]، وأحيانا يتّفق الطرفان على أجر محدّد مقابل تعهّد المعلّم بتدريس التلميذ المواد التعليمية المتّفق حولها[7].

---

[1]- حسن الوراكلي: **الخطاب التربوي عند الأندلسيين**، مجلة المعرفة، العدد 69، تونس، 2009، مقتبس من المرجع الإلكتروني: islam.story.com /ar

[2]- ابن سهل الأندلسي(أبو الأصبع عيسى): **الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**، تح: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007، ص 623.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 152.

[4]- **الحذقة**: مصطلح استخدمه الفقيه أبو الحسن القابسي للدلالة على مفهومين: الأول يعني به أجرة المعلّم مقابل تحفيظ الصبي القرآن الكريم، أمّا الثاني فيعني وصول الصبيّ لحفظ القرآن الكريم كاملا وذلك من حدقته وبراعته، علي القابسي: **الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين**، تح: أحمد خالد، الشركة التونسيّة للتوزيع، ط1، تونس، 1986، ص 74.

[5]- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): **جمهرة الأنساب**، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط5، مصر، 1984، ص 144.

[6]- محمد عبد الحميد عيسى: **التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات**، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، (دب)، ج2، (دت)، ص 484.

[7]- ربيرا خوليان: المرجع السابق، ص 48.

انتشرت أماكن التعليم في عهد **الخليفة الحكم المستنصر** (350 - 366هـ/961 - 976م)، فمن "مستحسنات أفعاله وطيّبات أعماله اتخاذه المؤدّبين يعلّمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حولي المسجد الجامع، وبكلّ ربض من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المرتّبات وعهد إليهم في الاجتهاد والنّصح ابتغاء وجه الله العظيم، وعدّد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا، منها حولي المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كلّ ربض من أرباض المدينة"[1].

كان لتلك المكاتب فوائد كبيرة منها سهولة وصول الأطفال إليها، لتوسطها المساجد والأرباض الإسلامية من جهة، ويسهل للمعلّمين أداء الصلوات في الجامع، والوصول إليها دون مشقة وعناء من جهة أخرى، ولذلك عدّت الكتاتيب معلما حضاريّا يفتخر به أهل الأندلس، وذكرها أبو العبّاس في القصيدة التي رثى فيها سقوط غرناطة بقوله[2]:

فلا المساجد بالتوحيد عامرة *** إذ عمّروها بناقوس وتمثـــال

ولا المنـــابر للوعـــاظ بارزة *** الأمر والنهي أو تذكير آجال

ولا المكاتب بالصبيان آنسة *** تتلو القرآن بأسحار وآصال

عموما كان انتشار المكاتب في بلاد الأندلس قبل حلول القرن الخامس الهجري انتشارا واسعا، يدلّ عليه كثرة أسماء المؤدّبين والمعلّمين الذين أشارت إليهم كتب التراجم الأندلسية تحت اسم "المعلّم"، أو "معلّمي الكتّاب"[3]، على غرار حمد بن شهاب بن عيسى الأموي من أهل قرطبة (مؤدّب كتاب)[4]، وحبيب بن إبراهيم المعلّم (معلّم كتّاب)[5]، وغيرهم كثير، كما يذكر محمّد عبد الحميد عيسى في مقال له نقلا عن ابن بسام أنّ المكاتب نشرة في بلاد الأندلس عند مطلع القرن الخامس

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 2، ص 358.

[2]- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،** تح: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م،ج1، ص107.

[3]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 477.

[4]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج 1، ص 31.

[5]- المصدر نفسه: ج 1، ص 123.

الهجري إلى غاية حدوث الفتنة الأندلسيّة وخاصة موقعة قنتش[1]سنة (400هـ/1009م)، التي أصيب فيها أكثر من ستين مؤدّبا، تعطّل بسببهم الصبيان عن التعلّم[2].

وممّا أريد الإشارة إليه هنا تساؤل حول حظّ البنات من التعليم في المكاتب، خاصة إذا علمنا أنّ المصادر لم تشر بالتفصيل لكيفيّة تعلّم البنات، والمشكل الذي طرح ومن القديم ولا يزال مطروحا إلى يومنا هذا هو اختلاط الجنسين في التعليم، إذ تطرّق الفقهاء للموضوع كالقاضي عياض الذي بيّن الفصل بين الجنسين في التعليم بقوله: "وكان من سيرة عيسى بن مسكين في غير مدة قضائه: أنّه كان إذا أصبح قرأ حزبه من القرآن ثمّ يجلس للطلبة إلى العصر، فإذا كان العصر دعا بنته وبنات أخيه يعلّمهنّ القرآن والعلم"[3].

فرأي الفقهاء واضح في الموضوع وهو ما ذهب إليه ابن سحنون والقابسي أنّه من صلاح المتعلّمين عدم خلط الذكران والإناث، لكن من المؤكّد أنّ البنات كان لهنّ القسط الوافر من التعليم سواء عن طريق الآباء أو في الكتّاب قبل البلوغ، وهو ما يفسّر ظهور عالمات وشاعرات ذاع صيتهنّ في الأندلس وخارجها،[4] كما اشتهر بعض النّساء بمهارتهنّ في الكتابة ونسخ المصاحف، واللائي بلغن في قرطبة وحدها مائة وستون امرأة[5]، ومن أبرز المعلّمات اشتهرت **حفصة بنت الحاج الركوني**(ت:586هـ/1191م) أستاذة عصرها علّمت الكثير من النّساء في دار المنصور[6]، **ومريم بنت أبي يعقوب الشلبي** (ت:410هـ/1020م) التي اهتمت بتعليم النّساء في زمنها[7]، ويذكر ابن الآبار أنّ المرأة الأندلسيّة شاركت في الوظائف العلميّة والرّسميّة إذ مارست مهنة التعليم، ولم يكن بوسعها ممارسة هذه المهنة في الكتاتيب مثل الرّجال فمارستها داخل البيت، وذكر أخت محمد بن

[1]- **موقعة قنتش**: إحدى معارك الفتنة الأندلسية بعد سقوط أسرة ابن عامر، دارت رحاها بين أهل قرطبة بزعامة محمد بن هشام الملقّب بالمهدي، وبين البربر بزعامة سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، كانت الدائرة على المهدي وأهل قرطبة ومن ناصرهم من العلماء والفقهاء. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 87 – 90.

[2]- ابن بسّام: المصدر السابق، ج1، ص44. محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص477.

[3]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، ج4، ص 349.

[4]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 485.

[5]- ريبرا خوليان: المرجع السابق، ص 96.

[6]- ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1973، ج1، ص 493.

[7]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج3، ص 995.

حزم من أهل قرطبة كانت تمارس التأديب داخل الدار وكانت هي وأبوها وأخوها يمارسون التعليم في دار واحدة، حيث كانوا يستقبلون ثلاث مجموعات: مجموعتان من التلاميذ ومجموعة من الإناث[1].

إنّ المرأة الأندلسيّة لم تكن معزولة عن المجتمع، ولا بمنأى عن النهضة التعليميّة التي استفادت منها، ونخصّ بالذكر منهنّ المتعلّمات اللّواتي تربين وعشن في العائلات الثريّة والطبقات الخاصة، إذ وفّرت تلك العائلات لبناتهنّ نفس الاهتمام والعناية الموجّهة للبنين، وهو ما ظهر جليّا في قرطبة أيّام بني أميّة[2].

3- المساجد:

يعدّ المسجد المرحلة الهامة بعد تخطي الطفل للكتاب، فيه يتمّ تقويم سلوكه، ويتلقى فيه العلوم والمعارف، فكان هدف الطالب الوحيد هو تلقّي العلم للعلم لا للوظيفة[3]، وكان الأمراء والخلفاء يتنافسون في بناء المساجد في كلّ أرجاء الأندلس، وهي على نوعين أساسيين: مساجد جامعة وهي التي تنشئها الدولة وترعاها، وتعيّن أئمّتها ومعلّميها "فتنافسوا في هندستها وجلبوا لها العلماء والمشايخ من كلّ مكان"[4]، والمساجد الصغيرة التي تكثر في الأحياء وهي بعيدة عن إشراف الدولة، يتولّى الأهالي شؤونها وتعيين أئمة الصلوات بها[5]، وكلا الصنفين من المساجد يعقد بهما حلقات العلم، إلاّ أنّ المساجد الجامعة كانت تعقد فيها الحلقات العلميّة المتنوّعة وذات المستوى العالي والمتخصّص، وبرزت في الأندلس العديد من تلك الجوامع على غرار المسجد الجامع بقرطبة وهو أشهرها وأقدمها، فضلا عن مساجد إشبيليا، طليطلة، وغرناطة...وكانت الجوامع في تلك الحقبة الزمنيّة بمثابة جامعات بالمفهوم الحديث.

---

[1]- ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج1، ص358. ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ص158

[2]- يماني رشيد: **صورة عن نظام التعليم عند المرأة الأندلسية**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، العدد:06، ص70 – 83.

[3]- المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص181.

[4]- محمد عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، ص268.

[5]- محمد عادل عبد العزيز: **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1987، ص49.

اعتبر جامع قرطبة أهم جوامع الأندلس وأقدمها، إذ لمع ضياؤه العلميّ عهد **عبد الرحمن النّاصر** (300 - 350هـ/912م - 961م)، وهو بذلك يعدّ أقدم حتى من الجامع الأزهر الذي ظهر كمؤسسة تعليميّة في مصر عام (365هـ/975م)[1].

كان في قرطبة عدد كبير من المساجد، والتي كانت ملتقى طلاّب العلم وشيوخهم من داخل الأندلس وخارجها، وكان الطلبة من المسلمين وغير المسلمين[2]، ولا أريد أن أتطرّق للأرقام التي ذكرت عدد المساجد في قرطبة تفاديا للوقوع في التناقض والتبرير بين المؤرّخين، إلاّ أنّ الشيء المؤكّد هو تزايد عدد المساجد منذ عهد **عبد الرحمن الداخل** (138 ـ 172هـ/756 ـ 788م)، حيث بلغت أربعمائة وتسعين مسجدا، ثمّ زادت بعد ذلك إلى أن وصل عددها بالآلاف عصر الخلافة وما تلاها[3].

ومن أشهر المساجد التي بلغت مستوى الجامعات في بلاد الأندلس، جامع عمر بن دعبس في إشبيلية الذي بني عام (214هـ/829م)، في عهد الأمير **عبد الرحمن الأوسط**، وجامع الباب المردوم في طليطلة الذي أنشأ عام (390هـ/1000م)[4]، فضلا عن ثلاثة مساجد في بلنسية وهي: المسجد الجامع، مسجد رحبة القاضي، ومسجد الفلية القرطبية[5]، ومع ذلك يعدّ جامع قرطبة أهم مركز علميّ عرفته الأندلس، شهد نخبة من العلماء والفقهاء، فيه دُرّست شتى أنواع العلوم النقليّة والعقليّة، إذ توافد عليه الطلبة من كلّ أصقاع العالم[6]، وحتى النصارى الأندلسيين كان لهم حظّ في التعلّم فيه وأخذ مبادئ اللغة العربية التي تمكّنهم من الوصول إلى المناصب الإدارية والحكوميّة[7].

---

[1]- عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي: **الفكر التربوي في الأندلس 403هـ ـ 478هـ**، دار الفكر العربي، ط2، (دب)، 1985، ص60.

[2]- إبراهيم العكش: المرجع السابق، ص 168.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 540.

[4]- أمين محمد أمين: **الجامعات الإسلامية في الأندلس وأثرها على النهضة الأوربية**، منشورات الجامعة الأردنية، 2001، ص218.

[5]- كريم عجيل: **الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976، ص 218.

[6]- السيد عبد لعزيز سالم: المرجع السابق، ص 313 – 314.

[7]- أحمد محمد أمين: المرجع السابق، ص 65.

كان الإقبال كبيرا على جامع قرطبة، وممّا يروى عن **الفقيه أبي مروان عبد الملك الطبني** (396 - 456هـ)، أنّه لما عاد إلى الأندلس بعد رحلة علميّة للمشرق، جلس يدرّس في جامع قرطبة فالتفّ عدد معتبر من الطلبة حوله، فلمّا رأى ذلك الإقبال وما له عندهم من الأثرة أنشأ قائلا[1]:

إنّي إذا حضرتني ألف محبرة *** يكتبن حدّثني طـــورا وأخبرني

نادت بعقوتي الأقلام معلنة *** هذي المفاخر لا قعبان من لبن

مثل هذا الإقبال الهائل لطلبة العلم على دروس المشايخ والعلماء سجّله الشعر بطرق مختلفة، فقلد روي أنّ **عبد الملك بن إدريس الجزيري** (ت:394هـ/1004م) أنشد في قوله[2]:

وأعلم بأنّ العلم أرفــع رتــبة *** وأجلّ مكتسب وأسمى مفخر

فاسلك سبيل المقتنين له تسد *** إنّ السّيـادة تقتنى بالدفـــتر

إلى أن يقول:

تسمو إلى ذي العلم أبصار الورى *** وتغضّ عن ذي الجهل لا بل تزدري

وبضمر الأقـــــلام يبلغ أهلها *** ما ليـــــــس بالعتاق الضمّـــــر

ويكون التعليم في المساجد بأجرة يدفعها الأولياء لمن يعلّم أبناءهم، وذلك ما وضّحه المقري في قوله: "ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة"[3]، هذا حال المسجد الجامع بقرطبة ونشاطه التعليميّ، علما أنّ قرطبة قد ظهر بها مساجد أخرى غير المسجد الجامع التي نشطت بها الحركة التعليميّة للطلبة والعامّة، على غرار مسجد ابن طوريل بالربض الغربيّ[4]، وكذا مسجد طروب، ومسجد الشفاء، ومسجد الظافر...[5]، وغيرها كثير من المساجد التي عكست بحق النهضة التعليميّة، والنشاط الفكري الثقافيّ المميّز في بلاد الأندلس عصر الخلافة.

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 115. المقري: المصدر السابق، ج7، ص 49.

[2]- ابن الآبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): **إعتاب الكتاب**، تح: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961، ج2، ص 323.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 220.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ج1، ص 39.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 273 - 274. بن حاج ميلود: المرجع السابق، ص 142.

4- المكتبات:

سبق وأن ذكرنا من قبل دور المكتبات واهتمام الخلفاء بها، خاصة في عهد **الحكم المستنصر** (350 ـ 366هـ/961 ـ 976م) الذي كان "حريصا على اقتناء دواوينها يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان، ويبذل في دفاترها أنفس الأثمان...فحُملت من كلّ جهة إليه...حتى غصّت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه"[1].

وخاض الأندلسيون في زمن الاستقرار مجال الكتابة والتأليف، فكتبوا في كلّ المجالات والتخصّصات[2]، فصار الكتاب مصدر فخر يتنافس في تأليفه الفقهاء والعلماء، رجالهم والنّساء، حتى قال المقري: "أكثر بلاد الأندلس كتبا، وأشدّ النّاس اعتناء بخزائن الكتب"[3]، وكان طلبة العلم يقصدون تلك الأماكن الخاصة العامرة بالكتب ليستزيدوا منها[4]، فضلا عن المكتبات الخاصة نشطت المكتبات العامة مثل مكتبات المساجد، باعتبار أنّ المسجد في الأندلس يمثّل المركز الأول للنشاط التعليمي كما سبق الذكر، وهو ما يستدعي وجود مكتبة تسهّل طلب العلم[5]، أضف إليها مكتبات القصور التي تكون مفتوحة للعلماء والأدباء، ومن المقرّبين[6].

كان انتشار المكتبات في أكبر المدن كقرطبة، إشبيلية، المرية، مالقة، سرقسطة، بلنسية...[7]، وهذا دليل آخر لعلاقة الأندلسيين بالكتب، فمتوسّط ما تحتويه مكتبة خاصة لأندلسيّ في القرن الرابع الهجري العشر الميلادي، كان أكثر ممّا تحتويه مكتبات الغرب مجتمعة[8].

---

[1]- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص 200 – 201.

[2]- كريم عجيل: المرجع السابق، ص273.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 462 – 463.

[4]- سامية عياد: **مراكز التعليم في الأندلس من الفتح إلى عصر ملوك الطوائف(92 ـ 484هـ/711 ـ 1091م)**، مجلة كلية الأدب، العدد:36، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، مارس2022م، ص156.

[5]- كريم عجيل: المرجع نفسه، ص276.

[6]- سامية عياد: المرجع السابق، ص156.

[7]- خالد حسين: المرجع السابق، ص105.

[8]- مفتاح محمد دياب: **ازدهار حركة نشر الكتب والمكتبات في الأندلس**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع:07، ليبيا، 1990، ص266.

وعليه لا يستغني طالب العلم في مرحلة تلقيه عن تلك المكتبات العامرة التي يزورها بين الفينة والأخرى يحتكّ فيها بالكتب وعناوينها النفيسة، ويرفع من مستواه العلمي والمعرفي، وبذلك كانت المكتبات من المراكز التي لعبت دورا هاما في تطوير التعليم ببلاد الأندلس في كلّ مراحلها.

5- القصور:

كانت القصور تستعمل لتأديب الخاصّة من أبناء الأمراء والخلفاء، وممّن اشتهروا بتأديب أولاد الأمراء والخلفاء **أيوب بن منصور بن عبد الملك الأنصاري**[1]، **وبكر بن عبد الله الكلاعي**[2]، وممّن عرف عنه التعلّم في القصور الإمام الفقيه **ابن حزم الظاهري** (ت:456هـ/1064م)، إذ حرص والده على تعليمه، وتربيته، التربية الحسنة، فكانت جواري أبيه يعلمنه الكتابة والقراءة، والشعر والخطّ في صباه[3]، حتى ذاع صيته "وكان إليه المنتهى في الذكاء، وحدّة في الذهن، وسعة العلم بالكتاب والسنّة، والمذاهب، والملل والنّحل، والعربية والآداب والمنطق والشعر"[4].

وكان المعلّمون في القصور يتميّزون عن غيرهم في الأجر والشهرة مثل **أبي العباس وليد بن عيسى بن حارث بن سالم المعروف بالطينجي** (ت:352هـ/963م) "كان رجلا طاهرا له حظ من رواية...وكان مؤدّبا بعيد الاسم في التأديب يتنافس فيه الملوك"[5]. إذ كان يتسابق حوله الأمراء والخلفاء قصد تأديب أبنائهم لما له من شأن كبير في هذا المجال.

---

[1]- من أهل قرطبة، يكنّى أبا سليمان، نحوي، عالم بالإعراب. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1، ص 87.

[2]- من أهل قرطبة، إمام في النحو والشعر. ابن الفرضي: نفسه، ج1، ص 94.

[3]- ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد): **طوق الحمامة وظلّ الغمامة في الألف والآلاف**، تح: عبد الحق التركماني، مر: عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، ط 2، بيروت، 2013، ص 195 – 209.

[4]- شمس الدين الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، تح: فؤاد السيّد، (د.ط)، سلسلة التراث العربي، الكويت، 1961، ج3، ص239. طاهر بن علي: **منهج نقد الخبر في فكر ابن حزم الظاهري**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد:18، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2013، ص 211 – 219.

[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 873.

6- الدكاكين:

هي أماكن للتجارة أصلا، لكن كان يلتقي بها العلماء والفقهاء فيفيدون ويستفيد منهم العامة، وفي ذلك يروي الفقيه ابن حزم عن مجلس علم حضره في دكّان طبيب يهودي يدعى **إسماعيل بن يونس** وذلك سنة (404هـ/1013م) عندما كان مقيما في المرية مع نفر من أتباعه[1].

واستغلّت تلك الدكاكين أحيانا للعبادة إذ هيّأت بالفرش لأداء الصلوات في وقتها، وهو ما ذكر كجواب في نوازل **ابن سهل** (ت:486هـ/1073م) عن سؤال حول جواز الصلاة في الدكاكين، وقد أفتى بعدم الجواز إلاّ لعذر كالبعد عن المسجد مثلا، وذكر الاختلاف في المسألة بين الفقهاء[2].

7- الرّباطات:

وهي الحصون الدّفاعيّة، كان يؤمّها العلماء والطلبة، فالعلماء يرابطون فيها فترة من السنة، قد تصل شهرا، يدرّسون العلم فيها تطوّعا لوجه الله، وكانت تعقد فيها مجالس الإقراء والوعظ والإرشاد، ومن الرّباطات التي ظهرت في الأندلس: جبل فارة المطلّ على ساحل أبجر بالقرب من مالقة، ورباط الغبار، ورباط كشكى بالقرب من قرطوشة[3].

لم تقتصر رسالة العلماء على المساجد والكتاب بل تعداها إلى الرّباطات وميادين الحروب كما روي عن **القاضي أبو علي الصدفي السرقسطي** (454 ـ 514هـ/1062 ــ 1120م)[4]، أنّه كان يتّجه مع الجيوش من مرسية إلى المعارك الجهادية، وكلّما يمرّ الجيش بمدينة كان الصدفي يلقي بها دروسا، وحينما ينتهي من حلقات الدروس يتسلّم سيفه ليلقي نوعا آخر من الدروس[5]، ولقد نال الشهادة في ملحمة قتندة أو كتندة في ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمس منه (514هـ) وهو من أبناء الستين[6].

---

[1]- ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ص17. بن حاج ميلود: المرجع السابق، ص 152.

[2]- ابن سهل الأندلسي: **تسع وثائق في شؤون الحسبة على المساجد في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى**، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد: 22، جامعة الكويت، 1984، ص22. حاج ميلود: المرجع السابق، ص 152.

[3]- حسن الوراكلي: المرجع السابق، مقتبس من المرجع الإلكتروني.

[4]- ابن فرحون: المصدر السابق، ص 330.

[5]- خالد حسن أحمد: **تعليم اللغة العربية في الأندلس**، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 1997، ص 109.

[6]- الذهبي شمس الدين: المصدر السابق، ج19، ص 378.

8- السجون:

يكون السجن في بعض الأحيان مركزا لتقديم الدّروس خاصة إذا كان المسجون عالما مثل **أحمد بن محمد بن فرج الجياني** (ت:366هـ/1076م)، صاحب كتاب الحدائق، الذي سجن أيّام حكم المستنصر سبع سنين، لم ينقطع فيها عن العلم والتعليم، وكان الطلبة يدخلون عليه في سجنه يأخذون عنه اللغة[1].وقد يستفيد حتى أولئك المسجونين من التعلّم في هذه الحالات، ويكون العلماء سببا في إنقاذ بعض الذين انحرفت بهم السبل، وتتجدّد أحوالهم بعد استيقاظ ضمائرهم.

إنّ الحركيّة الواسعة في التطوّر العلمي لبلاد الأندلس خلال عصر الخلافة دفعت إلى طلب العلم والحرص على تحصيله، خاصة بعد تجاوز مرحلتي الكتّاب والمسجد، اللتان يلتقي فيهما عامة الطلبة، أمّا أهل التخصص والراغبون في الاستزادة فكان عليهم طلب العلم في جهات أخرى أكثر اهتماما، وأدقّ تخصصا، ومنها تنوّعت مراكز التعليم وتعدّدت.

ثانيا– أهم مراكز التعليم في حواضر الأندلس أثناء حكم ملوك الطوائف.

1- مراكز التعليم:

لم تختلف المراكز المخصّصة للتدريس في عصر ملوك الطوائف عن تلك المعتمدة في عصر الخلافة الأمويّة، متأثّرة بالموروث الفكري المكتسب، ونذكر بين المراكز المعتمدة للتعليم :

أ) المسجد:

كانت رسالة المسجد أسمى ممّا يعتقد البعض أنّه مخصّص للعبادة وحسب وإنّما هو "مدرسة حقيقيّة يتلقّى فيها الفرد التقويم السلوكي والعلوم والمعارف على أيدي العلماء، وقد أنشئ المسجد ليكون جامعة للعلوم والمعارف الكونية والعقلية والتنزيلية التي حثّ القرآن الكريم على طلبها والتزوّد منها، وليكون مدرسة يتدارس فيها المؤمنون أفكارهم، وثمرات عقولهم، ومعهدا يؤمّه طلاب العلم من كلّ صوب، ليتفقّهوا في الدّين ويرجعوا إلى قومهم مبشّرين ومنذرين، داعين إلى الله هادين، يتوارثونها جيلا بعد جيل"[2].

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص5-6. سامية سالم علي عياد: **مراكز التعليم في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصر ملوك الطوائف** (**92هـ - 484هـ/711م - 1091م**)، ص149– 166.

[2]- علي محمد الصلابي: **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م، ج1، ص373.

فكان أهل الأندلس ينظرون إلى رسالة المسجد على أنّها عبادة وعلم، وهو ما ذكره المقري بقوله: "ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة"[1]، وبقي جامع قرطبة مشعّا بالعلم فلم تتأثّر مكانته بعد زوال الخلافة الأموية، إذ بقي يؤدّي رسالته التعليميّة على أحسن حال[2]، ففيه تعقد مجالس العلم الرفيعة الراقية، ومنها مجلس **العلاّمة الأديب عبد الملك بن زيادة الله السعدي التميمي** (ت:450هـ/1058م).

لم يكن مسجد قرطبة الوحيد الذي يؤدي رسالته التعليميّة، فقد انتشرت في عواصم ملوك الطوائف المساجد التي تؤدي رسالتها التعليميّة على غرار طليطلة، غرناطة، دانية، بلنسية، سرقسطة..."وفي تلك المساجد والجوامع كان العلماء يعقدون مجالسهم العلمية وحلقاتهم الدراسية، ويجرون فيها المناظرات العلمية في شتى فروع المعرفة المختلفة، والتي كان يشهدها آلاف الطلبة بمختلف ميولهم وتخصصاتهم العلمية"[3].

وقد أدى المسجد دور التكوين للموظفين الذين يكلّفون ببعض المهام في الدولة "ففي مساجد الزاهرة شجّع المظفّر بن أبي عامر التعليم في المساجد، حيث عيّن المقرئ ابن طاهر (ت:437هـ/1046م) في جامع الزاهرة فتعلّم فيه حتى انقضت دولته فنقله محمد بن هشام إلى المسجد الجامع بقرطبة، وقصده عدد كبير من طلاّب العلم".[4]

ب) الكتّاب:

والمكاتب أماكن لتعليم الأطفال وتربيتهم، ويكون بداخل المسجد أو بالقرب منه، يتسع لمجموعة من الأطفال، من مهامه تعليم القرآن الكريم وتلقي التربية السليمة من المؤدّبين، ومن أشهر المكاتب في بلاد الأندلس التي قام بتشييدها الخليفة الحكم المستنصر وهي سبعة وعشرون مكتبا منها ثلاثة تلحق بالمسجد الجامع بقرطبة وفرّق الباقي على أرباضها معيّنا لها المعلّمين والمؤدّبين[5].

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 220.

[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 255.

[3]- المرجع نفسه: ص 256.

[4]- خميسي بولعراس: **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400هـ - 479هـ/1009م - 1086م**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1427هـ- 1428هـ/ 2006م - 2007م، ص 132.

[5]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 240 - 241.

كان يشترط في المعلّم جملة من الصفات منها "الزواج وحفظ القرآن عالما بالقراءات، واللغة والخطّ والأدب"[1]، ويطلق على المعلّم اسم "المؤدّب أو مربي الصبيان"[2]، وتسمّى المكاتب في الأندلس "المحضرة أو الحضارة أو المسيد"[3].

وتجدر الإشارة أنّ أهل الأندلس يعتمدون في تعليم أبنائهم في الكتّاب "تعليم القرآن الكريم ورواية الشعر وقوانين اللغة العربية، وتجويد الخط"[4]، وتكمن أهميّة هذه المرحلة في غرس الثوابت الأساسية للمتعلّم الذي يعتمد عليه مستقبلا في خدمة الدين والبلاد.

ج) المنازل:

قصد بعض الطلبة حلقات العلم في بيوت المعلّمين، كما تلقى طلبة الطبّ كثيرا من دراساتهم وتجاربهم في أماكن غير المساجد، وكذلك الشأن للمهتمين بالفلسفة والمنطق جعلهم يقرؤون كتبهم ويتدارسونها في المنازل وبعيدا عن المساجد[5]، وقد حبّس كثير من الأفراد منازلهم للتعليم كما فعل العلاّمة **فرج بن أبي الحكم بن عبد الرحمن اليحصبي** (ت:445هـ/1054م)[6].

وقد عرفت الكثير من منازل العلماء نشاطا مشهودا، فقد قرأ العلاّمة **طاهر بن خلف بن خيرة** على **أبي علي** رياضة المتعلّمين لأبي نعيم بمنزل أبي داود المقرئ وفرغ من قراءته للكتاب سنة (491هـ/1097م)[7]، ومن رواية العلاّمة **زاوي بن مناد الصنهاجي** (ت:539هـ/1144م) ما قرئ على **أبي علي** وهو يسمع بمنزله في مرسية سنة (508هـ/1114م)[8]، والأمثلة كثيرة عن الغرف التي كان يخصصها العلماء في منازلهم لطلبة العلم "كبيت ابن الباجي وابن عبد البر وبيت ابن حزم"[9].

1- أحمد عبد الرزاق أحمد: **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1991م، ص19.

2- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 128.

3- المرجع نفسه: ص 128.

4- ابن خلدون: **المقدمة**، ص 538 - 539.

5- خوليان ريبيرا: **التربية الإسلامية في الأندلس**، ص 145.

6- شكيب أرسلان: **الحلل السندسية**، ج1، ص 22.

7- ابن الآبار: **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989/1410، ص 95.

8- ابن الآبار: المصدر نفسه، ص 92 - 93.

9- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 20.

د) الدكاكين:

من بين المراكز التي اعتمدت للتدريس في عصر ملوك الطوائف الحوانيت التي أعدّت أصلا للتجارة، لكنّ أصحابها اعتمدوها لمدارسة العلم وتبادله، والتفقه في الدين، وقد جاء عند المقري ذكر الحوانيت المستغلّة للتعليم في قوله: "وكتب أحد الأدباء بمرسية إلى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه"[1].

وكثيرة هي الأمثلة المتعلّقة بأخذ العلم من الحوانيت المخصصة للتجارة، فقد سمع الأديب محمد بن خليد في القرنين الخامس والسادس الهجريين مقامات الحريري من **العلاّمة أبي الحجاج القضاعي** (ت:542هـ/1148م) بالمرية، وفي حانوت بباب الزياتين منها[2]، وكلّ تلك الأمثلة تدلّ على نشاط مراكز التعليم وتنوّعها، كما تنبئ عن حيوية الحركة التعليمية في عصر الطوائف.

هـ) مجالس الملوك:

أدّت تلك المجالس دورا حقيقيا في تطوير الحركة الفكرية عموما والتعليميّة على وجه الخصوص، فغدت قصور ملوك الطوائف منتديات أدبية، وملتقيات للعلوم والفنون، إذ غلب على كلّ بلاط من بلاطات ملوك الطوائف لون معيّن من المعارف، واشترك الشعر بينها، فلقي منهم كلّ رعاية[3]، ولقيت مجالس الشعر قبولا منقطع النظير، حرص على حضورها العلماء وبعض الطلبة المجتهدين، ووصف أحدهم مجلس بني ذي النون في طليطلة قائلا[4]:

ومجلس حجم الملاهي أزهرا *** ألذّ في الأجفان من طعم الكرى
لم تــر عيني مثـله ولا ترى *** أنفس في نفسي وأبهى منظـــرا

ساهمت تلك المجالس في نشر الثقافة بين عامة النّاس وخاصتهم، وتخرّج منها ثلّة من المثقّفين في عصرهم "كمجاهد العامري أمير دانية والجزر الشرقيّة الذي كان مولى من موالي المنصور بن أبي عامر وتوارث هو الأخير فتح قصوره بدانية للثقافة والأدب فتهافت عليه العلماء من كلّ فجّ عميق"[5]، هذا

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 20.

[2]- ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج2، ص 495.

[3]- صلاح الدين وانس: المرجع السابق، ص 75.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 649 – 650.

[5]- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 217.

الإقبال على العلم والمعرفة يعكس الرغبة الكبيرة لدى سكان الأندلس في الرقيّ الفكري الذي شمل جميع مناحي العلوم، فلم تثنهم الفتنة والتمزّق عن طلب العلم وحضور منتدياته الراقية.

2- طبيعة المدارس المنتشرة في الأندلس:

أودّ قبل نهاية الحديث عن المراكز التعليميّة التي اعتمدها الأندلسيون أن أطرح سؤالا أراه ضروريا لتتمة الموضوع مفاده هل امتلكت الأندلس مدارس بالمفهوم المتداول عليه اليوم كبنايات مخصّصة للتعليم؟

سؤال من الضروري طرحه، بعد أن شحّت الوثائق المؤرّخة للمدارس في الأندلس، وقد بيّن هذه الصعوبة محمّد عبد الحميد عيسى عند دراسته للموضوع بقوله: "تعدّ دراسة المدرسة في الأندلس من أصعب الأمور وأغمضها، حيث تتباين حولها أراء المؤرّخين بصورة شديدة، ويساعد على هذا الغموض قلّة البيانات وسكوت المراجع"[1]، إشكالية يتمّ طرحها بهذا الشكل من أحد المتخصّصين في دراسة واقع التعليم بالأندلس تبيّن صعوبة التطرّق للموضوع خاصة في المرحلة المدروسة، وما يزيد في صعوبتها شهادة المقري الذي قال بصريح العبارة: "ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا"[2]، أي أنّ المسجد كان ينوب المدرسة في العمليّة التعليميّة خاصة في المراحل الأولى من قيام دولة الإسلام في الأندلس.

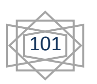
ولم تظهر المدارس بالمفهوم المتداول بيننا إلاّ في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، أي مع دخول الموحّدين لبلاد الأندلس، إذ نقلوا هيكل المدرسة معهم من المغرب ضمن باقي الهياكل والأنظمة التي نقلوها معهم[3]، ومن بين أبرز المدارس التي شهدتها الأندلس بعد القرن الخامس الهجري، مدرسة مرسية التي أنشأها **الأمير الفونسو العاشر**(649 ـ 682هـ/1252 ـ 1284م) بعد استيلائه على المدينة سنة (641هـ/1243م)، وأشرف عليها العالم المسلم **محمد بن أحمد الرقوطي**، فعلّم فيها أبناء الديانات الثلاث[4]، وهي التي أشار إليها ابن فرحون (ت:799هـ/1397م)

[1]- محمد عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، ص 378.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص220. أمين محمد أمين: مرجع سابق، ص 68.

[3]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 382.

[4]- أمين محمد أمين: المرجع السابق، ص 68 ـ 69.



عند حديثه عن **أبي علي الصدفي** (ت:514هـ/1120م) بقوله: "ثمّ عاد إلى الأندلس، وذلك عام (490هـ/1096م) واستقرّ بمدرسة مرسية، ورحل إليه النّاس"[1].

وظهرت كذلك مدرسة غرناطة التي أقامها السلطان **أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف** الملقّب بالفقيه (671 - 707هـ) استقدم فيها الفقيه **محمد بن أحمد الرقوطي** من مرسية[2]، والتي يبدو أنّها لم ترق إلى مستوى المدرسة من حيث هيكلها، وإنّما هي منزل أعدّ للفقيه وجُعل منه جناحا لإقراء الطلبة[3].

وظهرت مدرسة مالقة، التي أنشأها الفقيه **محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري المعروف بأبي عبد الله الساحلي** (687-754هـ/1279-1353م)، بنيت من أموال الأغنياء وأقامها في الجانب الغربي من المسجد الأعظم[4]، وهناك من يرجّح أن تكون هذه المدرسة أول مكان في الأندلس خصّص للتعليم بعيدا عن المساجد[5].

وبدأت كلمة مدرسة تظهر في أشعار الأندلسيين مع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بعد سقوط المدن ورثائها، والدعوة إلى إنقاذها، كقول ابن الآبار في قصيدته[6]:

يا للمساجد عادت للعدا بيعا *** وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها إلى استرجاع فائتها *** مدارسا للمثاني أصبحت درسا

ويقول شاعر آخر كما جاء في نفح الطيب ولم يذكر اسمه[7]:

بأبي مدارس كالطلول دوارس *** نسخت نواقيس الصّليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها *** فيخاله الرّائي إليه مساءها

1- ابن فرحون: المصدر السابق، ص 105.
2- أمين محمد أمين: **الجامعات الإسلامية في الأندلس وأثرها على النهضة الأوربية**، ص 69.
3- حسن الوراكلي: المرجع السابق، مقتبس من الموقع الإلكتروني.
4- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج3، ص 191 – 193.
5- محمد عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، ص 387.
6- المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص 457.
7- المصدر نفسه: ج4، ص 480.



وممّا نخلص إليه أنّ المدرسة كمصطلح يعني مكان الإقراء والتعليم، وهي منتشرة في بلد الأندلس حيث وجد العلماء والمدرسون باختلاف مراكز تدريسهم، سواء كان ذلك في الكتّاب، المسجد، أو القصور...وغيرها.

فالمدرسة حيث يتمّ التدريس، بعيدا عن المصطلح الحالي لمفهوم المدرسة التي هي مؤسسة تعليميّة رسميّة يتلقى فيها التلاميذ تعليمهم الأساسي في مختلف العلوم خلال فترة محدّدة، فإنّ جون ديوي يميل "إلى اعتبار المدرسة من وجهة نظر فرديّة بوصفها شيئا بين العلم والطالب"، أي المكان الذي يجمعهما ويتم تدارس العلم فيه، ويضيف قائلا: "أكثر ما يثير اهتمامنا التقدم الذي يحرزه طفل من معارفنا في نموه الجسدي الاعتيادي وتقدّمه في القدرة على القراءة والكتابة والحساب ومعلوماته في الجغرافية والتاريخ وتحسّن طباعه وعاداته في التهيؤ والاستعداد للأشياء، وفي النّظام والمواظبة، فبمثل هذه المعايير نقيس عمل المدرسة، وإنّنا على حقّ في هذا[1]".

من هذا التوضيح يتبيّن لنا أن التعليم كان يقام في المدارس بالأندلس، تلك المدارس على تنوع هياكلها وتسمياتها فقد اعتنت بالأطفال وتنشئتهم، وعلّمتهم القراءة والكتابة، وكلّ مجالات العلوم النقليّة منها والعقليّة، كما حسّنت طباع الأطفال، وعلّمتهم النظام والمواظبة، تلك هي المواصفات التي مثّلتها المدارس الأندلسيّة وظهر نتاجها جليّا في العدد الهائل من العلماء والمفكّرين والأدباء الذي تخرّجوا منها، وما قدّموه للبشريّة من إنتاج فكريّ قلّ نظيره.

ثالثا– أهمّ الحواضر العلميّة والتعليميّة في الأندلس خلال عصر الطوائف.

مثّلت قرطبة في عصر الخلافة قبلة العلم والمعلّمين، ومحجّة الأدباء والمفكّرين، فهي عاصمة الملك، ومرجعيّة الدولة في كلّ المجالات، إلاّ أنّ الضعف من جهة، والتنافس على الحكم من جهة أخرى عجّلا انقسام الأندلس إلى ممالك متفرّقة، أثّر ذلك في مرجعيّة قرطبة كحاضرة علميّة وثقافية، خاصة وأنّ الفتنة البربريّة اتخذت منها أرضا ومسرحا فأثّر ذلك سلبا في إنتاجها الفكري الذي صار عرضة للتلف والهلاك، فهجرها العلماء لعدم توفّر الأمن، فضاعت مكانتها العلميّة، كما ضاعت مكانتها الإدارية والسياسيّة[2]، وكان من نتائج ذلك توزّع التركة العلميّة والفكريّة عبر الممالك الجديدة، متنافسة فيما بينها لامتلاك الزخم الكبير الذي فاقت به قرطبة غيرها، وكان هدف الملوك الأساس هو

[1]- جون ديوي: **المدرسة والمجتمع**، تر: أحمد حسن الرّحيم، منشورات دار الحياة، ط2، بيروت، 1978، ص 31.

[2]- خميسي بولعراس: **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف**، ص 121.



الوصول إلى مصافّ الريادة المضيّعة من قبل قرطبة، فظهرت مراكز علمية وتعليميّة حاولت خلافة المجد التليد، ومن بين تلك المراكز على سبيل المثال نذكر:

– **إشبيلية** التي خطفت الأنظار بتحوّلها إلى مدينة العلم والعلماء، فذاع صيتها زمن **المعتمد بن عبّاد** (461 ـ 484هـ/1069 ـ 1091م)، الذي استقطب الشعراء والأدباء، وكان للرجل مؤهلاّت أدبية مكّنته من الإشراف المباشر لبعث الحركة الفكريّة في مملكته[1]، وممّا يشار إليه أنّ عائلة بني عبّاد بيت علم مشهود لهم، إذ تولوا القضاء في إشبيلية زمن بني أميّة، وفيهم قال الحميدي: "كان أبو عمرو عبّاد صاحب إشبيلية من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، ولقد رأيت له سفرا صغيرا في نحو ستين ورقة من شعر نفسه منها قوله[2]:

كأنّما ياسميننا الغضّ *** كواكب في السماء تبيضّ

والطرق الحمر في جوانبه *** كخدّ عذراء مسّه عضّ

عرفت إشبيلية في عصر بني عبّاد ازدهارا علميا لم تشهده من قبل، وبذلك فاقت أمصار الأندلس فعدّت أبرز مدنها بعد أن تخلّت لها قرطبة عن الرّيادة والرئاسة[3]، فبرزت إشبيلية من المراكز الحضارية البارزة التي وفد عليها الشعراء والأدباء لما سمعوه من عناية الملوك واحترامهم لأهل العلم وفي هذا المجال يقول ابن بسّام الشنتريني: "وحضرة إشبيلية على قدم الدهر كانت قاعدة هذا الجانب الغربي من الجزيرة، وقرارة الرياسة ومركز الدول المتداولة، ولما كانت دار الأعزّة والأكابر ثابت فيها الخواطر، وصارت مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم وميدان فرسان المنثور والمنظوم لاسيما في أول المائة الخامسة من الهجرة...فأتاها العلم من كلّ فجّ عميق وتبادر العلماء بين سابق ومسبوق، وقلّما رأيت فيها ناثرا غير ماهر ولا شاعرا غير قاهر"[4].

وفي إشبيلية ظهر ثلة من الأدباء والشعراء منهم الأديب **ابن زيدون** (394- 463هـ/1003 – 1070م)، والشاعر **ابن عمّار** (422– 477هـ/1031- 1085م)، وصارت مركزا للفنّ والغناء[5].

---

[1]- السيّد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة**، ج2، ص 101 – 102.

[2]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 285.

[3]- عبد العزيز سالم: **المساجد والقصور في الأندلس**، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1406هـ/1986م، ص77.

[4]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ص 11 – 12.

[5]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ، ج2، ص 104.



- **طليطلة** المتفتّحة على الثقافات، ويعدّ **إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون الظافر**[1] (427 ـ 435هـ/1036 ـ 1043م) أول ملوكها، وإن لم يكن متحليّا بصفات العلم والأدب التي عرف بها نظراؤه في الأقاليم الأخرى، ولم تزدهر طليطلة إلاّ في عهد ابنه **أبو الحسن يحي بن إسماعيل بن عامر بن مطرف الملقّب بالمأمون**[2] (435 ـ 467هـ/1043 ـ1075م)، صاحب أهم قصر بني بالمملكة، وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، كان مميّزا لم يعرف مثله في الممالك الأخرى، انتشرت في تلك القصور المجالس الأدبية والغناء[3].

وعرف عن المأمون تشجيعه للعلماء ومنهم من أهدى إليه مؤلّفاته كالعالم **ابن حيان** الذي أهداه كتاب "المتين"[4]، واجتمع له الكثير من العلماء والأدباء منهم: **أبو الفضل البغدادي** الذي استجلبه المأمون بن ذي النون فحسن بطليطلة مثواه، وأجزل قراه، وتوسّع له ولعبيده في البرّ، وأجرى له ستين مثقالاً في الشهر[5]، ويظهر أن اختيار مثل هؤلاء العلماء الأغراب عن الأندلس لطليطلة عن غيرها، للسمعة العلمية العالية التي بلغها المأمون، والتي جعلتهم يفضلونها في نشر علمهم وتعليمه للناشئة.

وبرز في بلاطه ثلّة من العلماء نذكر منهم في مجال الفلك **أبو إسحاق إبراهيم بن يحي النقاش ابن الزرقالي** صاحب كتاب "الجداول الفلكيّة"، فضلا على القاضي والمؤرّخ **صاعد الأندلسي** صاحب "طبقات الأمم"[6]، والذي عرف عنه التبحّر في علوم مختلفة فقد كان فقيها وأديبا ومؤرّخا وفلكيا ورياضيا[7].

---

[1]- **إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون**، أول من ولي على إمارة طليطلة في عصر الطوائف، واستمرّ حاكما بها إلى غاية وفاته سنة 430هـ. عنان: المرجع السابق، ص 55.

[2]- **يحي بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري الأندلسي**: من ملوك الطوائف حكم طليطلة بعد وفاة أبيه سنة 435هـ، وفي سنة 458هـ استولى على بلنسية وأنهى دولة آل عامر، توفي بطليطلة سنة 460هـ/ 1068م. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 277.

[3]- خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص 122.

[4]- فاطمة بلهواري: المرجع السابق، ص 305.

[5]- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 89.

[6]- عبد الرحمن الحجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ص 414.

[7]- حسن الوراكلي: المرجع السابق، ص 15.

وبرز في بلاطه الطبيب **أبو عثمان سعيد بن البغونش**[1]، فغدت تلك العلوم المتنوّعة أكثر انتشارا في طليطلة دراسة وتدريسا[2]، كما اشتهرت طليطلة بانتشار العلوم العقلية وتدريسها، إذ خرج العلاّمة **أبي إسحاق إبراهيم بن لب التجيبي المعروف بالقويدس** من قلعة أيوب[3]، واستوطن طليطلة وأدّب بها فبرع في علوم العدد والهندسة وعلم الفرائض، وجلس للتعليم بها زمنا طويلا، وكان بصيرا بعلم هيئة الأفلاك وحركة النجوم، وظلّ يعلّم بطليطلة إلى أن توفي بها سنة (454هـ/1062م)[4].

تلك صورة عن واقع طليطلة كإمارة جديدة في بلاد الأندلس كانت تنافس غيرها من الإمارات بغية خلافة قرطبة، وقد برز نشاطها وتفوّقها العلمي خاصة في عهد المأمون الذي لم يدّخر جهدا في تطوير إمارته باستقطاب أشهر العلماء في العلوم العقليّة، ولم ينافسها يومها في الاهتمام بالعلم والعلماء إلا سرقسطة في عهد بني هود.

– **سرقسطة** والتي عرفت حرك علميّة مميّزة في زمن بني هود الجذاميين اليمنيين المثقّفين، فاهتمّوا بالآداب والفن، وتميّزت مملكتهم بجمع الزخارف والتنميقات، وأسسوا مجالس للغناء مواكبة للنشاطات التي عرفتها باقي الممالك الأخرى[5].

عرف عن ملوكها نبوغهم في العلوم الرياضية والفلك[6]، ومنهم ملكها **المقتدر بالله**(438–474هـ/1047 – 1081م)[7]، والذي ذكره أبو الوليد الشقندي كما رواه المقري: "وهل لكم في علوم النّجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فإنّه كان في ذلك آية"[8].

1- سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس** ، ص 162.

2- المرجع نفسه: ص 163.

3- **قلعة أيوب**: قلعة تقع في الشمال الشرقي لمدينة طليطلة. الحميري: المصدر السابق، ص 469.

4- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 74.

5- عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة**، ج2، ص 107 – 108.

6- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 146.

7- **المقتدر بالله**: أحمد بن سليمانبن محمد بن هود، تولى الحكم بعد وفاة والده، تميّزت سرقسطة في عهده بمكانة هامة، وضمّ بلاطه كبار علماء عصره، كان عالما شغوفا بدراسة الفلسفة والفلك والرياضيات، توفي سنة 474هـ/1081م. ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص168. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص222 - 223.

8- المقري: المصدر السابق، ج1، ص441.

فقد بلغ المقتدر من البراعة والتفوّق في الرياضيات والفلك العالميّة في زمانه[1]، وكذلك ورث ابنه **يوسف المؤتمن**[2] (473-477هـ/1081 ـ 1085م) مسيرة أبيه في الاهتمام بالعلوم والانشغال بالفلسفة[3]، ذاع صيت المؤتمن في العلوم فقيل عنه: "كان المؤتمن قائما على العلوم الرياضية وله فيها تأليف ومنها كتاب الاستكمال والمناظر"[4]، وقد حظي كتاب "الاستكمال" بدراسة وشرح موسى بن ميمون واعتبره جديرا بالدراسة والعناية لأنّه في نفس مستوى كتابات إقليدس، أو كتاب "المجسطي" لبطليموس[5].

وقد ساهموا في تشجيع العلماء وإجزال العطايا إليهم، فضلا على التسامح الديني الذي تميّز به أولئك الحكّام بتشجيعهم لعلماء أهل الذمّة الذين ملئوا بوجودهم بلاط الدولة خاصة منهم اليهود[6]، وفي مقدّمتهم **أبو الفضل بن حسداي** (ت:358هـ/970م)[7].

ومكّنت الحريّة الفكرية من إدخال رسائل إخوان الصفا زمن المقتدر بالله[8] من قبل **الطبيب الكرماني** (368 ـ 458هـ/978 ـ 1066م)[9].

ساهمت الحرية الفكرية في بروز سرقسطة كنجم ساطع في عصر ملوك الطوائف، إذ لعبت دوراً هامّا في بعث الحركة العلمية خاصة العلوم العقلية والفلسفة مما جعلها قبلة العلماء في زمانها.

---

[1]- أنخل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص454.

[2]- **يوسف بن أحمد بن سليمان بن هود الملقّب بالمؤتمن**، ولي بعد وفاة أبيه سنة 474هـ، فكان خير خلف له، كان مولعا بالعلوم الرياضية، لم تطل مدة حكمه فتوفي بسرقسطة سنة 478هـ/1085م. المقري: المصدر السابق، ج1، ص441.

[3]- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق ص435 – 436.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص441.

[5]- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 454 – 455.

[6]- حسن الوراكلي: **ياقوتة الأندلس" دراسة في التراث الأندلسي"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص16.

[7]- **أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي**، أبوه يوسف من بيت شرف اليهود، كان له في الأدب باع كبير، وكان ابنه أبو الفضل هضبة علاء، وجذوة ذكاء، أسلم أبو الفضل وحسن إسلامه، تناول الفنون وأحكام علم لسان العرب، بلغ مرتبة في البلاغة والشعر والأدب، فصارت الكتابة باسمه. ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 458.

[8]- فطيمة عابد: **الحياة الفكرية بسرقسطة البيضاء خلال عهد ملوك الطوائف (431هـ– 512هـ/1039م– 1118م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ وسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 36–37.

[9]- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 455.

– **المرية** وكانت في عهد بني صمادح منافسة لإشبيلية في الإنتاج الأدبي، فانتشرت بها علوم متنوعة، وذاع صيتها في عهد **المعتصم بالله** (442 ـ 483هـ/1051 ـ1091م)[1] الذي قيل في وصفه: "ملك أقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها، وأوضح رسمها وأثبت جبين أوانه وسمها، لم تخل أيّامه من مناظرة، ولا عمّرت إلاّ بمذاكرة أو محاضرة"[2].

كانت تعقد المجالس بقصر المعتصم بالله للمذاكرة، فكان يجلس كلّ جمعة مع الفقهاء والخواص فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث، ولزم مجلسه جهابذة الشعراء ومن جملتهم **أبي عبد الله الحداد** (ت:480هـ/1087م)، كما قام بتشجيع أهل العلم وأجزل لهم العطاء[3].

فكانت المرية على عهده محطّ أنظار أهل العلم والأدب، فرحل إليها عدد كبير لقوا في بلاط المعتصم بالله كلّ تكريم[4]، ومن بينهم الأديب **قاسم بن أيوب الطائي** صاحب كتاب "بستانة الكتابة وريحانة الخطابة"، وكان تأليفه بطلب من المعتصم بالله[5].

ولم تشهد المرية بروزا في العلوم العقلية إلا الشيء القليل، ومن بينهم الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاّب الذي برز في الهندسة والفلك والمنطق، فضلا على العلاّمة **أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرعيني** (ت: 435هـ/1043م) والذي تفوّق في الهندسة والفلك إلى جانب إسهامه في الأدب واللغة وعلوم الدين والتاريخ والأنساب[6].

---

[1]- **محمد بن معين بن محمد بن صمادح، أبو يحي التجيبي الأندلسي**، صاحب المرية، ولد سنة (429هـ/1038م)، ولي بعد وفاة أبيه سنة443هـ، تلقب بالمعتصم بالله، كان كريما حليما، حسن السيرة في رعيته فانتظمت أيامه واستقامت أمور دولته، كان عالما بالأدب والأخبار، شاعرا مقربا للأدباء، توفي سنة (484هـ/1091م). ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص 78-80.

[2]- المراكشي: المصدر السابق، ص53. إحسان عباس: المرجع السابق، ص 72.

[3]- إحسان عباس: المرجع السابق، ص 71.

[4]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 166.

[5]- سهى بعيون: **إسهامات العلماء المسلمين في العلوم بالأندلس عصر ملوك الطوائف** 422هـ- 479هـ/1031م - 1086م، رسالة ماجستير، دار المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص158.

[6]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 72 – 73.

- **بطليوس** وهي عاصمة بني الأفطس التي جمعت كلّ المؤهّلات الثقافيّة، ونافست اشبيلية على الريادة الأدبية[1]، فكان لملوكهم دور في بعث نشاط العلوم والآداب، فكان منهم علماء ذاع صيتهم في البلاد منهم **الملك المظفّر بن الأفطس** (437 ـ 461هـ/1045 ـ1069م) الذي قال عنه ابن عذارى: "كان شاعرا أديبا وعالما لبيبا وبطلا شجاعا وله التأليف الأكبر المسمى بالمظفري ألّفه بخاصة نفسه ولم يستعن فيه بأحد من العلماء إلاّ بكاتبه أبي عثمان سعيد بن خيرة واحتوى هذا الكتاب على الأخبار والسير والآداب في نحو خمسين مجلّدا"[2].

كان بلاط الملك عامرا بمجالس العلم والمناظرة، يلتقي فيه العلماء والأدباء يتبادلون العلوم تنويرا للأذهان وإحياء للعلوم[3]، ولاهتمامه بالكتب وحرصه على جمع المصنّفات أهداه الفقيه الأديب **عمر بن عبد البر النمري** مجموع مختاراته الفريدة المسماة " زينة المجالس" في ثلاث مجلّدات[4].

فضلا على ذلك كان مهتمّا بالشعر لدرجة أنّه لا يحبّ منه إلاّ الجيّد وتحديدا كان ميّالا للشعر الحماسيّ والفلسفي، وقد ذكر عنه ابن بسام أنّه كان يقول: "من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكت"[5].

استمرّ النشاط العلمي في عهد ابنه المتوكل الذي عرف عنه تشجيع الحركة التعليميّة وتقريبه للعلماء، وعرفت بطليوس في عهده الأمن والرخاء، حيث قيل عنه: "ملك طافت بكعبته الآمال واعتمرت إلى لسن وفصاحة، ورحب جناب للوافدين وساحة، ونظم شعر يزرى بالدّر النّظيم ونثر تسرى رقته سرى النّسيم وأيّام كأنّها من حسنها جمع وليالي كان فيها على الأنس حضور ومجتمع"[6].

وقد شبّه المتوكّل بن الأفطس بالمعتمد بن عباد في استقطاب مجلسيهما للعلماء ورعايتهم وتكريمهم، مع وجود فارق طفيف بينهما وهو أنّ المعتمد كان شاعرا في حين نجد المتوكل أكثر أدبا وكتابة وهو ما جاء على لسان المقري في قوله: "كان المتوكّل في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد بإشبيلية، قد أتاحت الآمال بحضرتهما وشدّت رحال الأدب إلى ساحتهما، يتردّد أهل الفضائل

1- خميس بولعراس: المرجع السابق، ص 122.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 236 – 237.

3- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 153 – 154.

4- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 118.

5- ابن بسام: المصدر السابق، ج2، ص 641.

6- ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ج1، ص 120.



بينهما، كتردّد النواسم بين جنتين وينظر الأدب منهما على مقلتين، والمعتمد أشعر، والمتوكل أكتب"[1].

تلكم هي حقيقة بطليوس والتي وصفتها المصادر التاريخيّة أيّام بني الأفطس واهتمامهم بالعلم وتدريسه، بالأيام السعيدة الشبيهة بالأعياد، إذ كان بلاط ملوكهم ملجأ وملاذا لكل ذي علم وأدب[2].

– **دانية** وكان عليها **مجاهد العامري** (400 ـ 436هـ/1010 ـ1045م) الذي عرف عنه انشغاله بعلوم الدين واللغة، فكان نابغة في علم القراءات، وذلك مرجعه لنشأته العلمية في عهد المنصور بن أبي عامر، الذي كان يشرف على تعليمه وخصّص له أئمّة في القراءات[3].

وقد حضي العامري بثناء المؤرّخين عليه فيقول عنه ابن بسام: "فتى أمراء دهره، وأديب ملوك عصره، لمشاركته في علم اللسان، وتفوّقه في علم القرآن، وعني بذلك منذ صباه وابتداء حاله إلى حين اكتهاله، ولم يشغله عن التزيّد عظيم ما مارسه من حروب برّا وبحرا حتى صار في المعرفة نسيجا وحده"[4].

كان مجاهد مولعا بجمع الكتب، والسعي في جلبها من مختلف الجهات، باذلا في ذلك أموالا كبيرة، فاجتمعت لديه خزائن المصنّفات، كان يقضي بعض وقته في مطالعتها، ويذكر ذلك ابن بسام: "جمع من دفاتر العلوم خزائن جمّة وكانت دولته أكثر الدول خاصة، وأسراها صحابة لانتحاله الفهم والعلم، فأمّه جملة من العلماء وأنسوا بمكانه، وخيّموا في سلطانه، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة وحلبة ظاهرة[5]، وبذلك جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه[6]، وجاءه العلماء قاصدين مملكته من جهة وصقع[7].

وقد أورد ابن عذارى عنه اهتمامه بالعلماء وإكرامه لهم بقوله: "قصده العلماء من المشرق والمغرب، وألّفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم، فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير ومضى على ذلك طول عمره"[8]، ولاهتمامه بالدراسات القرآنية واللغوية فقد امتلأ بلاطه بهذا المجال من العلوم

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 467.

[2]- المراكشي: المصدر السابق، ص 53. إحسان عباس: المرجع السابق، ص 72.

[3]- ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج1، ص 23.

[4]- ابن بسام نقلا عن سهى بعيون: المرجع السابق، ص 160.

[5]- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 23.

[6]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 218.

[7]- مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تح. تر: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983، ج1، ص217.

[8]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 156.

وظهر من العلماء ما تفتخر به مملكته من أمثال العلاّمة **أبي عمرو الداني**[1]. المتبحّر في العلوم عموما وبالقراءات خصوصا، والذي لقي القبول لدى النّاس وتداولوا كتبه القيّمة على غرار كتابه "التيسير"[2].

وبلغ اهتمامه بالتأليف أن طلب من ابن سيّدة[3] أن يصنّف له كتابان وهما "المخصص" و"المحكم"، وكان تأليفهما بطلب من مجاهد نفسه الذي شغلته أمور السياسة والحروب عن خوض مجال الكتابة والتأليف[4].

ذلك عرض وجيز لنشاط مجاهد العامري العلميّ والفكري في دانية، خاصة في الدراسات القرآنية واللغوية، والتي استقطبت إليها خيرة علماء الأندلس الراغبين في الاستقرار الذي يفتح لهم مجال العطاء المعرفي، والذي تمّ الاستفادة منه خاصة في نوع المؤلّفات القيّمة في عصره.

ويتّضح من خلال عرض جزء من الحواضر التي انتشرت في بلاد الأندلس في عصر ملوك الطوائف أنّ الفتنة سبّبت في تمزيق البلاد الموحّدة المتماسكة بسبب الضعف والأطماع المتزايدة من قبل الأمراء الطامحين في السلطة مهما كلّف ذلك من ثمن ولو على حساب وحدة البلاد وقوّتها، إلاّ أنّه من جهة أخرى برز التنافس والتسابق بين الملوك في الظفر بخلافة مكانة قرطبة الحضارية، وهو ما دفعهم إلى تشجيع العلم واستقطاب العلماء علّهم يحافظون على المكانة المرموقة لمجد الأندلس المتناثر.

---

[1]- **عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر**، ولد سنة 371هـ، يسكن دانية، أحد أئمة علم القرآن ورواياته وتفسيره، وله معرفة بالحديث وطرقه، كان حسن الخط والضبط، من أهل الحفظ والذكاء، توفي سنة 440هـ. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 380. المقري: المصدر السابق، ج2، ص 135.

[2]- ابن خلدون: **المقدمة**، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 2006، ص 488.

[3]- **أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة المرسي**، نسبة إلى مرسية، كان إماما في اللغة العربية وحافظا لها، وقد جمع في ذلك جموعا، منها كتابه "**المحكم**" وكتابه "**المخصص**"، وكتابه "**الأنيق**" في شرح الحماسة في ست مجلدات، كان ضريرا، وخدم مجاهد العامري وألف له التواليف، توفي في دانية سنة 458هـ. صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، ص119. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 311 – 312.

[4]- ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل): **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تح: عبد الستار أحمد فرج، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، ط1، مصر، 1377هـ/1958م، ص06.

المبحث الثاني: طرق التعليم في الأندلس.

أولا– طرق التعليم:

تقوم طرق التدريس في بلاد الأندلس حسب طريقة المربي أو المعلّم، فلكلّ طريقته في التدريس، وهدفها جميعا التدرّج من البسيط إلى الصعب، مع محاولة تسهيل المعلومات، ليفهمها الطلبة المتعلّمون، وأهم تلك الطرق المعتمدة في التدريس نجد:

1- الإقراء:

تعدّ من أشهر الطرق وأبرزها، إذ يقوم المعلّم بالقراءة، ويكتب الطلبة عنه، أو يكلّف طالب من المعلّم بالقراءة في حضرته، ويشرع الطلبة في الكتابة، ويكون دور المربّي هنا تصحيح القراءة، وتقديم النطق السليم للكلمات التي ينطق بها الطالب، هذه الطريقة الأكثر شيوعا خاصة في تعليم القراءات القرآنية، وتعليم العلوم الدّينيّة[1].

وقد اشتهر في الأندلس **أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحقّ الخزرجي** (ت:511هـ/1117م)، بإقراء النّاس مدّة طويلة بهذه الطريقة[2]، وكذلك **أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى** (ت:429هـ/1307م)، كان من أشهر الأئمة في علم القراءات، ومعرفته بمعاني القرآن، والنّاسخ والمنسوخ، سكن قرطبة وأقرأ النّاس محتسبا في سبيل الله[3].

2- الإملاء:

وهي أن يتّخذ المعلّم مجلسا يضمّ طلبته، ويقوم بالإملاء عليهم من ذاكرته بما يحفظ من علم، وطلبته يكتبون، ويبدأ المعلّم مجلسه بالتسمية والصّلاة والسّلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ يقدّم الدرس، وإذا فرغ منه يختم الحلقة بقراءة الفاتحة، ثمّ يعيّن للطلبة الدرس القادم[4].

---

[1]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص347.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 74.

[3]- المصدر نفسه: ج1، ص 44 - 45.

[4]- محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص 14. بن حاج ميلود: المرجع السابق، ص 129.

وأشهر المعلّمين بهذه الطريقة **يحي بن ملك بن عايذ بن كيسان** (ت:375هـ/985م)، فعند عودته من الرحلة المشرقيّة عام (369هـ/979م)، سمع منه كثير من الطلبة، وحتى أبناء الخلفاء، وكبار السنّ، وكان يقوم بالإملاء في المسجد الجامع في كلّ يوم جمعة[1].

3- المناظرة أو الحوار:

طريقة تبدأ بطرح الطالب السؤال أو المسألة التي يستشكلها، ويشرع الأستاذ في الإجابة على السؤال مبيّنا جوانبه وخفاياه، والآراء المختلفة حوله، واعتمد على هذه الطريقة **أحمد بن محمد بن رزق الأموي** (ت:477هـ/1084م) إذ قيل عنه: "أنّه كان مدار طلبة الفقه في قرطبة في المناظرة والمدارسة والتفقّه عنده"[2]، ومثال آخر لهذه الطريقة **الشيخ عبد الله الطليطلي** (ت:418هـ/1062م) يبدأ المناظرة بذكر الله تعالى، والصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ يورد الحديث والحديثين والثلاثة، والموعظة، ثمّ يطرح المسائل من غير الكتاب الذي كانوا يناظرون منه[3]، وذلك لسعة علمه.

وهناك طرق أخرى ذكرها محمد عبد الحميد عيسى، كانت متداولة في التعليم بالأندلس منها: الملاقاة، السّماع، والاختلاف إلى الشيوخ[4]...كلّها تسعى إلى تقريب المعلومة من الطلبة، وتحقيق الفهم الذي يرجوه كلّ معلّم ممّن يلقّنهم العلم.

ويميّز مرحلة التدريس ملازمة التلميذ لشيخه، فكلّما طالت مدة الجلوس إلى المعلّم كان في صالح المتعلّم، وقد يصبح التلميذ متخصّصا في نفس المواد التي أخذها عن شيخه، كما كان شأن **أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللّخمي** (ت:533هـ/1138م) الذي صحب شيخه **أبا عليّ حسين بن محمد الغسّاني الجياني** (ت:498هـ/1105م)، الذي اختصّ به وأخذ منه معظم ما عنده[5].

[1]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 193 - 194.

[2]- ابن بشكوال: **الصلة**، ج1، ص 65- 66.

[3]- المصدر نفسه: ج1، ص 226.

[4]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 349.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 80.



يأخذ التلميذ عن شيخه مادة أو أكثر، ثمّ ينتقل إلى شيخ آخر ليسمع عنه مادة جديدة أو عدّة مواد حسب ثقافة الشيخ وتنوّعها، ولكلّ مادة كتاب أو عدّة كتب يأخذها الطالب عن أستاذه[1]، ويكون الحفظ أساس التعليم، حيث يحفظ الطالب الكتاب الذي يقرؤه ويسمعه لشيخه، فمن باب أولى أن يكون المعلّم حافظا للكتب التي يدرّس منها ويقدّمها لطلبته، وقد ذكر عن محمد بن يحي بن هاشم أنّه يحفظ البخاري والموطأ[2]، وتلك ميزة العلماء في ذلك العصر، فمن لا يحفظ علمه لا يدعى عالما، ولا يجلس إليه الطلبة، وفي ذلك يقول محمد بن عبد الرّحيم الغرناطي[3]:

تكتب العلم وتلقى في سفط *** ثمّ لا تحفظ؟ لا تفلح قطّ

إنّما يفلح من يحفظه *** بعد فهم وتوق من غلط

ويقول أيضا:

العلم في القلب ليس العلم في الكتب *** فلا تكن مغرما باللّهو واللّعب

فكلّ معلّم له طريقته التي يعتمد عليها وبها يوصل علمه لطلبته، وبها كذلك يعرف ويشتهر ولذلك تعدّدت الطرق واشتركت جميعها في هدف واحد هو نشر العلم وتعليمه.

ثانيا- مراحل التعليم:

يمرّ الطالب في مشواره التّعليمي بأربع مراحل أساسيّة نلخّصها في الآتي:

1- المرحلة الأولى:

وهي المرحلة الأولى من التعليم، تبدأ بالمنازل بتعليم الصبية المبادئ الأساسيّة للقراءة والكتابة، لينتقل بعدها الطفل إلى الكتّاب، حيث يتعلّم القرآن الكريم واللغة العربيّة، ولقد ازدهر التعليم في عصر الخلافة تحديدا في عهد الخليفة **الحكم المستنصر** (350 – 366هـ/961م – 976م) الذي قدّم كلّ ما من شأنه تطوير التعليم والعلم، والعناية بالعلماء والمعلّمين، كان الصبيّ يتمّ هذه المرحلة في سنوات متباينة من الصعب تحديدها، فهي تختلف من طفل لآخر حسب الفروق العلميّة والقدرات العقلية التي يمتلكها الأطفال في هذه المرحلة العمرية[4].

---

[1]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 351.

[2]- شكيب أرسلان: **الحلل السندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، بيروت،** (د.ت)، ج2، ص 138.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 5 – 6.

[4]- بشير رمضان التليسي: **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2003، ص 368.

في هذه المرحلة يقترح ابن حزم الأندلسي منهجا وطريقة يعتمدها الآباء تجاه أبنائهم ليغنموا، ويكونوا من الفائزين فيقول: "فالواجب على من ساس صغار ولدانه، أو غيرهم أن يبدأ منذ أوّل اشتدادهم وفهمهم ما يُخَاطَبون به، وقوّتهم على رجع الجواب، وذلك يكون في خمس سنين ونحوها من مولد الصّبي، فيسلّمهم إلى مؤدّب"[1]، فبعد التحضير النفسي والعقلي للطفل في المنزل من قبل الأهل خاصة المتعلّمين منهم، يوجّه وهو ابن الخمس سنين نحو الكتّاب وتحت إشراف معلّم، عندها يكون قادرا على تعلّم مفردات اللغة وكتابتها، لتبدأ عمليّة التلقّي والتعلّم.

2-المرحلة الثانية:

يدرس فيها التلميذ العلم بشكل أوسع من المرحلة الأولى، عرّفها ابن خلدون بمرحلة التعليم الثاني[2]، يتعلّم فيها شرح القرآن وأشهر القراءات، فضلا عن الحديث النبوي، والفقه[3]، ويختار الطالب في هذه المرحلة معلّمه أو من يتلقّى عنهم العلم بنفسه، حسب توجّهه العلمي وميوله للعالم الذي يرغب في مجالسته والأخذ عنه، ثمّ يتركه إلى غيره ليتلقّى علما آخر في تلك الناحيّة، أو نواح أخرى.[4]

وفي الحقيقة لا نجد إجماعا على السنّ التي ينتقل فيها الطفل من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية، إذ يتحكّم في ذلك قدراته وإمكاناته، والمحيط الذي يعيش فيه، فنجد مثالا القاضي **أبو بكر بن العربي** (468 ــ 543هـ/1076 ــ 1148م) دخل هذه المرحلة مبكّرا، بعد أن حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين، ولم يكد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى أتقن القراءات العشر وقال: " لم أرحل من الأندلس حتى أحكمت كتاب سيبويه"[5].

3- المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة التخصّص، أو مرحلة التعليم الاحترافي[6]، وتعدّ شبيهة بمرحلة التعليم العالي في عصرنا الحديث[7]، في هذه المرحلة يركّز طالب العلم على تخصّص بعينه، مع التعمّق في العلوم الدينيّة

---

[1]- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي**،ج4، ص 65.

[2]- ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص 1110.

[3]- سعد بن عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 213.

[4]- آسين بلاثيوس: **ابن عربي حياته ومذهبه**، تر: عبد الرحمن بدوي، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1956، ص 121.

[5]- ابن حيان: المصدر السابق، ج1، ص 126. محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص123.

[6]- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 123.

[7]- خوليان ربيرا: المرجع السابق، ص41. محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 211.

والعقليّة[1]، إذ يبقى السبق للدراسات الدينيّة واللغة العربية ثمّ تأتي مادة التخصّص[2]، ويمكن أن أضرب نموذجا لهذه المرحلة والمتمثل في الطبيب والمؤرّخ **ابن جلجل القرطبي** (332-377هـ/943 -987م) الذي "سمع الحديث وهو ابن عشر سنين، وعني بالطب أتمّ عناية وهو ابن أربع عشرة سنة، وأفتى فيه وهو ابن أربع وعشرين، وصنّف فيه كتبا جليلة"[3].

وقد يتخصّص الطلبة في هذه المرحلة بما يعجز عنه العامة كالفلسفة، والتعمّق في الآراء الفقهيّة والمذاهب الدينيّة، ودراسة علم الفلك لمعرفة وتحديد مواقيت الصلاة والأهلة[4]، إذ المسلمون في حاجة ماسة لهذا العلم الذي يقتضي التدبّر والتفكّر في الكون وآياته مصداقا لقوله تعالى:﴿**إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (190) ٱلَّذِين يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ(191)**﴾[5]، فاستفاد الطلبة الأندلسيون من علوم البابليين، الهند، الفرس، واليونان، وترجموا كتبهم، وبحثوا فيها حتى صار علم الفلك في الأندلس نموذجا تقتدي به الأمم من بعد ذلك[6]، وقد برز منذ عهد إمارة عبد الرحمن بن معاوية من اهتمّ بهذا العلم وتعمّق فيه بحثا ودراسة مثل **يحي بن الحكم البكري الجياني** الشهير بلقب **الغزال الجياني** (156- 250هـ/773- 864م)، الذي نعته المقري بعرّاف الأندلس[7]، وكذلك **عبّاس بن فرناس**(ت:273هـ/887م)، عاش في بلاط قرطبة أيام الحكم الربضي وعبد الرحمن الأوسط ومحمد بن عبد الرحمن، مخترع أندلسي، تمكّن من صناعة الزجاج وأول من حاول الطيران[8]، عارف بالتنجيم، صنع جهازا لقياس الزمن يدعى الميقاتة[9].

1- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 212.

2- خوليان ربيرا: المرجع السابق، ص 41.

3- المراكشي: المصدر السابق، ج10، ص 62.

4- أنخل جونثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص447.

5- سورة آل عمران: الآيات 190 ـ 191.

6- بكير بوعروة: **تاريخ علماء الفلك في بلاد الأندلس(138هـ ـ 484هـ/775م ـ 1088م)**، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009، ص37.

7- المقري: المصدر السابق، ج4، ص507. بكير بوعروة: المرجع السابق، ص43.

8- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 374.

9- المصدر نفسه: ج10، ص408.

تلك النّماذج الحيّة تعكس المرحلة المتقدّمة التي عرفتها بلاد الأندلس من التطوّر العلمي، والمستوى المميّز الذي وصل إليه طلبة العلم، حتى صارت تضرب إليهم أكباد الإبل طلبا للتعلّم منهم والأخذ من معارفهم التي لم يسبقهم إليها غيرهم في زمانهم، فكان من البديهي أن تزدهر العقول، وتتفتّح الأفكار في تلك الحقبة الذهبية من تاريخ الأمة الإسلاميّة.

4- المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة هامة وضروريّة رغم أنّها تُهمَل ولا تذكر عند كثير من الباحثين كمرحلة من مراحل التعليم في بلاد الأندلس، واعتبرتها من الأهميّة بمكان ألا وهي مرحلة الرحلة التعليميّة والتي يختم بها طلبة العلم مشوارهم التعليمي، وكان من أهم دوافع الرحلات طلب العلم إذ يعود بعدها الطالب بإجازة تخوّله رواية الحديث والجلوس للتدريس في حلقات المساجد[1]، ويقول ابن خلدون: "إنّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلّم، والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلاّ أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرحلة لابدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2].

كان الطلبة يرحلون إلى المشرق بأعداد كبيرة، فلم ينقطع التواصل حتى في الظروف الصعبة بين بلاد المشرق والأندلس، إذ صارت الرحلة ظاهرة علمية يتسابق لها الطلبة ويتنافسون[3]، والرحلة نوعان: داخلية تتم في الإقليم الواحد أو البلد الواحد، وتكون من موطن طالب العلم نحو المدن المشعّة بالعلم على غرار قرطبة، إشبيلية، طليطلة، غرناطة، بلنسية...[4]، وخارجيّة تكون في الغالب باتجاه العواصم الإسلاميّة المشهورة مثل القيروان، القاهرة ، بغداد، الشام، مكة والمدينة المنوّرة...وتتمّ الرحلة داخليا ثمّ تتبعها الرحلة الخارجيّة.

---

[1]- حمزة مريقي: **الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجري**، ص 74.

[2]- ابن خلدون: **المقدّمة**، ص 618.

[3]- كمال قمان: **الرحلة العلمية ودورها في التحصيل العلمي لعلماء الأندلس**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد:1، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 1443هـ/2022م.ص 156.

[4]- محمد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، ص 411

كانت الرحلة إذن أهمّ مرحلة لاكتساب العلم والمعرفة، وبروز علماء ذاع صيتهم في بلاد الأندلس، وذكر ابن الفرضي أنّ داود بن عيسى بن جبوية الكلائي الأحْوَل من أهل قرطبة "رحل إلى المشرق فاجتمع مع بقي بن مخلد، وكان بقي لا مال له، وكان داود واسع المال، فسأله بقي: أن يتيح من ماله ما يشتري به الكتب، ويجمع به الدواوين، ويكون سماعهما واحدا، وقال له أرجو أن ينفعك الله بذلك، فأجابه داود إلى ذلك، فكان سبب استكثار بقي من الرواية والجمع، ولما انصرف إلى الأندلس كتب بقي الكتب لنفسه"[1].

يبيّن ذلك مدى تعاون الطلبة في رحلاتهم وتشجيعهم في نهل العلم النّافع و التزوّد من الكتب النّافعة التي نقلت إلى بلاد الأندلس بعدد كبير جدّا فكان ذلك هدفا يجتهدون لتحقيقه، ونضرب لذلك مثلا عن **أبي القاسم سلمة بن سعيد بن سلمة بن حفص بن برد الأنصاري** (ت:407هـ/1017م) "رحل إلى المشرق وحجّ وأقام بالمشرق ثلاثا وعشرين سنة، وأدّب في بعض أحياء العرب...وكان رجلا فاضلا ثقة فيما رواه، راوية للعلم، حدّث وسمع النّاس منه كثيرا"[2]، جمع في رحلته ونقل "من المشرق ثمانية عشر حملا مشدودة من كتب...ثمّ انزعج بالجميع إلى الأندلس وكانت في كلّ فنّ من العلم ولم يتمّ له ذلك إلاّ بمال كثير حمله إلى المشرق"[3].

الشيء الذي يدفع الأندلسيين إلى هذا الترحال والتنقّل لسنوات وبذل المال الكثير لجلب الكتب وانسخها هو حبّ العلم وتعلّقهم به وهو ما نوّه المقدسيّ إليه في حبّ أهل الأندلس للعلم وأهله وتغرّبهم لأجله[4]، وقد أثمرت تلك الرحلات العلمية معارف واسعة عاد بها الطلبة إلى بلادهم، فضلا عن كمّ هائل من المصنّفات النفيسة في شتى العلوم، هذه الرحلات أثّرت في الحركة العلمية ومكّنت الأندلس في عصر الخلافة تحديدا للتحوّل من الاعتماد والاتكال على المشرق إلى تكوين شخصيتها العلمية المستقلّة القائمة على الإبداع العلمي والتحرّر الفكري.

---

[1]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 143.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 224.

[3]- المصدر نفسه: ص 225.

[4]- شمس الدين المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص 236.

المبحث الثالث: مناهج التعليم وإجازته في الأندلس.

أولا– مناهج التعليم:

1- المناهج التعليميّة التقليديّة بالأندلس:

لم يختلف المنهج التعليميّ في بلاد الأندلس عن المناهج المعتمدة في البلاد الإسلاميّة الذي يعتمد أساسا على تحفيظ القرآن الكريم، فضلا على تعلّم اللغة العربية ورواية الشعر وتعليم الخط، وقد بيّن ابن خلدون ذلك المنهج المتّبع في تعليم الصبيان بالأندلس قائلا: "وأمّا أهل الأندلس، فمذهبهم في تعلّم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا الذي يراعونه في التعليم، إلاّ أنّه لما كان في القرآن أصل ذلك وأسّه ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلا في التعليم فلا يقتصرون عليه، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسّل، وأخذهم بقوانين العربيّة، وحفظها، وتجويد الخطّ والكتاب ولا تختصّ عنايتهم فيه بالخطّ أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبيبة"[1].

أ) ابن خلدون والمناهج التعليميّة بالأندلس:

اعتمد ابن خلدون في كلامه عن المنهج التعليمي على من سبقوه من المعلّمين الذين تركوا آثارا يستند إليها على غرار الفقيه **عبد الملك بن حبيب**[2] (ت:238هـ/852م) الذي وجّه رسالة إلى معلّم ولده في الكتّاب تضمّنت الكثير من التوجيهات والوصايا، منها التركيز على تعليم القرآن الكريم بقوله: "علّمهم كتاب الله"، وهو ما يتطابق وحديث ابن خلدون عن التعليم في بلاد الأندلس، ويوصي ابن حبيب المعلّمين الرّفق بالصبيان وعدم الضغط عليهم في تعليم كتاب الله حتى يدفع عنهم الملل "علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه"[3]، وكيف يتم دفع الملل عنهم؟ ويكون ذلك بتقديم

---

[1]- ابن خلدون: **المقدّمة**، تح: علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ج3، 2006، ص1116.

[2]- **أبو مروان عبد الملك بن حبيب**: فقيه مالكي، سكن قرطبة، كثير الحديث، تفقّه بالأندلس، ثمّ رحل إلى المشرق، قيل أنّه أدرك الإمام مالك بن أنس، ولقي أصحابه وأخذ عنهم العلم، ثمّ عاد إلى الأندلس وقد جمع العلم الكثير، فلقّب بعالم الأندلس، إذ كان فقيها، نحويّا، حافظا للأخبار والأنساب، له مؤلّفات عديدة منها الموسوعة الفقهيّة "الواضحة" التي قال عنها ابن الفرضي: " لم يؤلّف مثلها في الفقه"، وكتبا أخرى منها: "فضل الصحابة رضي الله عنهم"، "غريب الحديث"، "تفسير الحديث"، "تفسير الموطأ"...ابن الفرضي: المصدر السابق، ص269. الحميدي: المصدر السابق، ص282.

[3]- سعيد أعراب: **رسالة من ابن حبيب إلى معلّم ولده**، مجلّة الثقافة المغربيّة، العدد:07، وزارة الثقافة والتعليم الأصلي، الرباط، المغرب، 1972، ص59.

مواد أخرى مع القرآن الكريم تحقّق لهم متعة التعليم وحيويّته، مثل الشعر فيقول: "وعلّمهم من الشعر أمتعه"، وكذلك الأحاديث النبويّة الصحيحة "ومن الحديث أشرفه"[1].

هذا ما تضمّنته رسالة الفقيه ابن حبيب إلى مربي ابنه، والتي تبيّن اعتماد التدريس على ثلاثة مواد فقط، أهمّها القرآن الكريم إذ يمثّل أساس التعليم، بإضافة مادتين أخريين تدفعان الملل عن التلميذ وتحفّزانه على الاستمرار في التعلّم بنفس الجديّة والحيويّة، وجاء ترتيبهما كما ذكر من قبل، الشعر النظيف المفيد الماتع، والأحاديث النبويّة الصحيحة، تلك وصيّة الفقيه ابن حبيب لكلّ المعلّمين في عصره، وعمل بتوجيهاته المعلّمون الذين جاءوا بعد العصر الذي عاش فيه.

ب) القابسي والمناهج التعليميّة:

علماء العصر الوسيط يكادون يجمعون على الطريقة التي يتمّ بها التدريس، فهم يتّفقون على تعليم القرآن كأساس علمي، مع اختلافهم في المواد المرافقة وترتيبها، ولا بأس أن أعرض بعض تلك الآراء التي قدّمت للمناهج التربوية في زمانها على غرار الفقيه **أبي الحسن علي القابسي**[2] (ت:403هـ/1012م) وهو يرى أنّ المنهج التعليميّ ينقسم إلى: إجباريّ واختياري، فأمّا الإجباريّ فيرتكز على إلزاميّة تعليم الصّبي القرآن الكريم والصّلاة، فالصّلاة لا تقام ولا تصحّ إلاّ بقراءة القرآن الكريم، فضلا على ذلك، غرس مكارم الأخلاق، فالدين والأخلاق متلازمان، كذلك تعلّم العربية والنحو والقراءة والكتابة، وأمّا الاختياري فيرتكز على تعليم الحساب وما بقي من الشعر والتّاريخ[3].

---

[1]- سعيد أعراب، المرجع السابق، ص59.

[2]- **علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني**: ولد بالقيروان سنة (324هـ/935م)، رحل إلى المشرق عام (352هـ/963م)، فسمع من علماء مصر والحجاز، وعاد إلى القيروان عام (357هـ/967م) لتولي الإفتاء، له كتاب الملخّص جمع فيه ما رواه الإمام مالك في الموطأ، والممهّد في الفقه...وصفت مصنّفاته بالصحّة والوثوق، فقد بصره في آخر أيامه، وتوفي بالقيروان سنة (403هـ/1012م). القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ج2، ص80. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص320.

[3]- أحمد حمايمو: **التربية والتعليم عند القابسي**، المعهد التربوي الوطني، جامعة محمد الخامس، العدد:06، الرباط، ديسمبر 1982، ص12.

وكان يثبت رأي الأمّة في إجماعها حول المادة الأساسية في التعليم وهي القرآن الكريم الذي لا يختلف حوله فيقول: "وما زال المسلمون وهم يرغبون في تعليم أولادهم القرآن وعلى ذلك يربّونهم وبه يبتدونهم وهم أطفال"[1].

إضافة إلى القرآن هناك علوم أخرى يركّز عليها الأندلسيون من بينها اللغة العربيّة والشعر، واهتمّوا بالخطّ وتحسينه، فكان الخطّ الأندلسيّ مبهرا ومميّزا عن غيره من الخطوط[2]، وهذا ما يفسّر اعتماد التعليم على الحفظ والسّماع أكثر من الكتابة في المراحل الأولى[3]، لقلّة العارفين باللغة العربية وكتابتها فضلا على قراءتها، لذلك كان التركيز منذ المراحل الأولى في التعليم هو القراءة والكتابة.

2- المناهج التعليميّة الحديثة بالأندلس:

أ) ابن حزم ومنهجه التعليمي:

وأما الفقيه **ابن حزم الأندلسي**[4](ت: 456هـ/1063م) وهو الذي عاصر المرحلتين المدروستين فيرى أنّ الطفل يبدأ الحياة الدراسية لما يبلغ الخمس سنين من عمره، وهو العمر الذي يشتدّ فيه ساعده، ويصبح قادرا على ردّ الجواب، وهو ما يعرف بالاستعداد الجسمي والذّهني[5]،في هذا السّنّ يُسلّم الأولياء أبناءهم لمؤدّب يعلّمهم الخطّ وتأليف الكلمات من الحروف وفي ذلك يقول ابن حزم: "فالواجب على من ساس صغار ولدانه وغيرهم أن يبدأ منذ أوّل اشتدادهم وفهمهم ما يُخاطبون به، وقوّتهم على رجع الجواب وذلك يكون في خمس سنين أو نحوها من مولد الصّبي فيسلّمهم إلى مؤدّب"[6].

1- علي القابسي: المصدر السابق، ص87.

2- المصدر نفسه: ص113. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج1، ص740 – 741.

3- أبو صالح وائل فؤاد: **التربية اللغوية في الأندلس عصر سيادة قرطبة**، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، 1979، ص43 – 44.

4- **علي بن أحمد بن سعيد(ابن حزم)**: ولد بقرطبة عام (384هـ/994م)، الفقيه، الحافظ، المتكلم، الأديب، عالم الأندلس، كان والده أحد وزراء الدولة العامرية، وصفه معاصره الحميدي: " وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتديّن... وكان له من الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل"، له العديد من المؤلفات أشهرها: الإحكام في أصول الأحكام، الفصل في الملل والأهواء والنحل، طوق الحمامة...الحميدي: المصدر، ص 308. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص605 – 606. شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج18، ص 184.

5- ميلود بن حاج: المرجع السابق، ص67.

6- ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، ج4، ص65.

إذ يمثّل الحدّ الأدنى في هذه المرحلة أن يتمكّن الصّبيّ من الكتابة بخطّ واضح خال من الأخطاء، ولا يمكن للصبيّ تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة أعلى منها إلاّ بإتقان الخط والكتابة "فإنّ الخط إن لم يكن هكذا لم يقرأ إلاّ بتعب شديد"[1]، يراعي ابن حزم في الأمر الحفاظ على صحّة المربين وعدم إتعابهم وإرهاقهم بمتابعة الخط الرديء غير المقروء.

وأمّا القراءة فشرطها أن يصل الصّبيّ حدّ المهارة في قراءة كلّ كتاب يصل إليه بلغة بلده، كما عليه أن يحفظ القرآن الكريم قراءة وتلاوة صحيحتين، مع محاولة فهم معاني القرآن ليكون له عدّة وذخرا في الحياة[2].

ثمّ تأتي في المراحل الأخرى تعلّم اللغة العربية والنحو والشعر، بما يمكّنه من حسن الحديث والمخاطبة[3]، فاستيعاب اللغة والنحو لهما الدور الكبير في فهم القرآن الكريم، وعلم الحديث، فمن جهلهما حرام عليه أن يتحدّث في علوم الدّين، وحرام على المسلمين أن يستفتوه لأنّه لا علم له باللسان الذي خاطب به الله عزّ وجلّ نبيّه عليه الصلاة والسّلام[4].

إنّ الملاحظ لتصوّر ابن حزم في التعليم يرى أنّه قدّم الكتابة والقراءة على حفظ القرآن الكريم، إذ أنّ تعلّم الكتابة والخطّ اللذين يكتب بهما القرآن الكريم شرط للقراءة الصحيحة ومن ثمّ الحفظ الصحيح، فلا يمكن تحقيق الحفظ الجيّد، والقراءة الصحيحة إلاّ بكتابة جيّدة مقروءة، وفي هذه الحالة يتحقّق للطفل إدراك ما يكتبه، ثمّ بعد كلّ هذا تأتي العلوم الأخرى من حديث نبوي، ونحو، وشعر، وحساب وما تفرّع من علوم نقلية وعقلية يمكنها تكملة مدارك الطفل وإتمامها.

---

[1]- ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، ج 4، ص 65.

[2]- المصدر نفسه: ج4، ص 66.

[3]- المصدر نفسه: ج4، ص67. ميلود بن حاج: المرجع السابق، ص 69.

[4]- دندش عصمت عبد اللطيف: **دراسات أندلسيّة في السياسة والاجتماع**، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2009، ص26.

ب) ابن العربي ومنهجه التعليمي:

وبعد عرض آراء المربين الأندلسيين في مناهج التعليم، من المؤكّد أنّنا لا ننسى منهجا آخر يعدّ منهجا جديدا في التعليم مثّله عالم الأندلس وفقيهها **أبو بكر بن العربي**[1] (ت:543هـ/1148م)، إذ ينتقد ابن العربي منهج سلفه في التعليم، رغم أنّه تعلّم هو نفسه بنفس الطريقة التي بات ينتقدها، حيث وضع له والده نظاما تعليميّا يبدأ بدراسة القرآن الكريم وحفظه فأتمّ ذلك وهو ابن التاسعة، ثمّ عيّن له والده ثلاثة معلّمين: الأول يدرّسه القراءات، والثاني اللغة العربية، أمّا المعلّم الثالث فيعلّمه الحساب والعدد وعلم الفلك، وأشار ابن العربي أنّه في سنّ السادسة عشرة من عمره أتقن عشرة من حروف القرآن، مع تجويده، وقد تمكّن من اللغة العربية، وفهم العديد من مسائل حساب الفرائض... وقد تعاقب المعلّمون في تدريسه من صلاة الصبح، حتى صلاة العصر[2]، هذا النّظام الذي عهده الطلبة في بلاد الأندلس، والذي تعلّم به ابن العربي، فما سبب انتقاده لهذا المنهج يا ترى؟

من الرّاجح أنّ المناهج التعليميّة قد شهدت تراجعا وضعفا خاصة في المرحلة التي عاشها ابن العربي نتيجة الأزمات والفتن المتعاقبة التي عصفت ببلاد الأندلس تحديدا بعد المائة الخامسة والتي ذكرها المقري وبيّنها في قوله: "ولقد كان أهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسن اللّخمي لكونه لم يصحّح على مؤلّفه ولم يأخذ عنه، وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النّمط، ثمّ انضاف إلى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيّين"[3]، أي أنّ العلم صار يؤخذ من كلّ من ادعاه، دون تحقيق ولا تثبيت، وهو ما هوى بالعلم إلى أدنى مستوياته بعد ما كان في قمّة عطائه وتفوّقه.

---

[1]- **محمد بن عبد الله بن محمد المعافري**: عالم مالكي، ولد بإشبيلية عام (468هـ/1076م)، شهد رحلة مع أبيه إلى بلاد المشرق عام (485هـ/1092م)، زار الحجاز عام (489هـ/1095م)، عاد إلى الأندلس عام (493هـ/1099م)، فحلّ بمسقط رأسه وعيّن قاضيا في إشبيلية، ثم صرف عنه، واهتمّ بالعلم ونشره، صنّف العديد من الكتب في الحديث، الفقه، التفسير، الأدب، التاريخ...قال عنه ابن بشكوال الذي عاصره: "الإمام، العالم،-الحافظ، المستبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفّاظها" من مؤلفاته: أحكام القرآن، القبس في شرح موطأ ابن أنس، أعيان الأعيان، العواصم من القواصم...ابن بشكوال: المصدر السابق، ج3، ص855. ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص296-297. المقري: المصدر السابق، ج2، ص199.

[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص211.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج5، ص276.



نفس الفكرة ذكرها ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم فقال: "فصار الصّبيّ عندهم إذا عقل، فإن سلكوا به أمثل طريقة لهم، علّموه كتاب الله تعالى، فإذا حذقه، نقلوه إلى الأدب فإذا نهض فيه حفّظوه الموطأ، فإذا لقّنه نقلوه إلى المدوّنة، ثمّ ينقلونه إلى وثائق ابن العطّار، ثمّ يختمون بأحكام ابن سهل، فقال: قال فلان الطليطيلي، وفلان المجريطي، وابن مغيث لا أغاث الله نداءه ولا أناله رجاءه فيرجع القهقرى أبداً إلى وراء على أمّه الهاوية"[1].

فمن البيّن رفض ابن العربي للطريقة المتّبعة في التدريس والتي يترتّب عنها الضغط على التلميذ لدرجة الملل وانتهاء رغبة التعلّم لديه، وصار ينسب العلم إلى المحدَثين من العلماء وقد لا يعرف وزنهم في العلم حتى صار ينسب العلم للمنتسبين له من المحدثين وهو ما ذكره في نسبة العالم لطليطلة أو مجريط أو غرناطة... كأن العلم انحصر في مجاله الضيّق جغرافيا بعد ما كان ينسب لأعلامه الأصليين الذين أخذ عنهم العلم لأول مرّة، وحتى المسائل الفقهية التي كان يحرص عليها الأندلسيون كثيرا لم تسلم من ذلك التراجع والهبوط فيقول: "ثمّ حدثت حوادث لم يلقوها في منصوص المالكيّة فنظروا فيها بغير علم فتاهوا، وجعل الخلف منهم يتبع في ذلك السّلف، حتى آلت الحال ألاّ ينظر إلى قول مالك، وكبراء أصحابه، ويقال: قد قال في هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة، وأهل طلبيرة ، وأهل طليطلة، فانتقلوا من المدينة وفقهها، إلى طلبيرة وطريقها"[2].

فمنهج ابن العربي في التعليم أملته مرحلة الضعف والانهيار التي عرفتها بلاد الأندلس حتى أضاعت اللسان العربي، وهو ما أراد المنهج الجديد التركيز عليه، فيرى الفقيه أبو بكر بن العربي أنّ عصور الإسلام الأولى لم يكن العرب في حاجة إلى تعلّم اللّغة العربية لأنّهم في ذلك الوقت كانوا يتكلّمونها بطريقة سليمة، خالية من الأخطاء، وحين اختلط العرب بشعوب أخرى ذات ثقافات متباينة، ظهر الفساد في اللّسان العربي ونفذ اللّحن إلى اللّغة، فأصبح من الضروريّ أن يكون تعلّم اللّغة العربية هو الأساس، إذ لا يفهم القرآن الكريم إلاّ بلغة عربية سليمة[3]، وذلك مصداق قول الله تعالى:﴿**وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ**

---

[1]- أبو بكر بن العربي: **العواصم من القواصم**، تح: عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1394هـ/1974م، ص367.

[2]- المصدر نفسه: ص 366-367.

[3]- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 239.

ٱلْمُنذِرِينَ(194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(195)﴾[1]، أي بلسان عربي فصيح فلا يعقل تعلّم القرآن دون تعليم اللّغة العربية.

ثمّ بعد ذلك ينتقل الطفل إلى تعلّم الشعر، وذلك تمهيدا لدراسة القرآن ومقدّمة له، عندما يتمكّن من ذلك كلّه، يمكنه التوجّه لدراسة القرآن الكريم، فاللّغة والشعر ومعرفة الكتابة وسائل مميّزة وضروريّة في منهج الفقيه ابن العربي لتعليم القرآن وفهمه[2].

قدّم ابن العربي المنهج الذي أوصى بتعليمه، وقد بيّنه في قوله: "والذي يجب على الوليّ في الصبيّ المسلم إذا عقل، أن يلقّنه الإيمان، ويعلّمه الكتابة والحساب، ويحفّظه أشعار العرب العاربة، ويعلّمه العوامل في الإعراب، وشيئا في التّصريف، ثمّ يحفّظه إذا انتقل واشتدّ في العشر الثاني كتاب الله، وهو أمر وسط، متساو بين أهل المشرق، ثمّ يحفظ أصول سنن الرّسول، وهو نحو من ألفي حديث في الأبواب نظّمها البخاري ومسلم هي عماد الدّين، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن ومعاني كلماته، ولا يفرّط في علوم الفرائض فإنّها أصل الدّين، وأوّل ما يذهب من المسلمين، فبالسنّة يفرضها وبالحساب يقسّمها، ولا يخلي نفسه من الأنساب، ولا عن شيء من أصول الطبّ ويتخذ عبارة الرؤيا أصلا"[3].

أعجب ابن خلدون بمنهج ابن العربي إلاّ أنّه أشار إلى عائق العادات والظروف المتحكّمة والتي تحول دون تطبيق هذا المنهج في المجتمع الأندلسي ويقول معلّقا على منهج الفقيه ابن العربي قائلا: "هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر رحمه الله، وهو لعمري مذهب حسن، إلاّ أنّ العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال، ووجه ما اختصّت به العوائد من تقدّم دراسة القرآن إيثارا للتبرّك والثواب، وخشية ما يعرض للولد من جنون الصّبا من الآفات، والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن، لأنّه من دام في الحجر، انقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ وانحلّ من ربقة القهر، فربما عصفت به رياح الشبيبة، فألقته ساحل البطالة، فيغتنمون في زمان الحجر، وربقة الحكم ، تحصيل القرآن لئلا يذهب

---

[1]- سورة الشعراء: الآيات 192- 195.

[2]- عمار طالبي: **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ج1، ص 233.

[3]- المرجع نفسه: ج1، ص235.



خلوا منه، ولو حصل التيقّن باستمراره في طلب العلم، وقبوله التّعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ممّا أخذ به أهل المغرب والمشرق، ولكنّ الله يحكم ما يشاء لا معقّب لحكمه"[1].

فلولا العادات التي ورثها المعلّمون وورّثوها تلامذتهم، ولولا الخوف على التلاميذ من الضياع بتأثيرات الشباب الطائش، والخوف من ضياع القرآن بما يلهي الشباب في صغره، لكانت طريقة ابن العربي حسنة يمكن للمعلّمين اعتمادها، لكنّ رجاء حصول البركة والثواب بتقديم حفظ القرآن الكريم من جهة، والظروف والعادات التي حالت دون تطبيق هذا المنهج من جهة أخرى، حالتا في نظر ابن خلدون دون تطبيق هذا المنهج التّصحيحيّ الذي حاول الفقيه ابن العربي اعتماده في التعليم.

حقيقة تجدر الإشارة إلى اهتمام أهل الأندلس بالتعليم ومناهجه المتأصّلة التي لم تخرج عن مناهج العالم الإسلامي، حتى وإن جاء ابن العربي بالبديل الذي يرى فيه تماشيا مع الواقع الجديد الذي يتطلّب التحديث في المناهج فإنّه لم يخرج عن السياق وإنّما قدّم وأخّر رأفة بالمعلّمين وشفقة على المتعلّمين، ومهما يكن فإنّ ذلك يعدّ في نطاق تحسين مناهج التعليم.

ثانيا – الإجازة العلميّة:

1- تعريف الإجازة:

الإجازة لغة: إعطاء الإذن وأشار إليها الفيروز آبادي بقوله: "وأجاز له سوّغ له"[2]، وفي الاصطلاح: إذنٌ وتسويغٌ ورخصةٌ تتضمّن المادة العلميّة الصادرة من أجلها، يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه[3]، وهي تعني آخر ما يتوّج به الطالب بعد تحصيله العلمي، أو بعد إتمامه لدراسة كتاب فيقوم شيخه بمنحه إجازة يشهد فيها ويقرّ بأنّ الطالب فعلا قد درس الكتاب[4]، واعتاد الشيوخ أن يكتبوا إجازاتهم على الكتاب الذي درسه عليهم أحد التلاميذ، وتكون الإجازة التي تكتب على ظهر الكتاب مقتضبة لا تحتوي طرق الرواية، ولا أسماء الشيوخ الذين تلقّى الشيخ المجيز علمه عنهم، وذلك راجع إلى قلّة الفراغ المتوفّر في ظهر الكتاب الذي تكتب عليه الإجازة[5].

---

[1]- ابن خلدون: **المقدّمة**، ج3، ص 1242 – 1243. محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 241.

[2]- الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، مادة "جاز"، ص506.

[3]- عبد الله فياض: **الإجازات العلمية عند المسلمين**، مطبعة الإرشاد، ط1، بغداد، 1967، ص21.

[4]- عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص414.

[5]- عبد الله فياض: المرجع السابق، ص24.

2- أنواع الإجازات:

وتنقسم الإجازة إلى لفظيّة وكتابيّة، فاللفظيّة تكون بالإقرار الشفوي وهي قديمة يذكر أنّ أبا هريرة رضي الله عنه أول من قدّمها لبشير بن مهتك، وهناك الإجازة الكتابية يبيّن فيها الشيخ ما يمكن إجازته للطالب وما يجب أن يروي عنه، وعادة ما يكتب الشيخ في الإجازة اسمه، مولده، مكانه، وأسماء شيوخه[1].

فالإجازة في أصلها اعتراف بعلم الطالب، وتمكّنه من نقل العلم الذي أخذه عن شيخه، وقد قدّمت الإجازة في البداية لمن تفوّق في علم الحديث إذ وضعت له الضوابط الشديدة خشية تحريفه وتزييفه، فكانت الإجازة لإثبات صحة نقل النّاقل من المنقول عنه، ثمّ عمّمت بعد ذلك لتشمل باقي العلوم الأخرى[2]، وقد كانت الإجازة العلميّة تسجّل في وثيقة من الرق أو الكاغد (الورق)، أو في الكتب التي درسها الطالب بخطّ الأستاذ نفسه[3].

وقد تكون الإجازة نثريّة أو شعريّة[4]، ومن الذين استفادوا من تلك الإجازات المؤرّخ ابن الفرضي الذي ذكر أنّ يوسف بن محمد بن سليمان الهمذاني الشذوني الذي رحل إلى المشرق عشر سنوات وسمع من الكثيرين أجاز له جميع ما رواه وتوفي سنة (383هـ)[5].

واشتهر في الأندلس نوعان من الإجازات: الأولى إجازة على العموم فيجيز الشيخ للطالب على العموم دون تخصيص ولا تعيين كأن يقول له: " قد أجزت لك جميع روايتي أو ما صحّ عندك من روايتي"[6]، وأمّا الثانية فإجازة على العموم من غير تعيين المجاز له كأن يقول العالم: أجزت لمن لقيني، أو لكلّ من قرأ عليّ العلم أو لمن كان من طلبة العلم، أو تكون مطلقة كقوله: أجزت لجميع المسلمين ونحوها[7].

---

[1]- عبد الله فياض المرجع السابق: ص414.

[2]- المرجع نفسه: ص414.

[3]- خوليان ريبرا: المرجع السابق، ص148.

[4]- عبد الله فياض: المرجع السابق، ص 30.

[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 206-207.

[6]- اليحصبي (عياض بن موسى): **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، ط2، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث بالاشتراك مع المكتبة العتيقة بتونس، القاهرة، (د.ت)، ص91.

[7]- المصدر نفسه: ص 98.

ومن بين علماء الأندلس الذين أجازوا رواياتهم وكتبهم إجازة مطلقة **محمّد بن وضّاح** (ت:287هـ/900م)، إذ ذكر ممّن حضره عند الموت قوله: "ليحفظ عنّي من حضر وليعلم به من لم يحضر أنّ كلّ من سمع مني وجالسني فقد أجزت له كلّ كتاب عندي فليحدّث به عنّي"[1].

ورغم تساهل بعض العلماء في منح الإجازة، ظهر بعضهم أكثر تشدّدا في منحها، فلا تمنح إلاّ بعد السّماع والقراءة، وكانت حجّتهم عدم ترك مجالس العلماء والجلوس إليها والاشتغال بنسخ الكتب ومقابلتها لما فيها من أخطاء وسهو قد تقع على عاتق صاحب الكتاب[2]، فهم يمنحون الإجازة لمن سمع وقرأ فعلا على العلماء، فهؤلاء هم الأحق بالإجازة دون غيرهم.

3- أهميّة الإجازات:

يمكن استنتاج أهميّة الإجازات استنادا إلى كتاب الإجازات العلميّة في الإسلام والذي ذكر ما يلي[3]:

أ) إنّ الإجازات تقليد عرفه المسلمون في طريقة تعليمهم، تبنّاه في البداية حملة الحديث خشية ضياعه أو دخول التحريف عليه لتعمّم الإجازة في شتى العلوم الأخرى.

ب) الإجازة رخصة يمنحها الرّاسخون في العلم لمن يبيحون له الرواية عنهم، فهي تقترن باسم الشيخ المجيز، ولا علاقة لها بجهة أخرى كالمدرسة أو المعهد، باعتبار أنّ الدراسة قبل القرن الخامس الهجري كانت تقوم على العلاقة بين الشيخ وتلميذه فقط.

ج) إنّ الإجازة بنوعيها الشفوي والكتابي ما هي إلاّ إذن لرواية الحديث، أو علم من العلوم الأخرى، عن طريق شيخ، أو مجموعة شيوخ، وليست شهادة تعليميّة تقدّم كدليل للتحصيل العلمي.

د) ليس من الضرورة أن يكون الشيخ مانح الإجازة قد درّس التلميذ المجاز، فقد يكون سمع عنه أو عن أحد تلامذته رواية حديث فنقلها، ومن ثمّ يجاز عنها دون أن يدرس عند الشيخ.

هـ) وما دام أنّ الإجازة كان لها علاقة بالحديث فإنّ أهميّتها تكمن في حفظ السند، أو سلسة الروّاة الذين يعدّ توثيقهم أمرا أساسيا في صحّة الحديث، وقد اهتمّ النظام التعليميّ الإسلامي بالحديث وتدريسه، فكان لزاما التأكّد والتحقّق من صحّته بإجازة الشيوخ.

---

[1]- الخشني (محمد بن حارث): **أخبار الفقهاء والمحدّثين**، (د.ط)، تح: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991، ص24.

[2]- الخشني: المصدر السابق، ص24. مختار عمارة: **التعليم في الأندلس خلال عهد الدولة الأموية**، مقال سابق، ص194.

[3]- عبد الله فياض: المرجع السابق، ص35 ـ 36 ـ37.

فالإجازة شهادة موثقة يمنحها المحدّث، الفقيه، والعالم لطلبة العلم[1]، يقوم بها المجاز مقام الشيخ[2]، تؤهّله لتدريس كتاب معيّن أو مجموعة كتب، وهي كذلك رخصة للمجاز تخوّله القدرة على تدريس العلوم التي تلقاها عن شيخه أو مجموعة من الشيوخ، ويكون بذلك قد اقتحم مجال التدريس بعدما كان طالبا يتلقّى الدروس.

[1]- نذير برزاق: **الإجازة العلمية دلالة المبنى والمعنى ـ رصد للحراك الفكري للعلماء ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط،** مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران1، العدد:23، ع خاص، 2016، ص289.

[2]- عبد الرحمن بلخير: **الإجازات العلمية لعلماء المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م ـ دراسة في التداول والإسهامات،** مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، المجلد11، العدد:03، 2021م، ص144.

الفصل الثالث

العلوم المدرّسة في الأندلس وحركيّة التعليم

المبحث الأول: العلوم النقلية.

أولا ــ العلوم الدينيّة.

ثانيا- الأدب واللّغة.

ثالثاً- العلوم الإنسانية

المبحث الثاني: العلوم العقلية.

أولا- الطب والصيدلة.

ثانيا- الرياضيات والفلك.

ثالثا- العلوم الأخرى.

المبحث الأول: العلوم النقلية.

أولا- العلوم الدينيّة:

1- الفقه:

احتلّ الفقه مكانة هامة لدى الأندلسيين فهو "معرفة بأحكام الله تعالى في أفعال المتكلّفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقات من الكتاب والسنّة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[1]، وحظي الفقيه لديهم بالتقدير والإجلال، من قبل الخاصّة والعامة[2]، كما لقي الفقهاء مكانة خاصة لدى الأمراء والخلفاء، فكانوا يقرّبونهم ويستشيرونهم، ولما حاول الخليفة المستنصر قطع شجر العنب من الأندلس للقضاء على شرب الخمر استشار الفقهاء في الأمر، فذكروا له أنّها تصنع من غيرها فكفّ عن ذلك الأمر[3].

ازدهرت الدراسات الفقهيّة في عصر الخلافة، بفضل طائفة من الفقهاء الذين أسهموا في رقيّ هذه الدراسات وتطويرها على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ومن أبرز الفقهاء الذين عرفتهم بلاد الأندلس في هذه الفترة الزمنية نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- **الفقيه محمّد بن يحي بن عمر بن لبابة** (ت:330هـ/941م)، وهو أوسع الفقهاء علما ودراية بمسائل الفقه، ولاّه الخليفة عبد الرحمن النّاصر قضاء البيرة[4]، ولابن لبابة كتاب قيّم في الفقه المالكي يعرف بالمنتخب قال عنه ابن حزم كما ذكر الحميدي: "ما رأيت لمالكيّ كتابا أنبل منه في جمع روايات المذهب وتأليفها، وشرح مستغلقها، وتفريع وجوهها"[5].
- **الفقيه يحي بن عبد الله بن يحي اللّيثي** (ت:367هـ/977م) الذي تسابق الطلبة على مجالسه الفقهية بجامع قرطبة، فكان يعقد مجالسه العلميّة كلّ يوم جمعة، فيزدحم مجلسه بطلبة العلم[6]، واختاره الخليفة الحكم المستنصر لتعليم ابنه هشام المؤيّد دروس الفقه[7].

---

[1]- ابن خلدون: **المقدمة**، ص 798.

[2]- المقري: **نفح الطيب**، ج1، ص 221.

[3]- المصدر نفسه: ج3، ص 214.

[4]- **البيرة**: من كور الأندلس الجليلة القدر، نزلها جند دمشق من العرب، بينها وبين غرناطة ستة أميال. الحميري: المصدر السابق، ص 29.

[5]- الحميدي: المصدر السابق، ص 98، المقري: المصدر السابق، ج3، ص 171.

[6]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج 2، ص 191.

[7]- المصدر نفسه: ج 2، ص 191.

– **الفقيه عبد الله بن محمّد بن القاسم الثغري** (ت:383هـ/993م) نبغ في الفقه، وكانت له رحلة إلى المشرق أخذ فيها العلم عن فقهاء المالكيّة، ثمّ عاد إلى الأندلس أين ولاّه الخليفة الحكم المستنصر القضاء على بلده[1]، ولنبوغه، ولنبوغه وغزارة علمه وتبحّره في الفقه شبّهه أصحابه بسفيان الثوري[2].

– **الفقيه محمّد بن الحارث بن أسد الخشني** (ت:361هـ/971م) والذي ألّف للحكم المستنصر العديد من كتب الفقه وقد ذكر الفرضي: "بلغني أنّه ألّف له مائة ديوان"[3]، وكلّف الخليفة الحكم أيضا **محمّد بن عبد الله بن سيّد** (ت:363هـ/973م) بتبويب المستخرجة[4] في الفقه المالكي[5].

اهتمّ الفقهاء في بلاد الأندلس بدراسة أقوال الإمام مالك بن أنس، فلقي الموطأ اهتماما بالغا منهم، تناولوه بالشرح والدراسة، وأهم من شرح الموطأ **الفقيه محمّد بن عبد الله بن محمّد المرّي** (ت:398هـ/1007م)، وله كذلك تأليف مختصر للمدوّنة[6]، وسار على نهجه **الفقيه عبد الرحمن بن مروان القنازعي** (ت:413هـ/1022م) الذي درس الموطأ وشرحه[7].

وكذلك اهتمّ الحاجب المنصور بن أبي عامر بالتأليف في الفقه المالكي، فبأمر منه صنّف الفقيهان **أحمد بن عبد الملك** المعروف **بأبي المكوي الإشبيلي** (ت:401هـ/1010م) وصاحبه **أبو مروان المعيطي** (ت:361هـ/972م) كتاب "الاستيعاب" الذي تضمّن أقوال الإمام مالك بن

---

[1]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 244-245.

[2]- **سفيان الثوري:** هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (97هـ-161هـ/715م- 777م)، كان راسخا في علم الحديث، وقد أراد الخليفة العباسي أن يوليه القضاء فهرب وتخفّى حتى مات بالبصرة وهو ابن أربع وستين سنة كما ذكر الواقدي. ابن قتيبة (أبي محمّد عبد الله بن مسلم): **المعارف**، تح: ثروة عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1992، ج1، ص497.

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص113. الحميدي: المصدر السابق، ص71. ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص 112 - 113.

[4]- **المستخرجة**: كتاب فقهي، يعرف بالعتبية نسبة للفقيه العتيبي تلميذ عبد الملك بن حبيب. المقري: المصدر السابق، ج3، ص171.

[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 73.

[6]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج3، ص 173.

[7]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 323– 324.

أنس، ولقي المصنّف الثّناء من العلماء، إذ عدّ موسوعة فقهيّة ومرجعا للباحثين والطلبة في فقه المالكيّة[1].

وفي عهد ملوك الطوائف لقي الفقهاء الاحترام والتقدير، ليس من العامة وحسب بل حتى من الملوك، الذين قرّبوا الفقهاء واستشاروهم في كثير من القضايا والمسائل التي تهدّد البلاد، ومنها اجتماع المعتمد بن عباد بشيوخ قرطبة وفقهائها لطرح قضية تهديد الممالك المسيحيّة في الشمال، وعرض عليهم الاستنجاد بالمرابطين فوافقوه الأمر، ولكنّ المعتمد لم يكتف بذلك بل أراد أن تتم الرغبة "بإجماع فقهاء الأندلس جميعا لما يمثّله الفقهاء من ثقل"[2].

لقيت الدراسات الفقهية قبول الكثير من طلبة العلم في عصر الطوائف، لما لمنصب الفقيه من مكانة اجتماعية ودينيّة مرموقة، فقد كانت وظائف القضاة والمحتسبين وخطباء الجمعة وقفا عليهم، وتمكّن عدد من الفقهاء من الارتقاء لمناصب عليا في الدولة نذكر منها "الفتيا والحسبة والشرطة وغيرها من الميادين الهامة"[3].

اهتم الأندلسيون بالفقه ودراسته، وكانوا "أحرص عليه من علماء المغرب والمشرق"[4]، فنشطت الدراسات الفقهية في مساجد الأندلس كلّها، ليظهر العديد من الفقهاء وكانت "الجوامع المنتشرة في الأندلس تحفل بحلقات العلم والمناظرات في الميدان العلمي"[5]، ونذكر من الفقهاء الذين لمع نجمهم في عصر ملوك الطوائف وهم كثر، يتعذّر ذكرهم جميعا، نكتفي بذكر أبرزهم ومنهم:

- **الفقيه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النّمري** (362-460هـ/972-1067م) "الذي ألّف تواليف نافعة سارّة عنه، وكان يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي رحمه الله"[6]، وله العديد من المؤلّفات نذكر منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وكتاب "الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار في شرح ما تضمّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار"[7]، وفي الفتيا صنّف كتابه الهام "الكافي" على مذهب الإمام مالك، ضمّنه الكثير من المسائل الفقهيّة التي يحتاجها كلّ من تصدّر

1- الحميدي: المصدر السابق، ص 132- 133. ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 176.

2- خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص 150.

3- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 104.

4- محمد عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، ص 296 – 297.

5- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 204.

6- الحميدي: المصدر نفسه، ص 367.

7- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 163.

للفتيا الذي يقع في خمسة عشر جزء، وقد أشاد بهذا الكتاب الكثير من الفقهاء وفي مقدّمتهم ابن حزم الظاهري "وأشار إلى ما احتواه من مسائل فقهيه لا يمكن أن يستغني عنها فقهاء المذهب، واستغنى النّاس به عن غيره من الكتب المطوّلة"[1]، وله كتاب في الاختلاف عنوانه "اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه" في أربعة وعشرين جزءا، كانت تصانيفه تلقى رواجا بين طلبة العلم الذين تنافسوا على اقتنائها و النهل منها، وكانت زينة مجالس العلم في مساجد الأندلس، فلقيت القبول بين أهل العلم وحظيت باحترام وتقدير كبيرين[2].

- **الفقيه علي بن أحمد بن سعيد بن حزم** (384–456هـ/994-1063م) عاش المرحلتين، ويعدّ من كبار علماء التصنيف والتأليف، أثرى المكتبة الإسلاميّة بالكتب النّفيسة وذكر أنّه صنّف ما يقارب الأربعمائة مجلّد في شتى ضروب المعرفة[3]، اختار المذهب الظاهريّ[4] بالرغم من أنّ دراساته الأولى كانت على مذهب الإمام مالك وفق ما تقتضيه المناهج التعليميّة في بلاد الأندلس[5]، هذا التوجّه الجديد ألّب عليه فقهاء المالكيّة في زمانه، وأجههم بكلّ صرامة، فكان حادّ اللّسان في مناظراته العلميّة حتّى "إنّ البعض من العلماء صوّروا أسلوبه في صورة قاتمة فوصفوا لسانه بأنّه وسيف الحجّاج شقيقان"[6].

"ومما يحسب لابن حزم أنّه اختصّ بإحياء المذهب بعدما أوشك على الزوال، وبعثه من جديد مذهبا فقهيا له أصوله وفروعه مدوّنة ومدروسة يستطيع كلّ من اهتمّ بالمذهب الظاهري أن يعود إليها"[7].

1- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 169 – 179. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 428 – 429.

2- الحميدي: المصدر السابق، ص 332 – 333. الضبي: المصدر السابق، ص428.

3- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص102. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، 416. المراكشي: المصدر السابق، ص94.

4- عرّف ابن خلدون المنهج الظاهري فقال: "ثمّ أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية، وجعلوا المدارك كلّها منحصرة في النّصوص والإجماع، وردّوا القياس الجليّ والعلّة المنصوصة إلى النص، لأنّ النّص على العلّة نص على الحكم في جميع محالها". ابن خلدون: **المقدمة**، ص213.

5- طاهر بن علي: **ابن حزم وظاهرة التجديد**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:2000 – 2001، ص73.

6- ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص328.

7- طاهر بن علي: المرجع السابق، ص40.



ترك ابن حزم الكثير من المؤلّفات الفقهيّة على غرار: كتاب "الإيصال إلى فهم الخصال" الذي جمع فيه جملة من شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنّة والإجماع، وكتاب "الإجماع ومسائله" على أبواب الفقه[1]، وصنّف كتابا في الفقه على مذهبه واجتهاده في مجلّد، ثمّ شرحه تحت اسم "المحلّى" في ثماني مجلّدات[2].

- **الفقيه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت:474هـ/1081م)** كان فقيها ومحدّثا له مكانة كبيرة بين علماء عصره، من المقرّبين لدى ملوك بني هود في سرقسطة، بل وكان يحظى بمكانة خاصة لدى حاكمها المقتدر، كان له الدور البارز في تدريس الفقه المالكي، ولقد اعتمد عليه الفقهاء في الأندلس لنصرتهم ونصرة المذهب على خصهم العنيد ابن حزم الظاهري فدارت بينهما مناظرات علمية مشهودة، فأضعف من شأن مذهبه الظاهري، وبيّن تفاهته ممّا كان سببا في إحراق كتبه، ورغم كلّ ذلك فإنّ ابن حزم لم يجحد مكانته العلميّة بل كان يقرّ بها ويجلّ صاحبها،[3] وكان لأبي الوليد الباجي مصنّفات قيّمة تدلّ على سعة علمه منها كتاب "الاستيفاء" في شرح موطأ الإمام مالك، وكتاب "المنتقى" في سبع مجلّدات وهو من أبرز وأهمّ كتبه إذ شرح فيه أحاديث الموطأ وفكّ غامضها، وله العديد من العناوين منها "أحكام الفصول في أحكام الأصول"، و"مختصر المختصر"، في مسائل المدوّنة، و"الإشارة في أصول الفقه"، و"السراج في الخلاف"[4]...وغيرها من المؤلّفات القيّمة التي لاقت قبولا من قبل طلبة العلم في ذلك الزمان وبعده.

هناك أسماء عديدة برزت في حواضر الأندلس فظهر في مملكة بني صمادح **أبو عبد محمد بن خلف بن سعيد بن وهب** (ت:485هـ/1092م) الذي "امتهن القضاء والفتيا ألّف كتابا كبيرا في شرح البخاري"[5]، وبرز في المرية الفقيه **أبو عمر أحمد بن محمد بن أسود الغساني**

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 308- 309. ابن يشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص 415-416.

[2]- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 218.

[3]- المرجع نفسه، ص 222.

[4]- المقري: المصدر السابق، ج 2، ص 69.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 436.

(ت:481هـ/1088م)، ونبغ في غرناطة الفقيه **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصقلي** "الذي قدم غرناطة وعلّم أهلها الفقه"[1].

فضلا على وجود فقيهات برزن في عصر ملوك الطوائف نذكر منهنّ **طونة بنت عبد العزيز** (ت:506هـ/1112م) التي تتلمذت على يد أبي عمر بن عبد البر النميري والتي وصفت "بالدين والخلق وجلالة القدر"[2].

ارتقى الفقهاء الأندلسيون بالدراسات الفقهيّة القيّمة التي أثروا بها المكتبة الإسلامية ملتزمين بمذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، باستثناء طفرة الفقيه ابن حزم الظاهري، التي أوجهها الفقهاء بكلّ حزم وعلم، كما أثبت الفقهاء قدرتهم على التأليف منافسين بذلك الفقهاء المشارقة والمغاربة، مؤسسين لمدرسة جديدة تدعى المدرسة الفقهية الأندلسيّة.

2- الحديث:

اهتمّ الأندلسيون كثيرا بعلم الحديث، وكان لعامل الرحلة العلميّة دور بارز في نهضة علم الحديث وتطوّره، ونشاط دراسته[3]، وتزخر كتب التراجم الأندلسيّة بعدد هائل من علماء الحديث في عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف، أحاول ذكر بعضهم ممّن ساهموا في الارتقاء بهذا العلم ومنهم:

– **المحدّث يحي بن مالك بن عائذ** (ت:375هـ/985م) له رحلة إلى المشرق سمع فيها من نحو سبعمائة عالم، دامت رحلته عشرون عاما، عاد بعدها إلى الأندلس ويتخذ من جامع قرطبة مكانا للتدريس، فكان يملي كلّ يوم جمعة، شهد مجلسه إقبال الطلبة إذ كان من أشهر المجالس العلمية في قرطبة[4].

1- ابن بشكوال: **الصلة**، ص 470.

2- المصدر نفسه: ص 535.

3- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 170.

4- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 193– 194.



– **المحدّث محمّد بن عبد الملك بن أيمن** (ت:330هـ/941م) كان بارعا في علم الحديث، له كتاب في السنن تميّز بالدقّة والإتقان، رحل إلى المشرق سنة (276هـ/889م) وكان يرغب في لقاء الحافظ أبي داود السجستاني[1] صاحب السنن، لكنّه وصل العراق بعد وفاته[2]، ولقد ذكر الحميدي أنّ ابن حزم أثنى على ابن أيمن وعلى سننه في قوله: "ومصنّف ابن أيمن مصنّف رفيع ، احتوى من صحيح الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنّفات"[3].

– **المحدّث عبد الرحمن بن محمّد بن عيسى بن فطيس** (348-420هـ/959-1111م) من كبار علماء الحديث حفظا ومعرفة، كان يلقي الدروس من حفظه، فضلا على تمكّنه في التاريخ والسير، محبّا للكتب جمّاعا لها[4]، ومن أهم مؤلّفاته في الحديث كتابه الأخوة من المحدثين من الصحابة والتّابعين ومن بعدهم من الخالفين، في أربعين جزءا، ومسند حديث محمّد بن فطيس، في خمسين جزءا، وكتاب النّاسخ والمنسوخ، في ثلاثين جزءا[5].

ولاهتمام علماء الأندلس بالحديث قام الكثير منهم بدراسة كتب الصّحاح كصحيح البخاري[6] وصحيح مسلم[7]، ومن الذين اهتمّوا بذلك العلاّمة **هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله الصّابوني**

---

[1]- **سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي أبو داود السجستاني** محدّث البصرة، (202هـ-275هـ/817م- 889م)، إمام الأئمة في الحديث، أحد أصحاب كتب الحديث الستة المشهورة، قال إبراهيم الحربي عنه: ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد، جمع في سننه أربعة آلاف وثمانمائة حديث. الذهبي: المصدر السابق، ج 13، ص 215. ابن خلكان: المصدر السابق، ج 2، ص 404. فهد بن عبد الرحمن العثمان: **الفوائد الذهبية من سير أعلام النبلاء**، ط1، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1418هـ - 1997م، ص 81.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 169.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 68.

[4]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 310 - 311.

[5]- المصدر نفسه: ج2، ص310 – 311.

[6]- **البخاري**: محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم (ت:256هـ/869م) الحافظ الكبير صاحب الجامع الصحيح، رحل في طلب الحديث إلى كثير من البلاد وألف كتابه الذي قال فيه: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلاّ اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج4، ص188.

[7]- **مسلم**: مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري (ت:261هـ/874م) أحد الأئمة الحفاظ وأعلام الحديث، ارتحل إلى عدة أقطار في طلب العلم وقال عن كتابه: صنّفت هذه السنن من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج5، ص 194.

(ت:423هـ/1031م) الذي اهتمّ بشرح صحيح البخاري وتمييز أحاديثه، ويعدّ كتابه من أهمّ الكتب في شرح الحديث[1].

وبرز في عصر ملوك الطوائف عدد هائل من المهتمين بعلم الحديث من بينهم العلاّمة **عبد الله بن عيسى الشيباني السرقسطي** (ت:530هـ/1135م)، وصف بحفظه وإتقانه لصحيح البخاري وسنن أبي داود[2]، ومن بين شرّاح صحيح البخاري العلاّمة المحدّث **علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال** المعروف **بابن اللحام** (ت:449هـ/1057م) من أعلام دولة بني جهور بقرطبة، عكف على دراسة صحيح البخاري "فوضع فيه شرحا يقع في عدّة أسفار تناقله العلماء وتداولوه بينهم لجلالة قدره"[3]. وخطى في شرح البخاري العديد من المحدّثين من أهل الأندلس نذكر منهم المحدّث **محمد بن علي بن إبراهيم الأموي** من مملكة بني ذي النون بطليطلة (ت:479هـ/1086م) والمحدّث **محمد بن سعيد المريي** من أهل المرية (ت:485هـ/1092م)، وكذلك العلاّمة **جابر بن غالب بن سليم الجذامي** (ت:529هـ/1134م) من مملكة بني عباد باشبيلية، اعتنى بعلوم الحديث، وصنّف كتابا في شرح صحيح البخاري أسماه "ترتيب الطرر" يبرز مهارته في ذلك العلم[4].

واهتمّ محدّثون آخرون بصحيح مسلم دراسة وشرحا منهم العلاّمة **عبد الله بن عيسى الشيباني** (ت:530هـ/1135م) من مملكة بني هود بسرقسطة أولى عناية بصحيح مسلم حتى حفظه، وألف في شرحه كتابا لم يتمه[5]، كذلك قام العلاّمة المحدّث **عبد الله بن أحمد بن سعيد** (ت:522هـ/1128م) من مملكة بني عباد بإشبيلية بتأليف العديد من الكتب في علوم الحديث منها كتاب "المنهاج في رجال مسلم من الحجاج"[6].

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 65.

[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 292.

[3]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 214.

[4]- ابن الآبار: **تكملة الصلة**، ج1، ص 246 – 247.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 295- 296.

[6]- المصدر نفسه: ج1، ص 293- 294.



وكان **لابن حزم** (ت:456هـ/1063م) الأثر البالغ في علم الحديث، فهو من الحافظين العارفين بعلومه، وقد صنّف العديد من الكتب في هذا التخصّص على غرار كتاب "الجامع في صحيح الحديث"، وكتاب "شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله"، و"ترتيب مسند بقي بن مخلد"، و"أجوبة من صحيح البخاري"[1] وغيرها من الكتب الأخرى التي لا يتّسع المجال لذكرها جميعا.

كما برز **أبو الوليد الباجي** (ت:474هـ/1081م) في علم الحديث وله فيه مصنّفات منها "التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح"، وكتاب "الاستيفاء في الفقه والحديث"، وكتاب "الجرح والتعديل"[2]، وللعلاّمة الحافظ **ابن عبد البر النمري** (ت:460هـ/1067م) من مملكة دانية اهتمّ كثيرا بالحديث وبرع في علومه، وشهد له ابن الوليد الباجي بذلك فقال: "لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث"[3]، وله العديد من المؤلّفات في الحديث مثل كتاب "التقصي لحديث الموطأ"، وكتاب "الشواهد في إثبات خبر الواحد"، وكتاب "الانباه على قبائل الرواة في أسماء رجال الحديث"[4].

تمكّن الأندلسيون من إثبات قدراتهم الواسعة في علم الحديث وتعدّ كتب التراجم من أكثر الكتب اهتماما بأعلام الحديث والفقه، منها كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (351 ـ 403هـ/962 ـ 1012م) الذي أعتمد عليه في هذه الدراسة، وكان هو نفسه مهتمّا بعلوم الدّين، فقدّم لنا تراجم واسعة لكثير من العلماء الذين عرفتهم بلاد الأندلس، وقد قال عنه ابن حزم كما ذكر المقري قوله: "لا أعلم مثله في فنّه البتّة"[5]، وخلاصة الحديث أنّ علوم الحديث وجدت من يعنى بها في بلاد الأندلس فازدهرت بشكل واسع ملحوظ، فلا ينكر إلاّ جاحد ما قدّمه ابن حزم، وابن عبد البر، والباجي... وغيرهم كثير خدمة للحديث وعلومه، وما يزال بين أيدينا الكثير من إنتاجهم الثمين الذي يستفاد منه إلى يومنا هذا.

---

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 180.

[2]- المرجع نفسه: ص 297.

[3]ـ الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان): **تذكرة الحفاظ**، وضع حواشيه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ج3، ص 1128.

[4]- المصدر نفسه: ج3، ص 1129- 1130.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 170.

3- القراءات:

روي أنّ الصحابة رضي الله عنهم رووا القرآن الكريم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وانتقل ذلك عنهم إلى غيرهم واشتهر، إلى أن استقرّت سبع طرق معيّنة، تواتر نقلها بأدائها، واختصّت تلك القراءات بأصحابها، فأصبحت أصولا للقراءة، وذاعت بين المسلمين[1].

كان لعلم القراءات نصيب في بلاد الأندلس عصر الخلافة، ولا يمكن المرور مرّ الكرام على الموضوع دون الإشارة إلى رحلة العلاّمة **الغازي بن قيس** (ت:199هـ/804م) في عصر الإمارة والذي سبق ذكره، الذي أخذ القراءة عن نافع المدني، وصحّح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرّة، ومنها يبدأ الأندلسيون في الاهتمام بعلم القراءات، فيظهر فيهم العديد من القرّاء، وينالون مكانة مرموقة في المجتمع لارتباط حياتهم العلميّة بالقرآن الكريم، وللدور التربوي الذي قدّموه في تعليم أبناء المسلمين كتاب الله عزّ وجلّ[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ كثيرا من القرّاء في عصر الخلافة عاشوا مرحلة الفتنة التي عرفتها بلاد الأندلس، وعاصروا مرحلة الطوائف، هذه المرحلة الأخيرة شهدت فيها الدراسات القرآنية تألقا كبيرا ومن أبرز القرّاء الذين عرفتهم الأندلس في المرحلتين نذكر:

- **المقرئ أبو عمر أحمد بن محمّد بن عبد الله الطلمنكي**[3] (340-429هـ/951-1037م)

من أعلام دولة بني جهور في عصر ملوك الطوائف، كان إماما بارعا في علم القرآن، قراءة وإعرابا، مع معرفة أحكامه ومعانيه، وناسخه ومنسوخه، وله فيها تصانيف تثبت سعة علمه[4]، من أهم مؤلّفاته "الدليل إلى معرفة الجليل" في مائة جزءا، وكتاب "تفسير القرآن"، وكتاب "البيان في إعراب القرآن"[5]، وغيرها من المؤلّفات القيّمة.

1- ابن خلدون: **المقدّمة**، ص437.

2- صالح عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 184-185.

3- **طلمنكة**: مدينة بثغر الأندلس، بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلا (بني ذي النون). الحميري: ص 128.

4- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 45.

5- ابن فرحون: المصدر السابق، ص 39.

- **المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الدّاني**[1] (ت:444هـ/1052م)، الذي عاصر الطلمنكي، حرص الدّاني أن يكون علم القراءات ميسّر للطلبة فنظمه في أرجوزة ليسهل على طلبته حفظها[2]، ولقد أطنب المؤرّخون في ذكر دوره في خدمة علم القراءات ورواياتها، وكان مقصد كلّ مهتمّ بهذا العلم[3]، من مصنّفاته كتاب "جامع البيان في القراءات السّبع"، يشمل أزيد من خمسمائة رواية، وقيل أنّه جمع فيه كلّ ما يعلمه في هذا العلم، وله تصانيف أخرى مثل: "التيسير في القراءات"، و"منظومة الاقتصاد في علم القراءات".[4]

عرف الداني بتدريس علم القراءات في مساجد دانية في عهد مجاهد العامري، ولم يستثن من تعليمه حتى النّساء وهو ما رواه الضبي أنّ أبا الحسن نجية بن يحي قال: أخبرني من أثقه أنّ أبا عمرو المقرئ أقرأ بالمرية مدّة وكانت ريحانة تقرأ عليه القرآن بها، كانت تقعد خلف ستر فتقرأ ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف، فأكملت السبع عليه وطالبته بالإجازة فامتنع وقرأت عليه خارج السبع روايات[5]، وعليه فإنّ أبا عمرو الداني قد ذاع صيته داخل الأندلس وخارجها وكان بحقّ فريد عصره في القراءات[6].

- **الفقيه المقرئ مكي بن أبي طالب حموش القيسي** (ت:437هـ/1045م) وهو من أعلام دولة بني جهور بقرطبة، وفد إلى الأندلس سنة (393هـ/1002م) أين لقي الترحيب من الحاجب عبد الملك بن المنصور، وعيّنه لتدريس القرآن الكريم وعلومه بجامع الزهراء، وبعد سقوط دولة بني عامر استدعاه الخليفة المهدي محمّد بن هشام إلى قرطبة أين تبوّأ مكانة جليلة بين علمائها وأخذ في نشر العلوم وتدريس طلبة العلم في جامع قرطبة، فاشتهرت مجالسه وعظمت مكانته[7]، وصف من قبل أحد مقرّبيه فقال: "كان نفعه الله من أهل التبحّر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيّد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنا في ذلك مجوّدا للقراءات السبع،

---

[1]- دانية: **مدينة شرقي الأندلس**، الحميري: المصدر السابق، ص 76.

[2]- الحميدي: المصدر السابق، ص 305. الحميري: المصدر السابق، ص 67.

[3]- الذهبي: المصدر السابق، ج3، ص 1120-1121. المقري: المصدر السابق: ج2، ص 135 – 136، شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج3، ص 332 – 333.

[4]- صالح عبد الله سعد البشري: المرجع السابق، ص 187.

[5]- الضبي: **بغية الملتمس**، ص 411 – 412.

[6]- لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص 45.

[7]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 632 – 633. ابن فرحون: **الديباج المذهّب**، ص 346.

عالما بمعانيها"[1]، ومن مؤلّفاته كتاب "الهداية إلى بلوغ النهاية"، وكتاب "تفسير إعراب القرآن"، وكتاب "التبصرة في القراءات السبع"[2]، وقد ذكر ابن خلكان مؤلّفاته في القراءات ما يقارب عشرين كتابا، ثمّ قال: "وله في القراءات واختلاف القرّاء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة، ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها"[3].

- **العلاّمة أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح** (410 ـ 496هـ/1019 ـ 1102م) من مملكة دانية تتلمذ على المقرئ أبي عمرو الداني، ودرس على يد الحافظ ابن عبد البر النميري، وعدّ أبو داود من خيرة القرّاء، "فقد كان ماهرا في علوم القرآن، عارفا بقراءاته ورواياتها وطرقها ووجوهها المختلفة، إلى جانب إسهامه الكبير في ميدان التأليف العلمي... وقد أفاد الناس كثيرا فأخذوا عنه القراءات والتفسير"[4]، ومن مؤلّفاته كتاب "البيان الجامع لعلوم القرآن" في ثلاثمائة جزءا، كتاب "التبيين لهجاء التنزيل" في ستّ مجلّدات، وكتاب الرجز المسمى "بالاعتماد" في عشرة أجزاء عدد أبيات الأرجوزة ثمانية عشر ألف بيت وأربعمائة وأربعين بيتا... وغيرها من المصنّفات العديدة[5].

ومن هذا العرض والتوضيح يتبيّن الدور الهام الذي بذله علماء الأندلس في علم القراءات، فأضافوا للمكتبة الإسلاميّة عناوين جديدة، كما برزت الجهة الشرقية من الأندلس في علم القراءات وأخصّ بالذكر مملكة دانية التي اهتم ملوكها بالدراسات القرآنية، وبلغ هذا العلم شأنا كبيرا ليس في الأندلس وحسب بل وصل العالمية مع ما قدّمه أبو عمرو الداني من مؤلّفات نالت شغف واهتمام علماء المشرق والمغرب.

---

[1]- ابن بشكوال: **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، ج2، ص 631.

[2]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج4، ص 727 – 728.

[3]- ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج5، ص 275 – 276 – 277.

[4]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 203 – 204. الضبي: المصدر السابق، ص 303 – 304.

[5]- الذهبي: **معرفة القراء الكبار**، ج1، ص 364 – 365.

4- التفسير:

من العلوم التي اهتمّ بها علماء الأندلس تفسير القرآن الكريم، لما لكتاب الله من أهمية في التشريع الإسلامي، فراحوا يهتمّون بالقرآن وتفسيره، ومن أوّل الذين اهتمّوا بتفسيره **بقي بن مخلد** (201- 276هـ/817- 890م) الذي صنّف كتابا ذكره ابن حزم كما نقله المقري في قوله: "إنّه الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه أنّه لم يؤلّف في الإسلام تفسير مثله ولا تفسير محمّد بن جرير الطبري ولا غيره"[1]، وإن كان تفسير بقي بن مخلد قد ألّف في عصر الإمارة، إلاّ أنّه أثّر كثيرا على المفسّرين الذين جاءوا من بعده، وفي مقدّمتهم ابنه **أحمد بن بقي** (ت:324هـ/935م) والذي كان بارعا في علوم القرآن وتفسيره حتى وصف بأنّه من عجائب الدّنيا وبأنّه نسج وحده[2].

وهناك كتابات في تفسير القرآن نسبت إلى بعض الأندلسيين مثل الوزير **أحمد بن محمّد بن برد** (ت:418هـ/1027م) الذي ألّف كتابا في التفسير عنوانه "التحصيل في تفسير القرآن"[3]، وكذلك برز العلاّمة **محمّد بن عبد الله المرّي** (ت:398هـ/1007م) الذي كان مهتمّا بالفقه كما سبق ذكره في شرح الموطأ والمدوّنة، كان اهتمامه بارزا أيضا في تفسير القرآن الكريم[4].

كما برز كثير من العلماء المهتمّين بالتفسير في عصر ملوك الطوائف، ومعظمهم نبغ في علم القراءات[5]، منهم **مكي بن أبي طالب القيسي** (ت:437هـ/1045م) الذي ألّف في التفسير كتاب "الهداية إلى بلوغ النهاية" في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه، والذي يقع في سبعين جزءا، وله كذلك كتاب "المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره"، وله كذلك كتاب "الإيجاز في ناسخ القرآن ومنّسوخه"، وغيرها كثير[6]، وقد أشاد ابن حزم بمساهمة مكي في تفسير القرآن الكريم فقال: "أمّا القرآن فمن أجلّ ما صنّف في تفسيره كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار صنّفه الإمام العالم الزاهد أبو محمّد مكي بن أبي طالب لقرطبي"[7].

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص168.

[2]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 170-171 (مما نقل عن ابن ربّه ولم يذكر في **العقد الفريد**).

[3]- الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت): **الرحلة في طلب الحديث**، تح: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ- 1975م، ج1، ص 72.

[4]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج3، ص 173.

[5]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص323.

[6]- ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج5، ص 276.

[7]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 179 (نقلا عن **رسالة ابن حزم في فضل الأندلس**).

وشهدت حواضر الأندلس العديد من العلماء المفسّرين منهم **عبد الله بن فرج اليحصبي** (ت:487هـ/1094م) من أعلام طليطلة الذي اهتمّ بالتفسير، وكان له مجلس حافل يقرأ فيه التفسير يوضّح معانيه ويشرح أحكامه ويبيّن ما أشكل فيه ويدلّل على أقواله من حفظه بأحاديث كثيرة[1]، ومن المفسّرين العلاّمة **عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي** (ت:520هـ/1126م) من أعلام بني عباد، كان حافظا لكتاب الله، عارفا بتفسيره وغريبه ومعانيه، كان متحمّسا للعلم ساعيا في نشره بين طلبة العلم "يجلس لهم يومه كلّه وبين العشاءين"[2].

ومن العلماء **عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال اللخمي** (ت:536هـ/1141م) من مملكة إشبيلية، وصف بعلمه الواسع في تفسير القرآن الكريم، له كتاب "تفسير القرآن"[3]، ونذكر من العلماء أيضا **أبا الحسن علي بن عبد الله بن موهب الجذامي** (ت:532هـ/1137م) من علماء المرية، كان ماهرا في علوم الدين، ألّف تفسيرا للقرآن الكريم وصف بالجودة والإتقان[4]، وكذلك برز أواخر عصر الطوائف العلاّمة **محمد بن عبد الله بن العربي** (ت:543هـ/1148م) من إشبيلية وله مشاركة طيبة في التفسير من خلال كتابه "أنوار الفجر في تفسير القرآن" قضى في تأليفه نحو عشرين عاما، وزادت أوراقه عن ثمانين ألف ورقة[5].

لم يترك علماء الأندلس علما إلاّ وانشغلوا به، وقاموا بالتصنيف فيه، ممّا جعلهم يتصدّرون التأليف، ويكفي للإشارة فقط أنّ تفسير بقي بن مخلد يعدّ نقطة لامعة وضّاءة، وسابقة نافعة في الدراسات القرآنية ببلاد الأندلس قد يضاهي تفسير الطبري، والقول مثله ينطبق على من جاء بعده من العلماء المفسرين الذين بقيت مؤلّفاتهم خالدة لم تعتريها طوارق الزمان ولم تبدّدها حوادث الدهر.

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 285 – 286.

[2]- المصدر نفسه: ج1، ص 348 – 349.

[3]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 326.

[4]- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): **طبقات المفسرين العشرين**، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1396هـ، ص 68.

[5]- الداودي (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد): **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م، ج2، ص 165.

5- علم الكلام:

أختم الحديث عن العلوم الدينيّة في عصر الخلافة بالحديث عن علم الكلام والمشتغلين به، وقد عرّفه **أبو نصر الفارابي** (ت:339هـ/951م) وهو من أقدم التعاريف بقوله: "صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة، التي صرّح بها واضع الملّة، وتزييف كلّ ما خالفها بالأقاويل"[1].

فهو يعتبر علم الكلام صناعة، فهو ليس علما فقط، وإنّما هو فن الدّفاع عن الثّغور الإيمانية، وهو يكسب قدرة على إدارة المرافعات على العقائد بتنمية مهارات الحجاج من خلال بيان مزايا الدين الإسلامي، وإبطال الشبه الواردة عليه فمهمّة علم الكلام من خلال هذا التعريف الدقيق تتمثّل في النّصرة لما نطق به الله ورسوله عليه الصّلاة والسّلام فهو ينصر الإسلام لا المذهب وهو بذلك لا ينشئ عقيدة إنّما يدافع عنها[2].

وعرّفه **عبد الرحمن بن خلدون** بأنّه: "العلم الذي يتضمّن الحجاج (الجدل) عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنّة وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[3]، بيّن ابن خلدون أنّ وظيفة هذا العلم تتمثّل في البرهنة على صحّة العقيدة الإسلامية، مع تحديد أسلوب الحجاج في البراهين العقليّة[4].

وكان لانتشار مذهب الاعتزال دور في ظهور علم الكلام، وعدّ ذلك بداية الخطأ الفكري الذي ولّد الخلاف والصراع المذهبي "وفي المجال العقائدي تسرّب الاعتزال إلى الأندلس، وبدأ يكون خطأ فكريا ويجد له المتكلّمين والأساتذة"[5].

1- أبو نصر الفارابي: **إحصاء العلوم**، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص69.

2- عبد الغني عكاك: **علم الكلام ومسؤولية المشروعية**، مقال بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر1، العدد:28، مارس 2017، ص140.

3- ابن خلدون: **المقدمة**، ص458.

4- عبد الغني عكاك: المرجع السابق، ص142.

5- طاهر بن علي: المرجع السابق، ص54.



وكان لخروج المشتغلين بهذا العلم عن منهج أهل السنّة والجماعة، واعتمادهم على العقل والمنطق في دفاعهم عن العقائد دور في موقف الفقهاء منهم، إذ رأوها بدعة يجب محاربتها والتنكيل بأتباعها[1]، ومن أراء الفقهاء المالكية أنّ المشتغلين بعلم الكلام يعدّون أهل أهواء وبدع لا تقبل شهادتهم في الإسلام، ويفجرون ويؤدّبون على بدعهم، فإن تمادوا عليها استتيبوا.

وقد ذكر صاحب بغية الملتمس إلى كلام **ابن عبد البر النمري** أحد فقهاء الأندلس الذين سبق ذكرهم قوله: "أجمع الفقه والآثار في جميع الأمصار أنّ أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدّون عند الجميع في طبقات العلماء"، ويضيف قائلا: "أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكلّ متكلّم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعريّ، ولا يقبل له شهادة في الإسلام ويفجر ويؤدّب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها"[2].

ومن الذين برزوا في هذا العلم عصر الخلافة **محمّد بن عبد الله بن مسرّة** (269-319هـ/882 – 931م) وهو الذي اشتهر بآرائه في علم الكلام تتنافى وعلوم الشريعة الإسلامية وهو الذي كان "على طريقة الزهد والعبّاد بسق فيها، وافتن جماعة من أجلها وله طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية وتواليف في المعاني نسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها والله أعلم به"[3].

هذه الأفكار حملت الدولة إلى التدخّل من أجل القضاء على ما ابتدعه ابن مسرّة وجماعته ففي التاسع من ذي الحجّة سنة (340هـ/951م) قرئ على النّاس بجامعي قرطبة والزهراء كتاب الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر بإنكاره لما ابتدعه أصحاب ابن مسرّة من أفكار خارجة على الدين واستمالتهم الناس إلى مذهبهم وتسترهم بالزهد، كما أنّ الخليفة أخذته الحمية على الدين فأوعز إلى وزيره بتتبّع الطائفة المذكورة والتحقيق معهم ورفع أمرهم إليه لينظر في شأنهم[4].

---

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، 330.

[2]- الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 157 – 158.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 63.

[4]- ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص 24-25.

وفي عام (350هـ/961م) جيء بأتباع ابن مسرّة إلى القاضي محمّد بن يقي فأمر بما لديهم من كتب فأحرقها وأصحابها ينظرون إليها، كما ألّف القاضي المذكور كتابا في الردّ على ابن مسرّة وتفنيد كلامه حول العقيدة[1].

ومن المشتغلين بعلم الكلام في عصر ملوك الطوائف نجد ابن حزم الظاهري (ت:456هـ/1063م) الذي ألف كتاب الفصل في الملل والنحل الذي ناقش فيه أهل المذاهب والنحل والديانات المختلفة، ومنهم أهل الكلام كالمعتزلة والأشعرية والمرجئة، ومن خالفه ردّ عليه بكلّ حزم وصراحة، وهاجم المتصوفين والمنجّمين وأهل الأهواء والبدع[2].

وممن ذكر بعض علماء علم الكلام في عصر ملوك الطوائف منهم العلاّمة **محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي** الألبيري الأصل، وهو من أعلام مملكة غرناطة (457 ـ 536هـ/1064 ـ 1142م) والذي ذكره المراكشي بقوله: "كان متكلّما واقفا على مذهب المتكلّمين متحققا برأي أبي الحسن الأشعري، وذاكرا لكتب الأصول والاعتقادات"[3]، ولابن خلف كتب في هذا العلم منها كتابه "النكت والأمالي في الردّ على الغزالي"، وكتاب "رسالة البيان عن حقيقة الإيمان"، وكتاب "ردّ الأصول إلى معرفة الله وبنوّة الرسول"[4].

وممن اشتغل بعلم الكلام في مملكة بني جهور العلاّمة **يحي بن عبد الله بن كيس** (ت:436هـ/1044م) عرف بعلمه في الحديث عارفا بعلم الكلام بصيرا بالجدل، قال فيه أبو حيان: "ما نعلم في الأندلس في وقته أبصر منه بالكلام والجدل ونحو ذلك"[5].

لم تعمّر تلك الأفكار والمذاهب الدخيلة على الأندلس طويلا، بسبب صرامة الفقهاء، وتصدي الخلفاء، وعدم تجاوب أهل الأندلس لها، كلّ تلك العوامل حالت دون توغّل أفكار ابن مسرّة وأتباعه، ومن جاء بعده، لتحصّن الأندلسييّن بمذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس والرافض لأيّ تيار أو فكر خارج عن بيئتهم الأندلسية.

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص92. الضبي: المصدر السابق، ص130. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص497-498.

[2]- أحمد أمين: **ظهر الإسلام**، ج3، ص57.

[3]- المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي): **الذيل والتكملة لكتباي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس ومن معه، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2012م، ج6، ص193.

[4]- المراكشي: المصدر السابق، ج6، ص193- 194.

[5]- ابن بشكوال: **الصلة**، ج2، ص667.



ثانيا– الأدب واللغة:

1- الأدب:

ينقسم الأدب إلى نثر وشعر، والنثر نوعان نثر فنّي ونثر أدبيّ، وفي بداية الحديث أبدأ بتعريف النثر بنوعيه، والتطرّق لأهم الكتّاب والأدباء والشعراء الذين عرفتهم بلاد الأندلس في المرحلة المدروسة، والآثار التي خلّفت من بعدهم، وما أفادوا به المكتبات والقرّاء سواء في زمنهم أو في الأزمنة المتعاقبة.

أ) النثر الفني:

وهو أسلوب الرّسائل الديوانيّة، والإخوانيات والوصايا، وغيرها من مواضيع النثر الفني[1]، وقد نال كاتب الرّسائل مكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي إلى درجة التشريف والتبجيل[2]، وقد اتّخذ عبد الرحمن النّاصر قبيل تلقّبه بالخلافة كاتبا يدعى **عبد الله بن محمّد الزجالي** الذي بقي في ذلك المنصب إلى تاريخ وفاته سنة (301هـ/913م)[3].

وفي عصر الخلافة زادت أعباء الدولة ومهامها، عيّن الخليفة عبد الرحمن النّاصر سنة (344هـ) أربعة كتّاب يحملون لقب وزير، ولكل منهم مهمّة يختصّ بها، "فقلّد الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة، وقلّد الوزير عيسى بن فطيس النظر في كتب أهل الثغور، وقلّد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالي النظر في تنفيذ العهد والتوقيعات، وقلّد الوزير محمّد بن حدير النظر في مطالب النّاس وحوائجهم، فالتزم القوم ما لزموا، فاعتدل بهم ميزان الخدمة، وسهلت مطالب الرعيّة"[4].

كان لمنصب الكتابة دور هام في تسيير شؤون الدولة، ومن أهم الكتّاب في فترة الخلافة:

– **جعفر بن عثمان المصحفي** (ت:372هـ/983م) الذي استعمله الحكم المستنصر أثناء ولايته للعهد، وبعد تولّيه الخلافة، فكان جعفر "مقداما في صناعة الكتابة، مفضّلا على طبقته بالبلاغة، وله شعر كثير مدوّن يدلّ على تمكّنه من الإجادة، وتصرّفه في أفانين البيان"[5]، وفضلا على الكتابة الخاصة كلّف بالكتابة العليا[6].

---

[1]- مصطفى الشكعة: **المغرب والأندلس آفاق إسلامية**، ص 570.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 217.

[3]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 165.

[4]- المصدر نفسه: ج2، ص 220.

[5]- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص 257-258.

[6]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 254.

- **أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري** (ت:394هـ/1004م) والذي تولى الوزارة والكتابة للمنصور أبي عامر ثمّ لابنه عبد الملك إذ "كان عالما أديبا شاعرا غزير المادة، معدودا في أكابر البلغاء ومن ذوي البديهة في ذلك، وله رسائل وأشعار كثيرة مدوّنة"[1]، قضى آخر أيّامه سجينا عهد عبد الملك المظفّر "توفي بالمطبق في سخطة المظفر عبد الملك بن أبي عامر في ذي القعدة سنة394هـ"[2].
- **أحمد بن عبد الملك بن شهيد** ولد سنة (382هـ/992م)، أي أواخر عصر الخلافة، وصفه صديقه ابن حزم بقوله: "ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا، وهو حيّ لم يبلغ من الاكتهال، وله من التّصرّف في وجوه البلاغة وشعابها مقدارا يكاد ينطق فيه بلسان مركّب من لسان عمرو[3] وسهل[4]"[5].

وعرفت الأندلس في هذا المجال كاتبات من النّساء، إذ اختصّ الخليفة عبد الرحمن النّاصر الكاتبة **مزنة** (ت:358هـ/968م) التي وصفت بالأدب الواسع مع حسن الخط، وكذلك اعتمد الخليفة الحكم المستنصر على كاتبة أخرى تدعى **لبنى** (ت:374هـ/984م) والتي عرف عنها البراعة في الكتابة وجودة الخط،[6] تلك بعض نماذج النساء الكاتبات في عصر الخلافة.

وفي عصر ملوك الطوائف تنافس الملوك في تقريب الكتّاب وضمّ أشهرهم، لحاجة الملوك إلى الكتابات والمراسلات ويمكن في هذا المجال ذكر عيّنة منهم على سبيل المثال:

- **أحمد بن برد** (ت:418هـ/1027م) من أهل بيت ورياسة، له رسائل تدلّ على تمكّنه في الأدب والإنشاء، وشتى أنواع النثر الفني، منها رسالة في السيف والقلم والمفاخرة بينهما، قال عنه الحميدي: "هو أوّل من سبق إلى القول بذلك في الأندلس"[7]، كما ذكره ابن سعيد وأثنى عليه،

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 126.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 357.

[3]- عمرو بن بحر بن محجوب الملقب بالجاحظ ولد بالبصرة ونشأ ببغداد، من ذوي الأدب والبلاغة والفصاحة، يميل إلى المعتزلة في مذهبهم ألف العديد من الكتب القيّمة في الأدب على غرار البيان والتبيين. ابن نباتة (جمال الدين المصري): **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1383هـ/1964م، ص 140 – 141.

[4]- سهل بن هارون من نيسابور، تفرّد بالبلاغة وقد حضي بمنصب الكتابة لدى الخليفة المأمون. ابن نباتة، المصدر السابق، ص136.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 178 (نقلاً عن **رسالة ابن حزم في فضل الأندلس**).

[6]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 692.

[7]- الحميدي: المصدر السابق، ص 101.

مشيرا إلى رحيله من قرطبة إلى ألمرية واستوزار المعتصم له، ثمّ رحيله إلى مجاهد صاحب دانية[1]، ونال رضا المنصور بن أبي عامر بن دراج القسطلي الذي قرّبه منه وجعله على رأس كتّابه[2].

- **عبد الله بن عبد البر النميري** (ت:474هـ/1081م) كان من كتّاب المعتمد بن عبّاد والذي ذكره ابن بسام بقوله: "تهادته الآفاق وامتدت إليه الأعناق، ففاز به قدح عباد بعد طول خصام والتفاف وزحام"[3]، فكانت له براعة وتمكّن في الرسائل السلطانية.
- **ابن زيدون** (ت:463هـ/1070م) رغم شهرته في الشعر إلاّ أنّه كان كاتبا بارعا وفي النثر ماهرا، بلغت مكانته في بلاط المعتضد بالله[4] تحديدا "بعد وفاة الكاتب ابن برد، فجمع بين حنكة السياسة وجودة الكتابة فلقّب بذي الوزارتين"[5]، ومن أهم ما تركه لنا ابن زيدون من إنتاج نثري رسالتان: الأولى هزلية يسخر فيها من ابن عبدوس، والثانية جديّة خاطب بها ابن جهور من موقع اعتقاله، يستعطفه لإخراجه من السجن، عرفت تلك الرسالتين شهرة في تاريخ الأدب العربي لما احتوتاه من براعة أدبية، ولتأريخها لوقائع الأحداث وأسماء الرجال، تظهر فيهما شخصيّة الكاتب من حيث سعة اطلاعه وبراعة استشهاده "فابن زيدون في شعره فريد عصره، وفي نثره في الذروة بين أقرانه من كتّاب الأندلس ، ولعلّ ملكة الشعر والنثر قلّما تجتمعان لفرد إلاّ البعض من أمثال ابن زيدون، وابن شهيد، ولسان الدين بن الخطيب، ولكن ابن زيدون يبرزهم جميعا"[6].

عرفت الأندلس عددا كبيرا من الكتّاب بدءا من عصر الإمارة ووصولا إلى عصر الخلافة، وممّا ذكر في الفترة المدروسة يبيّن الدور الريادي الذي شهدته الدولة حتى بات يعيّن الكاتب في رتبة وزير، وهي حقّا تعكس النهضة الأدبية والفكرية الراقية التي بلغتها الأندلس.

---

[1]- الضبي: **بغية الملتمس**، ص 141.

[2]- ابن بسام: **الذخيرة**، ج1، ص 132.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص 125.

[4]- **المعتضد بالله محمد بن عباد** تولى مملكة بني عباد بإشبيلية سنة 433هـ، استولى على غرب الأندلس. ينظر ابن الخطيب: **أعلام الأعلام**، ص 195.

[5]- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 338 – 339. سهى بعيون: المرجع السابق، ص 291.

[6]- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 293 – 294.

ب) النثر التأليفي الأدبي:

يقصد بالنثر التأليفي الأدبي ما يؤلّف من كتب أدبية الغرض منها نشر الثقافة العربية الخالصة، هذا المجال عرف نشاطا واسعا في عصر الخلافة، فأبدع الكتّاب ونشروا أدبا مميّزا ورائعا[1]، فأصبح النثر "أنبل علم لديهم وبه يتوصّل إلى صحبة الخلفاء والأمراء وينال به رضاهم، وإذا لم يكن العالم أديبا أو يتّصف بشيء من الأدب فإنّه يكون مستثقلا في مجالس الخلفاء"[2].

وممّا ذكره أحمد أمين "أنّ الأندلسيين قد أنتجوا في الأدب أكثر ممّا أنتجوا في العلوم الأخرى"[3]، وهو دليل اهتمامهم باللغة العربية وآدابها، ورغبتهم الشديدة في تعلّمها.

ولم يكن تعلّم الأدب حكرا على المسلمين وحدهم وإنّما تعدّاهم ليشمل المسيحيين الذين نافسوهم في تعلّمها حتى قال قائلهم: "إنّ جميع الشبّان المسيحيين المتميّزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وآدابها ويقرؤون ويطالعون كتب العرب بولع، ويجمعون أعدادا كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظة ويعلنون في كلّ جهة على رؤوس الأشهاد إعجابهم بذلك الأدب"[4]،ومن أهم الأدباء في النثر الأدبي الذين برزوا في عصر الخلافة يمكن أن نذكر:

- **أبو عمرو أحمد بن محمّد بن عبد ربّه** (246- 382هـ/860- 939م) كان بارعا في الأدب وقول الشعر، تلك الميزة قرّبته من الأمراء وتحديدا من الخليفة عبد الرحمن النّاصر، وقد نال منزلة رفيعة وشهرة كبيرة بين أدباء عصره[5].

نشأ ابن عبد ربّه في قرطبة، وكانت له رحلة إلى بلاد المشرق اطّلع فيها على الأدب المشرقي الراقي، وكان ذلك عاملا في تكوينه، وانعكس التكوين على كتاباته وأهمّها كتابه العقد أو العقد الفريد[6]، الذي يعدّ من روائع الأدب العربي كما يمثّل مرآة لثقافة الأندلسيين في الأدب[7].

---

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 215.
[2]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 222.
[3]- أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص 35.
[4]- أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 485 – 486. خوليان ريبرا: المرجع السابق، ج1، ص 69.
[5]- الحميدي: المصدر السابق، ص101.
[6]- أحمد أمين: المرجع السابق، ج 3، ص 85.
[7]- لطفي عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1958، ص 75.

وقد نال كتاب العقد الفريد "مكانة رفيعة بين كتب الأدب العربية وأثنى عليه أكثر من عالم وأديب، ووصف بالقيمة الأدبية لما ضمّه من ضروب الأدب والمعارف التي لا تتوفّر في غيره من كتب الأدب الأخرى إلاّ فيما ندر"[1].

- **أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيدون القالي** (228-356هـ/900-966م) عالم بالأدب واللغة والنّحو، من أهل العراق، أخذ علومه ومعارفه عن علماء أجلاّء كأبي بكر بن دريد الأزدي، وأبي بكر بن الأنباري[2]، دخل الأندلس سنة (330هـ/941م) في أيّام الخليفة عبد الرحمن النّاصر، حظي بمنزلة جليلة في بلاط الخليفة، كما استفاد الأندلسيون من علمه الواسع في الأدب واللغة واعتبروه حجّة في كلّ ما نقله[3].

تصدّر للتدريس في جامع الزهراء بقرطبة كلّ يوم خميس، وكان يجلس إليه أربعمائة شخص يسمعون منه إملاء كتابه الأمالي.

ألّف القالي كتابه "الأمالي" ويسمى كذلك بـ: "النوادر"، جاء في مقدّمته ثناء على الخليفة عبد الرحمن النّاصر ووليّ عهده الحكم المستنصر لجهودهما في نشاط الحركة العلميّة ببلاد الأندلس.[4]

وقد برز كثير من الأدباء في عصر ملوك الطوائف والذين أثروا بدورهم الحركة الأدبية بما قدّموه من إنتاج رائع مميّز، ونذكر من أشهرهم:

- **أحمد بن عبد الملك بن شهيد** (ت:426هـ/1034م) والذي ترك العديد من الكتب الأدبية من بينها كتاب "كشف الدك وإيضاح الشك"، وكتاب "التوابع والزوابع"[5]، ولقي كتابه الأخير شهرة كبيرة بين الأندلسيين، فالتوابع هي الجنّ التي تتبع الإنسان، أمّا الزوابع فهي العواصف، وقد اعتمد ابن شهيد في اختيار العنوان لوصف الأدباء والشعراء وسيرهم على سنّة الجن وهو نفس المنهج الذي اختاره أبو العلاء المعري في "رسالة الغفران"[6].

---

[1]- ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج1، ص 110.

[2]- ابن خلكان: المصدر نفسه، ج1، ص226. المقري: المصدر السابق، ج3، ص 72.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 165 – 166. المراكشي: المصدر السابق، ص59.

[4]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 222.

[5]- الحميدي: المصدر السابق، ص 133. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 116 – 117.

[6]- أحمد أمين: **ظهر الإسلام**، ج 3، ص 210.

- **ابن حزم الأندلسي** (ت:456هـ/1064م) ويعدّ من الأدباء الذين برزوا في عصر ملوك الطوائف وبعدّ كتاب "طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف" من أنفس الكتب وألمعها، وقيمة الكتاب لا تظهر في عرض الحبّ وفلسفته وتحليل ظواهره قدر ما تظهر فيما قدّمه من روايات ووقائع تصوّر مظاهر الحياة داخل قصور الأمراء، واعتمد المؤلّف كذلك على بعض تجاربه في الحياة ممّا يساعد على دراسة طبيعة حياته الشخصية[1]، وخاصة إذا علمنا أنّ مؤلّف الكتاب أحد فقهاء الأندلس الكبار، فقد كان يعلم أنّ كتابته في الجانب العاطفي سيجلب عليه اللوم والانتقاد خاصة من خصومه إلاّ أنّه صرّح بعدم ميله للمراءة وأنّ غايته كانت رسم صورة واقعية لحياته وحياة الناس العاطفية في بيئته[2]، ويذكر ابن حزم أنّه ألّف هذا الكتاب لإعطاء النّفس حقّها من الرّاحة والانشراح معتمدا على الأثر القائل: "أريحوا النّفوس فإنّها تصدأ كما يصدأ الحديد"[3].
- **ابن شرف القيرواني** (ت:460هـ/1067م) الذي استقرّ في بلاط المأمون بطليطلة[4]، والذي صنّف كتابه "أبكار الأفكار"، والذي سار فيه على خطى من كان قبله من الأدباء كابن عبد ربه والذي يقول في مقدّمته: "فصنّفت الكتاب الملقّب بأبكار الأفكار يشتمل على مائة نوع من مواعظ وأمثال وحكايات قصار وطوال، ممّا عزوتها إلى من لم يحكمها، وأضفت نسجها إلى من لم يحكمها..."[5]، أهدى ابن شرف كتابه إلى المعتضد بن عباد ملك إشبيلية "فطالعه وأعجب به وبعث لمؤلّفه خطابا يثني فيه عليه ومعه صلة مجزية"[6]

بلغ الأندلسيون شأنا كبيرا في النثر الأدبي تمكنوا من بعده منافسة أدباء المشرق، وما تزال مؤلّفاتهم شاهدة على جهدهم المبذول، متداولة إلى يومنا هذا بين أهل الأدب لأهميتها، ولعلّ كتابي العقد الفريد وطوق الحمامة أحسن دليل لذلك، وهي التي تبرز سعة العلم ودقّة الفهم، ويكفي تلك الكتب قيمة أنّها ما تزال إلى يومنا هذا تحتلّ مكانة كبيرة في المكتبات الأدبية العربية والعالمية.

---

[1]- أحمد هيكل: **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة**، ص 381.

[2]- عبد الرحمن علي الحجي: **أندلسيات**، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1969م، ص 108.

[3]- علي بن حزم الأندلسي: **طوق الحمامة في الألفة والألاّف**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014، ص 07.

[4]- ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج1، ص 169 – 170.

[5]- المصدر نفسه: ج1، ص 179.

[6]- المصدر نفسه: ج1، ص 180.

ج) **الشعر**:

لعبت جغرافية الأندلس وطبيعتها دورا هامّا في تألّق الشعر وتطوّره، فاستغلّ الشعراء ذلك لوصف جمال الطبيعة والتغنّي بمفاتنها[1]، وعليه ساهمت البيئة الأندلسيّة في صناعة الشعر الأندلسي وتلوينه بما يناسب الطبيعة وجمالها[2].

انتشر الشعر في عصر الخلافة وازدهر، تحديدا عندما بلغت الأندلس في تلك الحقبة مجال الاستقرار الأمني والازدهار الحضاري، فألبساها ثوب الهيبة والاحترام خاصة من جيرانها، فلمّا وفد رسل الرّوم إلى قرطبة سنة (336هـ/948م) أنشد **منذر بن سعيد** قصيدة أشاد فيها بالخليفة عبد الرحمن النّاصر وإقبال الوفود عليه طالبين ودّه والتقرّب منه، قال في قصيدته[3]:

ترى النّاس أفواجا يؤمّون بابه *** وكلّهم مابين راج وآمـــــــــل

وفود ملوك الرّوم وسط فنائه *** مخافة بأس أو رجـــــــــاء نائل

وفي بداية عصر الخلافة بلغ كثير من الشعراء مكانة رفيعة، فكان بلاط الخليفة عبد الرّحمن النّاصر يضمّ عددا كبيرا منهم وفي مقدّمتهم، ابن عبد ربّه، إسماعيل بن بدر، عبد الملك بن سعيد المرادي، الشاعر المشرقيّ طاهر بن محمّد المهنّد، ومحمّد بن حسين الطبني، وغيرهم كثير[4]، ويمكن أن نقف عند بعضهم بالتعريف كنماذج ومنهم:

- **يوسف بن هارون الرّمادي الكندي** (ت:403هـ/1012م) والذي عرفته الخاصة والعامة، وصفه معاصروه بقولهم: "فتح الشعر بكندة وختم بكندة "وكانوا يقصدون امرئ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون[5]، ولما قدم الأديب **أبو علي القالي** الأندلس كان من بين مستقبليه والمرحبين بقدومه وقال في ذلك شعرا بليغا أهمّ أبياته وأبدعها قوله:[6]

فالشرق خال بعده وكأنّما *** نزل الخراب بربعـه المأهـــول

فكأنّه شمس بدت في غربنا *** وتغيّبت عن شـرقهم بأفول

[1]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 168.

[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 234.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 373.

[4]- ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص 40.

[5]- الحميدي: المصدر السابق، ص 369 – 370. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 674.

[6]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 75. ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 226.

– **محمّد بن هانئ الأزدي** ولد بإشبيلية سنة (326هـ/937م) وبداية شهرته الشعرية قصد حاكم إشبيلية جعفر بن علي، فوجد قصره حافلا بالشعراء، فقام وألقى قصيدة أمام الحاكم قال فيها:

أليلتنا إذ أُسلت واردا وحفـا *** وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفـا

حتى إذا بلغ قوله:

كأنّ لواء الشمس غرة جعفر *** رأى القرن فازدادت طلاقته ضِعفا

لم يتمالك الحاكم جعفر نفسه فقام إليه مرحبا، وأوسع له في العطاء، وأنزله منزلا كريما بين الشعراء[1].

ومن الصعب ذكر شعراء الأندلس كلّهم وأشعارهم في هذا المجال، إلاّ أنّه يمكن القول إنّ الشعر الأندلسيّ لم يصل مرحلة أوجه وازدهاره إلاّ في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهو التاريخ الذي يوافق مرحلة الخلافة الأموية بالأندلس في الفترة (317هـ/929م)[2].

وإذا تحدّثنا عن مرحلة عصر الطوائف فرغم الفتنة والانقسام السياسي الذي شهده هذا العصر إلاّ أنّه يعدّ "نهضة للأدب وخاصة الشعر، حيث عرفت الأندلس فيه أكبر إشراق شعري"[3]، وتنافس الملوك عل جلب واستقطاب أكبر الشعراء إلى بلاطاتهم، فغدت منتديات أدبية وفكرية بامتياز، فصارت العامة تقول: "الشاعر الفلاني عند الملك الفلاني"[4].

وقد برز في عصر ملوك الطوائف ملوك شعراء اهتمّوا بالشعر ونظموه مثل المعتمد بن عباد الذي "كان ذا باع طويل في قرض الشعر فقد كان شديد الاهتمام بالأدب عظيم العناية به، بارعا في نظم الشعر، وقاده ذلك إلى تقريب الأدباء والشعراء، وبذل الصلات الجزيلة لهم، فاجتمع في بلاطه من الأدباء والشعراء ما لم يجتمع لدى غيره من ملوك عصره"[5]، وتنقسم أشعار المعتمد إلى قسمين حسب الأوضاع السياسية التي مرّ بها، قسم قاله في فترة عزه وقوّة سلطانه[6]، وقسم قاله في مرحلة

---

[1]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص 289 – 290.

[2]- غرسيه غومس: **الشعر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1969، ص 34.

[3]- محمد إبراهيم الفيومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الجيل، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، ص 152.

[4]- إحسان عباس: المرجع السابق، ص 123 – 124.

[5]- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 41 – 42.

[6]- للاطلاع على نماذج من هذا النوع ينظر إلى ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج1، ص 43 – 52.

ضعفه وزوال سلطانه، ففي محنته قال أصدق الأشعار عاطفة، معبّرة على الحزن الدفين والألم العميق بداخله[1]، وممّا قاله في أسره[2]:

غريب بأرض المغربين أســــير *** سيبكي عليه منبــــــر وسرير
وتندبـه البيض الصوارم والقــنا *** وينهل دمع بينهــــنّ غــــزير
إذا قيل في إغمات قد مات جوده *** فمــا يرتجى للجود بعد نشور
مضى زمـــن والملك مستأنس به *** وأصبح عنه اليــوم وهو نفور

وبرز الكثير من الشعراء في هذا العصر المميّز حقّا، ممّا يتعذّر ذكرهم وذكر جميل ما قالوه من الشعر في كلّ المجالات ولكنّني أحاول ذكر الأبرز والأهم فقط على سبيل المثال لا الحصر، ومنهم:

- **الشاعر أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون** (ت:463هـ/ 1070م) عاش في بلاط بني عباد، وبرزت مكانته في زمن أبي الوليد بن جهور، كان ابن زيدون فصيحا بليغا فطمع الملوك في استقدامه إلى بلاطهم، فاستقرّ به الحال في إشبيلية سنة (441هـ/1049م) حيث أعلى المعتضد بالله مكانته وقرّبه إليه مجلسا[3]، ولعلّ من أسباب شهرة ابن زيدون ارتباطه بولادة بنت الخليفة الأموي محمد بن عبد الرحمن المستكفي (ت:416هـ/1025م) الذي وصف بالخمول والتهتّك[4]، والتي قال فيها قصائده الرائعة، ويصف أحمد أمين شعره بقوله: "والحقّ إنّ شعره ينمّ عن سعة اطلاعه على أعمال من سبقه من الشعراء المشارقة والأندلسيين وأنّه أفاد من كلّ ذلك مع احتفاظه بشخصيته المميّزة في شعره وعنايته بإبراز ذاته في أعماله الشعريّة"[5].
- **الشاعر محمد بن أحمد بن عثمان القيسي** المعروف **بابن الحدّاد** (ت:480هـ/1087م) وهو من شعراء بني صمادح بالمرية وكان بارعا في فن العروض الذي ألّف فيه كتاب "المستنبط"[6]، الذي استفاد منه طلبة العلم في المرية وغيرها، ومن أبرز ما قاله ابن الحداد في الحكم[7]:

1- آنخل بالنثيا: **تاريخ الفكر الإسلامي**، ص 101.
2- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 75.
3- آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 336.
4- الحميدي: المصدر السابق، ص 26 - 27. الضبي: المصدر السابق، ص 33.
5- أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص 158 – 159.
6- ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص 399.
7- ابن بسام: المصدر السابق، ج2، ص 729. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص 399.

واصل أخاك وإن أتاك بمنكر *** فخلوص شيء قلّما يتمكّـــن

ولكلّ شيء آفة مــــوجودة *** إنّ الســـراج على سناه يدخّن

- **الشاعر عبد المجيد بن عبدون الفهري** (ت:527هـ/1133م) عاش في بلاط بني الأفطس في بطليوس "كان أديبا لغويا مؤرّخا وشاعرا فذّا سمت به آدابه وعلومه الواسعة في مدارج الشهرة حتى نال الكتابة والوزارة لدى المتوكل الأفطس"[1]، قال فيه الوزير أبو مروان عبد الملك بن زهر: "أديب الأندلس وإمامها وسيّدها في علم الآداب، أبو محمد عبد المجيد بن عبدون أيسر محفوظاته كتاب الأغاني وما حفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته"[2].

وعندما سقطت عروش ملوك الطوائف وزال سلطان بني الأفطس "فجع ابن عبدون بمصابهم وبكى مأساتهم ورثاهم بقصيدته الرائعة الشهيرة التي سارت بها الركبان وتناقلتها الألسن"، ويقول في مطلعها[3]:

الدهر يفجع بعد العين والأثر *** فما البكاء على الأشباح والصور

- **الشاعر عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني**[4] (ق: 5هـ/11م) شعره جيّد جزل ينمّ عن المقدرة الفائقة في قوله، وأحسنه ما كان في شبابه[5]، مدح يحي بن علي بن حمود أمير مالقة بقوله[6]:

البرق لائح من أنـــــــدرين *** ذرفت عيناك بالماء المعين

لعـــبت أسيـــــــافه عارية ***كمخاريق بأيدي لاعبين

ولصوت الرعد زجر وحنين *** ولقـــــــلبي زفرات وأنيـــن

- **الشاعر يحي الجزّار**(ت:606هـ/1209م) ذاع صيته في بلاط بني هود بسرقسطة، كان في أول عهده يبيع اللحم في دكّان له، إلاّ أنّ ميله للشعر أخذه عن قصّابته فراح يمدح ملوك بني هود فترة من الزمن، ثمّ ترك ذلك وعاد إلى مهنته، فعاب عليه ابن هود عودته للقصابة، وطلب من وزيره ابن حسداي توبيخه ببيت من الشعر قال فيه[7]:

---

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص 131.

[2]- المصدر نفسه: ص 135.

[3]- المراكشي: المصدر السابق، ص 112.

[4]- **أشبونة**: مدينة غرب الأندلس تدعى الآن لشبونة عاصمة البرتغال حاليا. الحميري: الروض، ص 61

[5]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 369.

[6]- ابن بسام: **الذخيرة**: ج2، ص 786 – 794. الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص 279.

[7]- ابن بسام: المصدر السابق، ج2، ص 905.

تركت الشعر من ضعف الإصابة *** وعدت إلى الدناءة والقصابة

فأجابه الجزّار بقصيدة منها قوله:

تعيب على مألوف القصابـــة *** ومن لم يـــدر قدر الشيء عابــه

كما ساهمت المرأة الأندلسية في الحركة الشعرية، وقد برزت **ولادة بنت المستكفي** (ت:484هـ/1091م)، والتي ذكرها المقري بقوله: "كانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة"[1]، احتلّت الريادة من بين الشاعرات في بلاد الأندلس قال عنها ابن بشكوال: "أديبة، شاعرة، جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تخالط الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء"[2]، وممّا قالته في شعر الغزل[3]:

أنا والله أصـــلح للمـــعالي *** وأمـــشي مشيتي وأتيه تيها

وأمكّن عاشقي من صحن خدّي *** وأعــطي قبلتي من يشتهيها

وعرفت بلاد الأندلس الكثير من الشاعرات مثل **مهجة بنت التياني القرطبية** (ت:490هـ/1097م)[4]، **ونزهون بنت القلاعي الغرناطية** التي جذبت إليها الوزير أبا بكر بن سعيد ولكثرة المعجبين بها عبّر لها الوزير عن غيرته ببيتين من الشعر قال فيهما[5]:

يا من له ألف خِلّ *** من عاشق وحبيب

أراك خليت للناس *** منـــزلا في الطريق

فأجابته نزهون ببيتين مماثلين قائلة:

حللـــت أبا بكر محلاّ منعته *** سواك وهل غير الحبيب له صدري

وإن كان لي كم من حبيب فإنّما *** يقدم أهل الحقّ حبّ أبا بكـــر

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 205.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 523.

[3]- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى): **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1955، ج2، ص203.

[4]- كان والدها يبيع التين فنسبت إلى مهنته، لازمت ولادة، قيل أنها من أجمل نساء زمانها. المقري: المصدر السابق، ج4، ص293. ابن سعيد المصدر السابق، ج1، ص 143.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج4، ص295.

يكفي شعراء الأندلس فخرا أن شهد لهم كبار شعراء المشرق بالمهارة والجودة، كما فعل المتنبي مع شعر ابن عبد ربّه إذ ذكر بأنّه ماهر في قول الشعر وجودة ما يقول منه، ونال تلك المنزلة يوسف بن هارون الذي صنّف في خانة المتنبي عندما ذكر أنّ الشعر فتح بكندة وختم بكندة[1]، وتلك لعمري مكانة لا يتشرّف بها إلا الكبار من الشعراء الذين نالت الأندلس شرف احتضانهم.

2- النحو وعلوم اللغة:

اهتمّ الأندلسيون بدراسة النحو واللغة لارتباطهما بعلوم كثيرة كعلوم الدين، وخاصة تفسير القرآن الكريم، لذا حرصوا على استقامة ألفاظهم، وصحّة كلامهم، وقد ذكر أنّ "كلّ عالم في أيّ علم لا يكون متمكّنا من علم النّحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحقّ للتمييز ولا سالم من الازدراء"[2]، لذلك عكف الأندلسيون على دراسة كتاب **الكسائي** (ت:188هـ/804م)، وكتاب **سيبويه** (ت:177هـ/793م) وهما مرجعان في علم النحو[3].

وبرز في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، ببلاد الأندلس ثلّة من العلماء المهتمّين بالنحو من أمثال العلاّمة **مفرج بن مالك** الذي درس كتاب الكسائي وشرحه، وكذلك برز معاصره **أبو بكر بن خاطب النحوي** الذي ألّف كتابا قيّما في النحو قوبل بالاستحسان في زمانه، وكان يتمثّل دور النحويين في تعليم قواعد اللغة، والنطق بها نطقا سليما، فكان اهتمام الخلفاء بهذه الفئة من العلماء جليّا بغرض تنشئة الأمراء وتعليمهم، ونجد ذلك مبسّطا مشروحا في كتب التراجم عن النحويين واللّغويين.[4]

وفي عصر الخلافة برز ثلّة من النحويين الذي ذاع صيتهم في كلّ الأندلس علما وتدريسا، بل منهم من ذاع صيته في الشرق الإسلامي وأذكر من بينهم:

[1]- سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس**، ص249.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص221.

[3]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص251.

[4]- المرجع نفسه: ص 252.



- **أبو علي القالي** (ت:356هـ/966م) الذي دخل الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن النّاصر، وأدخل معه كتاب سيبويه في النحو، واعتمد في دراسته على منهج أهل البصرة[1]، وكان له تصنيف في المقصور والممدود نال به احترام علماء اللغة والنحو، قيل عنه: "لم يؤلّف مثله في بابه"[2]
- **محمّد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية** (ت:367هـ/977م) من أهل قرطبة، يعدّ مرجعا في اللغة العربية وله تآليف كثيرة مثل: كتاب تصاريف الأفعال، وكتاب المقصور والممدود، كان يزدحم الطلبة على مجلسه في مسجد قرطبة، ومن بين طلبته ابن الفرضي الذي تردّد على مجلسه العلمي وسمع منه كتاب الكامل للمبرّد[3].
- **محمّد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي** (ت: 379هـ/989م) كان غزير العلم متبحّرا في علم النحو، فنال بذلك جاها ورياسة، وقرّب من بلاط الخلافة[4]، صحب أبا علي القالي وأخذ عنه علم اللغة والأدب، ولقي من الخليفة الحكم المستنصر كلّ تكريم وتشجيع، وعيّنه في مناصب مرموقة في الدولة، رغم استمراره في التدريس وعدم انقطاعه عنها[5]، من أهم مؤلّفاته: كتاب "الواضح"، وكتاب اختصر فيه كتاب "العين" للفراهيدي البصري، وله كتاب "لحن العامة"[6]، ويعدّ كتابه "طبقات النحويين" من أنفس ما ألّف إذ ضمّنه أشهر النحاة في المشرق وبلاد الأندلس منذ عهد **أبي الأسود الدؤلي** (ت:69هـ/688م) إلى زمان شيخه في النحو **أبوعبد الله الرباحي** (ت:358هـ/968م)[7].

كذلك برز في عصر ملوك الطوائف عدد كبير من اللغويين الذين اشتهرت بهم الدروس، وانتشرت مؤلّفاتهم حتى بلغت كلّ بقاع الدنيا ومن بين أولئك اللغويين اللاّمعين:

- **تمام بن غالب المعروف بأبي التباني** (ت:436هـ/1044م) برع في علوم اللغة، انتقل من قرطبة إلى مرسية حيث تفرّغ للتدريس وبها نشر علمه، صنّف كتابا في اللغة، ولما اطلع عليه حاكم دانية

---

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص252.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 171، (نقلا عن **رسالة ابن حزم في فضل الأندلس**).

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 76 – 77. الحميدي: المصدر السابق، ص 26.

[4]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 256.

[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص89. ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 372 – 373.

[6]- الحميدي: المصدر السابق، ص46. المراكشي: المصدر السابق، ص 62 – 63.

[7]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 257.



مجاهد العامري أعجب به، فبعث إليه ألف دينار وكسوة مقابل أن يذكر في مقدّمته أنّه صنّفه باسمه، إلاّ أنّ ابن التباني رفض العرض وقال: "كتاب صنّفته لله ولطلبة العلم لا أصرفه إلى اسم ملك وحلف...وردّ هديّة مجاهد، فأثنى عليه العلماء"[1].

- **أبو المحسن علي بن إسماعيل بن سيّدة الأعمى** (ت:458هـ/1065م) لم يعلم بالأندلس أشدّ منه اهتماما باللغة، يعدّ من مفاخر مدينة مرسية مسقط رأسه[2]، ويعدّ أعلم أهل الأندلس باللغة والنحو، وأحفظهم لها عن ظهر قلب [3]، له مؤلّفات عديدة نذكر منها: كتاب "المحكم" في ثلاثين مجلّدا ليس في كتب اللغة أحسن منه[4]، وكتاب "المحيط الأعظم"، وكتاب "الأنيق في شرح الحماسة"، وكتاب "شرح مشكل شعر المتنبي"، تناول فيه شرح الألفاظ المستعصية التي تضمّنها شعر أبي الطيّب المتنبي[5]، ذاع صيته وتخطّت شهرته بلاد الأندلس إذ ذكر بين علماء المشرق بخير، روى السلفي بقوله: سمعت أبا عبد الله محمد بن الحسن بن زرارة اللغوي يقول: "كان بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد، ولم يكن لهما ثالث، وهما ضريران، فالمشرقيّ أبو العلاء التنوحي المصري والمغربي ابن سيّدة الأندلسي، وابن سيّدة أعلم من المشرقي"[6].
- **أبو الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالأعلم** (ت:476هـ/1083م) من شنتمرية[7]، كان عالما باللغة رحل نحو قرطبة سنة (433هـ/1041م) لطلب العلم فتتلمذ على الإفليلي، وصف بسعة علمه في اللغة العربية وأدابها، لذلك توجّه للتدريس فكان "قطبا علميا عظيما لتوافد طلبة العلم عليه من كل صوب وحدب للتزوّد بالعلم والمعرفة"[8]، أثرى المكتبة بعديد المصنّفات منها "شرح الدواوين الستة" لكبار الشعراء العرب (امرؤ القيس، النابغة الذبياني، علقمة الفحل، زهير بن أبي سلمة، طرفة بن العبد، وعنترة بن شداد)، كتاب "النكت في كتاب سيبويه"، كتاب "عيون

[1]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 172.

[2]- الضبي: المصدر السابق، ص 366. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 334. البشري: المرجع السابق، ص 259.

[3]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 102.

[4]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 258.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 173. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 260.

[6]- خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص 179.

[7]- **شنتمرية**: مدينة غرب الأندلس، جنوب البرتغال، معروفة بكثرة العنب والتين، تقع في مملكة بني عبّاد. الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص347.

[8]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 524. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 440 – 441.

الذهب في شرح أبيات كتاب سيبويه"، كتاب "المخترع في النحو"...وغيرها من المصنّفات النفيسة التي قلّ ما يجود الزمان بمثلها[1].

يمكننا القول أنّ للأندلسيين دورا بارزا في الاهتمام بعلوم النحو واللغة من خلال العلماء المختصّين وما ألّفوه من كتب ومصنّفات بين عصري الخلافة وملوك الطوائف، مع بروز أسماء بارزة فضلا على التي تمّ ذكرها ولم يسعنا الظرف لنقلها جميعا، بل اكتفينا بالنماذج اللامعة منها، وعموما كانت للأندلسيين بصمة واضحة في علم اللغة، يشهد لهم بذلك العناوين النفيسة والهائلة التي تحفل بها المكتبة الإسلامية.

ثالثاً– العلوم الإنسانية:

1- التاريخ:

اهتمّ الأندلسيون بالتاريخ خاصة في عهد الخلافة التي عرفت فيها البلاد تطوّرا مشهودا حضاريّا وعلميّا، وهو الأمر الذي دفعهم إلى تخليد مآثرهم وإنجازاتهم بدء بكتب التراجم التي أرّخت للعلماء الذين يصعب عدّهم وذكرهم، وأحاول ذكر بعض المؤرّخين في عصر الخلافة من بينهم:

- **محمّد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية** (ت: 367هـ/977م) كان بارعا في علم التاريخ "حافظا لأخبار الأندلس، ملمّا برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها، يملي ذلك عن ظهر قلب"[2]، وألّف كتابا أسماه تاريخ افتتاح الأندلس يبدو فيه تأثير انتمائه القوطيّ لأمّه جليّا، أثّر ذلك الانتماء على نظرته الواقعيّة للأحداث بين المسلمين والقوط[3]، رغم ذلك تبقى للكتاب قيمته التاريخيّة التي أرّخت للأندلس منذ دخول الفاتحين إلى غاية عصر الخلافة وتحديدا مرحلة الخليفة عبد الرحمن النّاصر، كما يتميّز الكتاب بالإسهاب والتفصيل في شرح بعض الأحداث والوقائع التي لم يكن يعرفها العرب قبل فتحهم الأندلس[4].
- **أحمد بن محمّد بن موسى الرّازي الكتّاني** (274-344هـ/887-955م) ورث عن أبيه البراعة في علم التاريخ، وصف بسعة علمه، وحفظ وقائع التاريخ الأندلسي، وله معرفة واسعة بسير ملوك

[1]- صلاح الدين وانس: المرجع السابق، ص 118.

[2]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 76 – 77.

[3]- أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص 275.

[4]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 203. لطفي عبد البديع: المرجع السابق، ص 69 – 70.

الأندلس وأعيانها[1]، وله كتب في التاريخ منها: أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم، وكتاب صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها، كما ذكر أنّ له كتابا آخر عن أنساب مشاهير أهل الأندلس وهو في خمسة مجلّدات له قيمة علمية كبيرة[2].

- **عبد الله بن محمّد الأزدي المعروف بابن الفرضي** (ت: 403هـ/1012م) صنّف العديد من الكتب منها كتابه القيّم تاريخ علماء الأندلس وهو من أهم المصادر التاريخيّة إلى غاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فهو من أكثر الكتب انتشارا بين الباحثين المهتمين بتاريخ الأندلس، ولأهميّة الكتاب التاريخيّة ذيّل عليه **ابن بشكوال** (494-578هـ/ 1100-1182م) بكتابه الصلة.[3]
- **محمّد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني** (ت: 371هـ/981م) وهو من الوافدين على الأندلس، له إنتاج وفير وجهود قيّمة في التاريخ والتراجم، دخل الأندلس سنة (312هـ/924م) أخذ العلم عن علماء قرطبة، ولسعة علمه قرّبه الخليفة الحكم المستنصر منه، ورفع مكانته بين العلماء[4]، ترك الكثير من المصنّفات منها: قضاة قرطبة، الذي أثنى في مقدّمته على الأمير الحكم الذي شجّعه في إصدار الكتاب[5]، وله كتب أخرى منها كتاب تاريخ الأندلس، وكتاب النّسب[6]، كما خلّف مخطوطا بعنوان تاريخ علماء الأندلس وهو عبارة عن معجم تراجم لأعلام الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي يحتوي مائة واثنين وثمانين ورقة مكتوبة.[7]
- **حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي** (377-469هـ/ 987-1079م) ولد في فترة حكم المنصور بن أبي عامر، ونظرا لمكانته العلميّة ومعرفته بالتاريخ والأدب تولى عدة مناصب إدارية وأدبية كمنصب صاحب الشرطة في مدينة قرطبة، وكذلك ضُمّ إلى ديوان الإنشاء[8]، من أهمّ ما ألّف في التاريخ كتابه المقتبس الذي يقع في عشرة أجزاء والذي لا يستغنى عنه في البحث

---

[1]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 42.
[2]- الحميدي: المصدر السابق، ص 104. أحمد هيكل: المرجع السابق، ص 191.
[3]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 270.
[4]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص113. أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 267 – 268.
[5]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 268.
[6]- الذهبي: المصدر السابق، ج3، ص 1002.
[7]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 270.
[8]- أحمد هيكل: المرجع السابق، ص 364 – 365. أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 208.

التاريخي، فضلا على كتابه المتين في تاريخ الأندلس الذي يقع في ستين مجلّدا[1]،لابن حيان أسلوب رفيع في سياقة التاريخ حتى قيل عنه: "يسوق التاريخ مساق من يبدي رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا، ويبحث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء"[2].

وفي عصر ملوك الطوائف نشطت حركة التأليف بسبب الأحداث التي ألمت بالبلاد، فظهر من يؤرّخ لتلك المرحلة الهامّة من تاريخ الأندلس، بل وكثرت كتابة التراجم للعلماء والأدباء وتدوين أعمالهم، ويمكن ذكر بعض المؤرّخين الذين برزوا في عصر الطوائف ومنهم:

- **ابن حيان القرطبي**[3] (ت:469هـ/1079م) خير من أنجبته الأندلس، وأكبر مؤرّخيها ويظهر ذلك من خلال ما ألّفه من كتب نفيسة، وأهمّها كتابه "المقتبس من أنباء أهل الأندلس" والذي أرّخ لبلاد الأندلس من الفتح إلى نهاية خلافة الحكم المستنصر تقريبا، أي الفترة الممتدة من (93هـ إلى 366هـ)، وقد ذكره ابن حزم وأشاد بكتابه في قوله: "ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس تأليف ابن مروان بن حيان الذي جاء بعشرة أسفار، أجلّ كتاب ألّف في هذا المعنى"[4]، وله أيضا كتاب "المتين" في تاريخ الأندلس، في ستين جزءا وعرف بالتاريخ الكبير، أرّخ فيه لفترة بني مروان كلّها، فكان حصيلة متابعة، وحصاد معايشة، سجّل فيه كلّ شؤون الأندلس، مع ترجمة وافية للمعاصرين له من العلماء والحكماء والأدباء، وقد رصّع الكاتب مؤلّفه بمقطوعات من النثر الرفيع وقصائد الشعر البديع[5]، ولابن حيان كتاب "أخبار الدولة العامرية"[6]، وممّا يلفت الانتباه هو اهتمام ابن حيان بتاريخ الأندلس دون غيره من تاريخ العالم الإسلامي، فكانت كتاباته مميزة قريبة من الصدق، بعيدة عن التملّق فكان "ثاقب النظر عميق الفكر مبديا لرأيه فيما يعرضه من القضايا من غير تحامل أو هوى فقد كان دقيقا في نقده"[7].

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص49 - ص 181.

[2]- أنخل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 211.

[3]- **حيان بن خلف بن حسين بن حيان كنيته أبو مروان** ولد (377هـ/987م) من أهل قرطبة، من كبار المؤرخين الذين أنجبتهم الأندلس، من أعلام دولة بني جهور، نشأ نشأة علمية بفضل جهود والده خلف بن حسين القرطبي (ت:427هـ) الذي كان معلّمه الأول. ابن بشكوال: **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، ص 138.

[4]- ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، ج1، ص 184.

[5]- سهى بعيون: المرجع السابق، ص327.

[6]- صلاح الدين وانس: المرجع السابق، ص168.

[7]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص139. ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص117.

- **ابن حزم الأندلسي** (ت:456هـ/1064م) الذي أسهم بشكل كبير في الكتابات التاريخيّة ومن بين أبرز مؤلّفاته كتاب "جمهرة أنساب العرب"، الذي وصف بأنّه أوسع كتب الأنساب وأشملها مع الإيجاز[1]، وله كتاب "نقط العروس" الذي يشمل معلومات عن خلفاء المشرق والأندلس، مرتبة فصولا حسب نقاط تجمع بينهم مثل "الخلفاء الأكثر عمرا، والخلفاء الذين تولّوا الخلافة صبيانا"، وله كتاب "جوامع السيرة" في سيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، يضمّ الكتاب كلّ ما يتصل بسيرته من مبعثه إلى تاريخ وفاته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام[2].
- **ابن الفيّاض**[3](ت:459هـ/1066م) الذي ألّف كتاب "العبر"، لم يبق من الكتاب سوى قطعة صغيرة مخطوطة، ونصوص متفرّقة، يعتمد ابن الفياض على تقصي الأحداث التاريخية والاستماع إلى الروايات، وحرصه على الإسناد، فحين يؤرّخ لأحداث معاصرة له يعتمد على ملاحظاته الخاصّة أو يقول: "أخبرني أحد إخواني"[4].
- **القاضي صاعد الطليطلي**[5] (ت:462هـ/1070م) "اشتهر وذاع صيته من خلال كتابه طبقات الأمم الذي يعدّ من أنفس كتب التاريخ حيث استطاع أن يجمع فيه ألوانا من تراث الفكر العالمي مع صغر حجمه، مشيرا إلى حياة العديد من الأمم وطبائعها وسماتها وجهودها في رقي العلوم القديمة، فتحدّث عن الفرس والكلدانيين، واليونان، والروم، والسريان، والقبط، والهنود، والصينيين، والعرب في جاهليتهم، ثمّ في الإسلام حتى يخلص إلى أهل الأندلس"[6]، وله مؤلّفات عديدة نذكر منها كتاب "جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم"، "مقالات أهل النّحل والملل"،"تاريخ الأندلس"، و"تاريخ الإسلام"[7].

---

[1]- صلاح الدين وانس: المرجع السابق، ص169.

[2]- أنخل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص220.

[3]- **ابن فياض**: ولد في أسجه سنة (375هـ/989م) عاش حياته في ألمرية، يعدّ ابن بشكوال الوحيد الذي تحدّث عنه بشكل مقتضب. ابن بشكوال: **الصلة**، ج1، ص66.

[4]- عبد الواحد ذنون طه: **نشأة التدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1988، ص52.

[5]- **أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي الثغلبي**، من طيلطلة، أصله من قرطبة، ولد في المرية سنة (420هـ/1029م)، تولى القضاء في زمن المأمون. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص200. شكيب أرسلان: **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، المطبعة الرحمانية، ط1، فاس، 1355هـ/1936م، ج2، ص11.

[6]- سهى بعيون: المرجع السابق، ص322.

[7]- خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج3، ص186.

- **المؤرخ الأديب الحميدي**[1] (ت:488هـ/1095م) "ظاهري المذهب من صحبته لابن حزم ولأنّه كان أحد تلامذته، ولزمه وقرأ عليه مصنّفاته كلّها...كان مثال العالم الذي ينقطع عن العالَم ليتفرّغ للعلم"[2]، من أشهر ما كتب الحميدي كتابه "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" لخص فيه كتاب المقتبس لابن حيان، وكتاب "الذهب المسبوك في وعظ الملوك"، وكتاب "نوادر الأطباء"، وكتاب "بلغة المستعجل" سمّاه "ياقوت تاريخ الإسلام"[3]، وغيرها من العناوين التاريخيّة والأدبية التي خلّفها.

حظي التاريخ باهتمام الأندلسيين، إذ قدّموا الكثير من الجهود العلميّة فأثروا بذلك مجال الدراسات التاريخيّة وأضافوا في التراجم والأنساب، ويكفيهم مكانة أن صار ابن حيان يضاهي في كتاباته المؤرّخين الكبار في المشرق كابن الأثير وأبي الحسن علي المسعودي، ومما يجب الإشادة به أنّ كتابة التاريخ في الأندلس كانت أكثر دقّة من غيرها متأثرة بعلم الحديث وذلك مرجعه إلى "السّمة الغالبة على المؤرّخين، حيث نجد أنّ أغلبهم فقهاء ومحدّثين"[4].

2-الجغرافيا:

ارتبط علم الجغرافيا بالتاريخ مباشرة، وعرفت بلاد الأندلس في المرحلة المدروسة كثيرا من المؤرخين الذين اهتمّوا بالدراسات الجغرافية رغم أنّ آثارهم العلمية جاءت متناثرة ومتفرّقة في بعض المصادر التي اعتمدها مؤلّفوها[5]، وهنا يجدر بنا ذكر بعض الجغرافيين من أمثال:

- **أحمد بن محمّد الرازي** (274-344هـ/887-955م) الذي ألّف كتبا عديدة ومن بينها كتابه القيّم مسالك الأندلس ومراسيها وأمّهات مدنها[6]، تميّز الكتاب بالدّقة في أوصافه الجغرافية فذكر خواص كلّ بلد منها وما يتميّز به عن البلدان الأخرى، وفي ذلك معلومات قيّمة لا توجد في مصنّفات غيره من الجغرافيين[7]،ومن أهم المصادر التي حفظت لنا نصوص الرازي الجغرافية كتاب

---

[1]- **أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي**، أصله من قرطبة ولد سنة (420هـ/1029م)، أقام ببغداد وتوفي بها. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص438. الضبي: المصدر السابق، ص106.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص438. أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص279.

[3]- خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج6، ص327 – 328. أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص279.

[4]- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 334.

[5]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص287.

[6]- المقري: المصدر السابق، ج 1، ص 237. سعد عبد الله البشري: نفسه، ص 287.

[7]- الحميدي: المصدر السابق، ص 104.

نفح الطيب للمقري، إذ اعتمد كثيرا على نصوص الرازي في وصف جغرافية الأندلس، موقعها، خصوبة تربتها، وصفاء هوائها، وتأثير المناخ في إنتاجها النباتي...وما إلى ذلك من الصفات الطبيعيّة[1].

حظي الرازي بمكانة هامة بين علماء عصره، فأثنى عليه من جاء بعده واستفاد من نصوصه حتى ذكر أنّه أول من أدخل الجغرافية الإقليميّة إلى بلاد الأندلس[2]، ومما نقله المقري في وصف ابن حزم لكتاب الرازي في جغرافية الأندلس أنّه بديع في ميدانه، وأنّه اشتمل على الكثير من المعلومات التي تفرّد بها عن غيره من كتب الجغرافية الأندلسية[3].

- **محمّد بن يوسف الورّاق** (ت: 362هـ/973م) وهو ممّن عاصر الرّازي، أبدى اهتمامه بالكتابات التاريخيّة، كما لم يهمل الكتابة في الجغرافيا، لقي عناية وتشجيعا من الخليفة الحكم المستنصر، الذي صنّف له كتاب مسالك إفريقية وممالكها[4]، وكان لنشأة الورّاق بالقيروان دور في توسيع معارفه حول تاريخ إفريقية وجغرافيتها، إذ كان خبيرا بمسالكها وممالكها، ولعلّ اهتمام الحكم المستنصر بالورّاق مبعثه القلق والحيرة من وجود الفاطميين في بلاد المغرب فلذلك كان حريصا على معرفة المنطقة جيّدا تحسّبا لأي خطر داهم منهم[5]، وإن كنت أرى الأمر مستبعدا لوجهين أولهما الاستقرار الذي عرفته مرحلة الحكم، وثانيهما أن الحكم كان محبّا للعلم مهتمّا بالعلماء ومشجّعا لهم، فمبعث التأليف لا يكون من لاستغلال الظروف وإنّما لتشجيع البحث وتطوير الكتابة ومجالاتها.
- **أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي**[6](393- 478هـ/1002-1085م) وممّن ذكره وأثنى عليه **محمّد البكري الأندلسي** (ت:487هـ/1094م) في كتاب "المسالك والممالك"، وكذلك ذكره الجغرافي المشرقي **زكرياء بن محمّد القزويني** (599- 681هـ/1203-

[1]- المقري: المصدر السابق، ج 1، ص 129 – 130 – 131.

[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 290.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 160 (نقلاً عن **ابن حزم في رسالة فضل الأندلس**).

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص97. ابن الآبار: المصدر السابق، ج 2، ص 671.

[5]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 292.

[6]- نسبة إلى دلاية وهي قرية من أعمال المرية. الحميدي: المصدر السابق، ص 77.

1283م) في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد"[1]، رغم أنّ الذين ترجموا له خاصة الحميدي والضبي وابن بشكوال، لم يذكروه كجغرافي وإنّما "كعالم حديث، وهناك من لم يذكره أصلا من بين الجغرافيين كابن حزم، وربّما اعتبره محدّثا بسيطا، لا يصنّف من الذين ساهموا في إثراء الحركة العلمية بالأندلس"[2].

- **أحمد بن سعيد بن أبي الفياض** (375-458هـ/985-1065م)كان تلميذا لأبي عمر الطلمنكي، ألّف في الجغرافيا كتابا سمّاه "العبر"، كما ألّف كتاب "الطرق والأنهار"، وهو من الكتب التي ضاعت وفقد أثرها[3].
- **عبد الله بن عبد العزيز البكري** (ت:487هـ/1094م) سكن قرطبة وتعلّم بها، تميّز بتنوّع علومه ويمتاز "بالدّقة والأمانة لذا كان يلقّب بالمحقّق، لأنّه كان لا يدوّن شيئا إلاّ بعد الاستقصاء والتوثيق من صحّته"[4]، من مؤلّفاته في الجغرافيا كتابه "المسالك والممالك" الذي استنبط العديد عن العذري[5]، وله كتاب "معجم ما استعجم" وهو " معجم جغرافي للأماكن التي ورد ذكرها في أشعار العرب"[6]، وفي الحقيقة أنّ البكري لم يكن رحّالة مثل غيره من الجغرافيين، لذا اتهم بتقليد المؤرّخين القدماء حيث أورد أخبارا هي أقرب للقصص والخرافات منها إلى الحقائق التاريخية وهو ما ذهب إليه عبد الرحمن بن خلدون في استعراضه لأوهام المؤرّخين"[7].

شهد مجال التأليف في الجغرافية اهتماما لا يقلّ مرتبة عن كتب التاريخ، ساهم ذلك في تنويع مجال المؤلّفات، وتوسيع دائرة المعارف الجغرافيّة، وفتح بذلك المجال واسعا أمام التعرّف على الأندلس من خلال كتابات الجغرافيين.

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 294.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 163 – 173.

[3]- أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 212.

[4]- علي بن عبد الله الدفاع: **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة التوبة، السعودية، ص 138.

[5]- محمد الأمين بلغيث: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، مج1، ص 391.

[6]- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص232.

[7]- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، مج1، ص391.

3 ـ الفلسفة:

بدأ اهتمام أهل الأندلس بالفلسفة مع الفتح الإسلامي، تحديدا مع توطيد حكم بني أميّة بها، حيث انصرف النّاس إلى طلب العلوم ومن بينها الفلسفة[1]، ويبدو أنّ الفلسفة لم تنشر بسرعة لعوامل عديدة منها اهتمام الأندلسيين بالعلوم الدينيّة واللغويّة كأساس في منهجهم التعليمي، وكذلك لأنّهم كانوا ينظرون إلى الفلسفة نظرة دونيّة، بل رأوها "علما ممقوتا بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه"[2].

ومن بين الأسباب كذلك تشبث الفقهاء المالكيّة بأحكام الشريعة والتزامهم بها دفعهم إلى رفض كلّ ما من شأنه الخروج عن الشريعة أو نشر الفتنة بين النّاس[3]، لذلك كانت الفلسفة ممقوتة في نظر أهل الأندلس "فإنّه كلّما قيل: فلان يقرأ الفلسفة أطلقت عليه العامة اسم الزنديق...وقيّدت عليه أنفاسه، فإن زلّ في شبهة رجموه بالحجارة أو أحرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرّبا لقلوب العامّة، وكثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إن وجدت"[4].

كان للرحلات العلمية نحو المشرق أثرها وتأثيرها في اقتباس الأندلسيين للأفكار الفلسفيّة إذ نجد عمرو بن أحمد الكرماني وهو من العلماء الذين عاصروا الخلافة وعصر الطوائف قد تلقّى الطب

1- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 83 – 84.

2- المقري: المصدر السابق، ج3، ص186، نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس.

3- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 307 – 308.

4- المقري: المصدر السابق، ج1، ص221. أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص234.

والفلسفة على علماء المشرق، وعاد إلى الأندلس ومعه رسائل إخوان الصفا[1]، ونسب إليه أنّه أوّل من أدخلها إلى الأندلس[2].

وأول من نسب إليه الاشتغال بالفلسفة **محمّد بن عبد الله بن مسرّة القرطبي** (269 ـ 319هـ/882 ــ931م) وكان يحمل آراء فلسفية، ويتبنى طريقته الخاصة في نقل أفكاره وأقواله بين تلاميذه[3] الأمر الذي جلب عليه نقمة العامة وسخط الفقهاء فاتهم بالزندقة والخروج على الدّين، فخرج من الأندلس متسلّلا نحو المشرق، هناك التقى أهل الكلام وأصحاب الجدل من المعتزلة وغيرهم، ثمّ رجع إلى الأندلس في ثوب المتنسّك الزّاهد، فأقبل عليه النّاس ليأخذوا عنه العلم فتبيّن مذهبه فانقبض عنه البعض، وذهب البعض الآخر في الأخذ عنه[4].

وممّا عرف عن الأندلسيين اهتمامهم بالفلسفة ما وافق منها الشرع كالحث عن محاسن الأخلاق وجميل الآداب، أمّا ما يتعارض مع العقيدة فكانوا يرفضونه ويشهّرون بصاحبه، وينعتونه بالزندقة[5]، وممّا يذكره القاضي صاعد من أمثلة المتّزنين المعتدلين من الفلسفة **أبا عثمان سعيد بن محمّد بن البغونش** (ت:444هـ/1052م) يقول عنه: "لقيت منه رجلا عاقلا جميل الذكر والمذهب، حسن السيرة نظيف الثياب، ذا كتب جليلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة، وتبيّنت منه أنّه قد قرأ الهندسة وفهمها والمنطق ضبط كثيرا منه، ثمّ أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها"[6].

[1]- **إخوان الصفا وخلان الوفاء**: ثلة من الفلاسفة الأجلاء ظهرت في البصرة خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلاد تألّفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة، تبنوا مذهبا زعموا أنّهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله سبحانه وتعالى، والمصير إلى الجنّة، ، عرّفوا العلم بأنّه "صورة المعلوم في نفس العالم وضده الجهل"، بينما التعليم والتعلّم حسب رأيهم "ليس سوى إخراج ما في القوة، يعني الإمكان إلى الفعل يعني الوجود، فإذا نسب ذلك إلى العالم سمي تعليما، وإن نسب إلى المتعلّم سمي تعلّما"،. أبو حيا التوحيدي(علي بن محمّد بن عباس): **الامتناع والمؤانسة**، تح: غريد الشيخ محمّد وإيمان الشيخ محمّد، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ص 135 ــ 136. إخوان الصفاء وخلان الوفاء: **رسائل إخوان الصفا**، تح: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، 1957، ص 307 ـ 399. حدة سعيد: **التربية والتعليم في فكر إخوان الصفاء من خلال رسائلهم**، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة الجلفة، العدد:09، ج2، مارس2018، ص 168-175.

[2]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص97. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 484 ــ 485.

[3]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 310.

[4]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص39.

[5]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص312.

[6]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 109 ــ 110.

وعندما تولى الحاجب المنصور أبي عامر الأمر في عهد خلافة هشام "عمد أوّل تغلّبه عليه إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب...وأبرز ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من أهل العلم والدّين وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلّفة في علوم المنطق وعلوم النّجوم، وغير ذلك من علوم الأوائل حاشا كتب الطب والحساب، فلمّا تميّزت من سائر الكتب المؤلّفة في اللغة والنحو أمر بإحراقها وإفسادها، فأحرق بعضها وأمر طرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها بالتراب والحجارة، وغيّرت بضروب من التغيير، وجعل ذلك تحبّبا إلى علماء الأندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم"[1].

وفضلا على رغبة المنصور في التقرّب إلى الفقهاء بهذا العمل فإنّه كان أيضا "أشدّ النّاس معاداة لمن علم أنّ لديه شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد وممارسة علم التنجيم والاستخفاف بشيء من الشريعة الإسلاميّة"[2]، ولهذا السبب تراجع دور الفلسفة في عهده وقلّ التأليف فيها، واشتغل أصحابها بعلوم أخرى كالطب والرياضيات، ولم يستأنفوا نشاطهم إلاّ بعد زوال الخلافة الأمويّة[3]، ومنهم من هاجر خارج الأندلس متخذا من المشرق موطنا ومستقرّا له كما فعل عبد الرحمن بن إسماعيل الإقليدي (كان حيّا أواخر القرن الرابع الهجري)[4].

أما في آخر عهد الخلافة وبداية عصر الطوائف، برز دور ابن حزم في الفلسفة على غرار دوره في العلوم الأخرى، وقد ظهرت بعض مواقفه في كتابه "الفصل في الملل والنّحل" والذي عرّف فيه الفلسفة بقوله: "الفلسفة في الحقيقة إنّما معناها وثمرتها والغرض المقصود بتعلّمها ليس هو شيئا غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد، وحسن السياسة للمنزل والرعيّة وهذا نفسه لا غير هو غرض الشريعة"[5].

1- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 88 – 89.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص293.

3- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص88 – 89.

4- المصدر نفسه: ص91.

5- ابن حزم (محمد علي بن أحمد): **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط2، بيروت، 1996، ج1، ص94.

ومن الذين برزوا في هذا الفن **عمر بن عبد الرحمن بن أحمد علي الكرماني القرطبي** (ت:458هـ/1065م) والذي سبق ذكره تعامل بالفلسفة "وجلب معه من رحلته من المشرق رسائل إخوان الصفا، وهو أول من أدخلها إلى الأندلس"[1]، كما ظهر **أبو الفتوح ثابت بن محمد بن الجرياني العدوي** (ت:431هـ/1039م) الذي "برع في الفلسفة والمنطق والفلك"[2]، ومن مملكة طليطلة برز الفيلسوف **سعيد بن محمّد بن البغوش** (ت:444هـ/1052م) الذي نبغ في الفلسفة إلى أن وصفه صديقه صاعد بقوله: "لقيت منه رجلا عاقلا جميل الذكر والمذهب، حسن السيرة، نظيف الثياب، ذا كتب جليلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة، وتبيّنت منه أنّه درس الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيرا منه، ثمّ أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها"[3]، وبرز في إشبيلية **عمر بن أحمد بن تقي بن عبد الله أبو مسلم بن خلدون الحضرمي الإشبيلي** (ت:449هـ/1057م) من حكماء الأندلس "وصف بالمعرفة الواسعة بالفلسفة...من تلاميذ المجريطي، كان منهجه منهج الفلاسفة في السلوك، والنظرة العميقة في التفكير والتأمّل، وهو غير عبد الرحمن بن خلدون المؤرّخ"[4].

نشاط الفلسفة لم يكن متاح المجال كبقيّة العلوم الأخرى، بل كان مقيّدا إلاّ ما وافق منه الشريعة الإسلامية، كما لقي أصحابها التضييق في عهد المنصور أبي عامر مما جعل نشاطها يقلّ ويضمحلّ إلى أواخر عصر الخلافة أين تمّ تهذيب فكرها وتقريبها إلى النّاس بأسلوب مهذّب لائق لاقى استحسانهم، ورغم الحرية التي وجدتها في عصر ملوك الطوائف إلاّ أنّها بقيت بعيدة عن المساجد في تعليمها وتدريسها لموقف الفقهاء المعادي لها ولعلمائها.

[1]- ابن بسام: **الذخيرة**، ج1، ص140. المراكشي: **المعجب**، ص93.

[2]- ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص140.

[3]- صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، ص127.

[4]- خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج5، ص40. صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص110.

المبحث الثاني: العلوم العقلية.

أولا- الطب والصيدلة:

يعدّ الطبّ من أهم العلوم التي أولاها الأندلسيون اهتمامهم حتى قبل عصر الخلافة، وإن كانوا يعتمدون على كتب غيرهم "كالإبريشم" وهو من كتب النصارى[1]، باعتبار أنّ المنشغلين بهذا العلم في تلك الفترة كانوا من أهل الذمّة، الذين كانوا يجدون المجال متاحا للبحث والعمل دون أي تضييق.

وفي بداية عصر الخلافة اعتمد الأندلسيون على الكتب المترجمة القادمة من بلاد المشرق مثل كتاب "ديسقوريدس" الذي ترجم في العهد العباسي من قبل أصطفن، ولم يتم ترجمته كليّة من اليونانية، هذا الكتاب استفاد منه الأندلسيون وعملوا به إلى غاية سنة (338هـ/948م) أين بعث الإمبراطور البيزنطي أرمانيوس إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بهدية قيّمة كان من بينها كتاب "ديسقوريدس" مصورة فيه الحشائش تصويرا رائعا[2]، ولوجود مشكل اللغة اتصل الخليفة بإمبراطور الروم طالبا منه مترجما يجيد اللغة اليونانية للاستفادة من الكتاب، فأرسل الإمبراطور سنة (340هـ/951م) الرّاهب نقولا فاجتمع عليه الأطباء من أمثال حسداي بن شيروط، ومحمّد الشجار، وأبو عبد الله الصقلي الذي يجيد اليونانيّة، وعارفا بخواص الدوية[3].

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة عن ابن جلجل تلك الترجمة وكيف حدثت في قوله: "فصح يبحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس تصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الأندلس ما أزال الشك فيها عن القلوب وأوجب المعرفة بها بالوقوف على أشخاصها وتصحيح النّطق بأسمائها بلا تصحيف إلاّ القليل منها الذي لا بال له ولا خطر له، وذلك يكون في مثل عشرة أدوية"[4].

حرص الخلفاء على مرافقة الأطباء لهم في قصورهم ومتابعة أغذيتهم، ونذكر هنا بعضهم **كأصبغ بن يحي القرطبي** الذي خدم الخليفة عبد الرحمن الناصر[5]، وكذلك فعل **عمر بن بريق** الذي

[1]- ابن جلجل (أبي داود سليمان بن حسّان الأندلسي): **طبقات الأطبّاء والحكماء**، تح: فؤاد سيّد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 92. صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 104.

[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 322.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص494. زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص 322 – 323.

[4]- أبن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 494.

[5]- ابن جلجل: المصدر السابق، ص108. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص206.

كان يحضّر الأدوية ويركّبها[1]، وعرف أيضا الطبيب سليمان بن باج الذي تمكّن من الطب وتركيب الأدوية، واستطاع معالجة الخليفة بعد تعرّضه لرمد في عينه، وصف له علاجا ناجحا عوفي به من مرضه[2].

أمّا الخليفة الحكم المستنصر فقد برز في عهده الطبيب أحمد بن حكم بن حفصون الذي نال مكانة بين الأطباء، ولحق به في خدمة الحكم الطبيب أبو بكر أحمد جابر، وكذلك الطبيب أبو عبد الملك الثقفي الذي جمع بين المهارة في الطب والبراعة في الهندسة، وكانت له مكانة معتبرة لدى الحكم[3].

وفي عصر الخليفة هشام ظهر في بلاطه الطبيب **سليمان بن حسان** المعروف **بابن جلجل**، كما حاز الطبيب محمّد بن الحسين المعروف بابن الكتّاني مكانة لدى الحاجب المنصور وكذلك ابنه عبد الملك المظفّر[4]، ومن الذين برزوا في عهد المنصور أبي عامر، الطبيب عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم الذي شهد له بالمعرفة الواسعة في الطب وتركيب الأدوية، وترك الكثير من المؤلّفات مثل كتاب "الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء"، وكتاب "السموم"[5].

ارتباط الأطباء ببلاط الخلفاء كان له الدور الكبير في تشجيعهم على البحث والتجارب خاصة عند وجود دعم الخلفاء وتشجيعهم، وفضلا عن تلك الأسماء التي شغلت في البلاط برزت أسماء أخرى لا تقلّ شهرة ومكانة علميّة عنهم، ولكثرة عددهم وأسمائهم سأكتفي بذكر نموذجين اثنين من أبرز أطباء الأندلس في عصر الخلافة وأخصّ بالذكر منهم:

- **خلف بن عباس الزّهراوي**[6](ت:427هـ/1036م)، أشاد به وبكتابه ابن حزم في ذكره لجهود علماء الأندلس والذي نقله المقري قائلا: "وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عياش الزهراوي وقد أدركناه وشاهدناه ولئن قلنا إنّه لم يؤلّف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في

[1]- ابن جلجل: المصدر السابق، ص107. صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 106.

[2]- ابن جلجل: المصدر نفسه، ص 102 – 103. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 489.

[3]- ابن جلجل: المصدر نفسه، ص111. ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 492.

[4]- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 493.

[5]- ابن أبي أصيبعة المصدر نفسه، ص 493. أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 463.

[6]- نسبة إلى الزهراء التي بناها النّاصر عبد الرحمن، بينها وبين قرطبة خمسة أميال. الحميري: **الروض المعطار**، ص 95.

الطبائع لتصدقن"[1]، ويعدّ كتابه ذلك جمعا لكلّ التجارب والبحوث الجادة في حقل الطب طيلة خمسين عاما[2].

ولئن ذكره المؤرّخون الأوائل وأثنوا على دوره في الطب كابن أصيبعة، والمقري، وابن حزم وغيرهم، فإنّ المؤرّخين الغربيين من بعدهم أظهروا له الاحترام والإعجاب، بل وجعلوه في مراتب الأطباء الكبار لديهم كأبقراط وجالينوس، ومما قيل فيه: "أمّا الجزء الثلاثون من كتاب الزّهراوي الذي نشر في اللاتينيّة باسم الجراحة فقد كان أهمّ وأذيع كتاب في تاريخ الطب كلّه، وقد ارتفع به الزهراوي في أعين النّاس إلى طبقة أبقراط وجالينوس"[3].

ولأهميّة كتاب الزّهراوي التصريف لمن عجز عن التأليف اعتمده الأطباء في مدرستي سالرنو ومونبلييه، وغيرهما من مدارس الطب في أوروبا، إذ يعتمد عليه طلبة العلم في مراحلهم الدراسيّة، وهذا بلا شكّ قد ساعد على وضع أسس الجراحة في أوربا[4].

- **سليمان بن حسّان المعروف بابن جلجل** (332- 384هـ/ 943- 994م) من الأطبّاء الذين ذاع صيتهم في عصر الخلافة وقد تميّز بتركيب الأدوية وتحضيرها وقيل عنه: "كان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات، حسن التصرّف في صناعة الطبّ، وكان في أيّام هشام المؤيّد بالله، وخدمه بالطب، وله بصيرة واعتناء بقوى الأدوية المفردة"[5].

قد عني ابن جلجل بالطبّ ودراسته منذ كان صغيرا، حيث درس على أطباء قرطبة، فتفوّق على أترابه وبلغ درجة متقدّمة في طلبه للعلم أهّلته لتدريس الطب في سنّ مبكّرة لم يتعدى حينها أربع وعشرين عاما[6]، كان بارعا في ذلك العمر بتركيب الأدوية ومعرفة النّباتات الطبيّة وقد عبّر هو بنفسه عن ذلك فقال: "وكان لي معرفة تصحيح هيولي الطب الذي هو أصل الأدوية المركبة حرص شديد وبحث عظيم حتى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما أطلع عليه من نيتي في إحياء ما خفت يدرس وتذهب منفعته لأبدان النّاس فالله قد خلق الشفاء وبثّه فيما أنبتته الأرض واستقرّ عليها من الحيوان

[1]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص175. (نقلا عن **رسالة ابن حزم في فضل الأندلس**).

[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص330.

[3]- أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص466.

[4]- زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص347.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص493.

[6]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص347.

المشاء والسّابح في الماء والمنساب وما يكون تحت الأرض في جوفها من المعدنيّة كلّ ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق"[1].

لابن جلجل كتاب قيّم في الصيدلة وتركيب الأدوية فسّر فيه أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، كتبه سنة (372هـ/982م) في عصر هشام المؤيّد، كما صنّف مقالة ذكر فيها الأدوية التي غفل عنها ديسقوريدس في كتابه[2]، وكان له مساهمات جليلة في الطب والعلاج، وألف في ذلك رسالة عنونها "رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين"، وله كذلك كتابا في "تراجم الأطباء والفلاسفة"[3]، ومن الراجح أن تلك المؤلفات والرسائل تعرّضت للضياع[4]، ولم يسلم من ذلك غير كتاب "طبقات الأطبّاء والحكماء" الذي اعتمد فيه الاقتضاب والاختصار وقد أشار بذلك في قوله: "واقتصرنا على قليل من كثير لئلا يملّه قارئه، وليسهل على النّفس حفظه، والكلام إذا طال ثقل"[5].

أما في عصر ملوك الطوائف فقد عرف الطبّ انتشارا كبيرا، وحقّق الأطباء نتائج معتبرة وذلك من خلال التصنيفات التي خلّفوها، والتي ثمّنت جهودهم وأعمالهم[6]، وبرز في ميداني الطب والصيدلة أقطابا منهم:

- **أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني** (ت:458هـ/1065م) الذي "امتاز بالمهارة في ميدان الجراحة الطبيّة، وكان له نفوذ مشهور في الكي والقطع والشّق"[7].
- **أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز الداني** (ت529هـ/1135م) ظهر في مملكة دانية، كان بارعا في أمور شتى وفي مقدّمتها الطبّ والصيدلة، له أراء صائبة في الطب، وكان شديد الاطلاع في كتب القدامى كجالينوس وأبو قراط، وكان يرى أن الطبّ يحتاج إلى العلوم الطبيعية والقوانين القياسية لفهمه وتوضيح ما أشكل فيه[8]، وترك مصنّفات عديدة أهمّها "كتاب الأدوية المفردة"، وكتاب "الرسالة المصرية" الذي ذكر فيها رحلته إلى مصر وما رآه من هيئتها وآثارها ومن اجتمع بهم من

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 494 – 495.
[2]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 348.
[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص495. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 214 – 215.
[4]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 349.
[5]- ابن جلجل: المصدر السابق، من مقدمة المحقق.
[6]- صلاح الدين وانس: المرجع السابق، ص 208.
[7]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 109 – 110. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 484.
[8]- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 386.

الأطباء والمنجّمين والشعراء، وألّف هذه الرسالة لأبي الطاهر يحي بن تميم بن المعز بن باديس وغيرها في باقي العلوم"[1].

- **ابن وافد الطليطلي** (ت:466هـ/1073م) الذي برز في الصيدلة، قال فيه صاعد الأندلسي: "تمهّر في علم الأدوية المفردة، حيث ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره، وألّف فيها كتابا جليلا لا نظير له، جمع فيه ما تضمّنه كتاب ديسقوريدس، وكتاب جالينوس، ورتّبه أحسن ترتيب، وله نوادر محفوظة في الإبراء من العلل الصعبة"[2].
- **أبو عبيد البكري** (ت:487هـ/1094م) برع بدوه في الأدوية المفردة وأسمائها وصنّف في ذلك كتابا أسماه "أعيان النبات والشجيرات الأندلسية"، اعتمد عليه ابن البيطار في كتابه "الجامع"، وكانت "له اليد الطولى في نقل كتب النبات والأدوية المفردة إلى اللسان العربي...وكان بارعا في معرفة الأدوية"[3].

هذا فضلا عن بروز أسر بكاملها في امتهان الطب، وتوارثته أبا عن جدّ كما هو الشأن لعائلة آل زاهر من مملكة دانية، التي برز أبناؤها رجالا ونساء في علوم مختلفة وأذكر منهم الفقيه **أبو مروان عبد الملك بن محمد** (ت:470هـ/1078م) كان "مشهورا بالحدق، بلغت به شهرته مسامع الأمير مجاهد العامري ملك دانية، وأعجب بمكانته العلمية، فاستدعاه إلى بلاطه وأكرمه، وقد تولى رئاسة الطب في بغداد ثمّ بمصر ثمّ بالقيروان"[4]، بعد وفاته خلفه ابنه الفيلسوف الطبيب **أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك** (ت:525هـ/1131م) "فاق والده واشتهر بتشخيص الأمراض، كان ذا ثقافة واسعة بالطب، له علاجات مختارة تدلّ على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها"[5]، وبلغت شهرته أن صار مبعث الفخر في بلاد المغرب إذ صاروا يفاخرون به وبأهل بيته يقولون: "أبا العلاء قد أنسى من قبله من الأطباء والحكماء إحاطة بالطب وحذقا به"[6]، له العديد من المصنّفات منها

---

[1]- إبراهيم الفيومي: المرجع السابق، ص 456 –457.

[2]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 70.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 519. خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج3، ص 59.

[4]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 111. المقري: المصدر السابق، ج2، ص 244.

[5]- صلاح الدين وانس: المرجع السابق، ص 210 – 211.

[6]- ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج1، ص 334.

"التيسير في المداواة والتدبير"، وكتاب "الأغذية"[1]، وغيرها كثير "من الرسائل والأبحاث والتجارب والملاحظات والوصفات الطبية التي أمر بجمعها بعد موته علي بن يوسف بن تاشفين فجمعت واستنسخت في جمادى الآخرة سنة (526هـ/1131م)[2].

ثانيا– الرياضيات والفلك:

تأخّر الانشغال بالرياضيات والفلك[3] في بلاد الأندلس ولعلّ السبب قد ذكر من قبل وهو انشغال أهل الأندلس بعد الفتح بتعلّم الدين واللغة، وما كانوا يكنون من كراهة لبعض العلوم القديمة منها الفلك والتنجيم[4]، ولم تعرف تلك العلوم الازدهار والتطوّر إلاّ في عصر الخلافة حيث ازدهرت الحركة العلميّة بالأندلس بشكل عام، ومن تلك العلوم الرياضيات والفلك، ولم تكن تعرف الرياضيات والفلك تعارضا مع الدين ولم تجد تلك الكراهية التي ذكرناها من قبل عن الفلسفة، إذ كثيرا ما يجمع العلماء بين العلمين مثل **العلاّمة محمّد بن أحمد بن الليث** (ت:405هـ/1014م) الذي وصف بالتمكّن في الفلك والرياضيات وفي نفس الوقت تقلّد قضاء شربون من أعمال بلنسية، ومثله **مختار بن شهر الرعيني** (ت:425هـ/1043م) الذي تقلّد القضاء وجمع إلى علمه في الدين براعته في الهندسة والفلك[5].

عندما ازدهرت دراسة الرياضيات والفلك، صارت تدرّس في المساجد كغيرها من المواد النقليّة الأخرى[6]، فاشتهر بقرطبة العديد من الرياضيين والفلكيين الذين درّسوا الطلبة في جامعها الكبير ونذكر هنا على سبيل المثال **أحمد بن محمّد الأنصاري** الذي كان متمكّنا في الرياضيات ماهرا في الفلك، وكان يجلس لتعليم ذلك في جامع قرطبة زمن الخليفة المستنصر، وشهد له أستاذه المجريطي بالتفوّق في الهندسة والعلوم الرياضيّة[7].

---

[1]- إبراهيم الفيومي: المرجع السابق، ص 464 – 465.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص519. الزركلي: ج3، ص50.

[3]- **علم الفلك**: يطلق عليه ابن خلدون "علم الهيئة"، ويعرّفه بقوله: " وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحرّكة والمتحيّزة، ويستدلّ بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك". ابن خلدون: **المقدمة**، ص 472.

[4]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 82 – 84. سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص 356.

[5]- صاعد الأندلسي: المصدر نفسه، ص 96 – 97.

[6]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 358.

[7]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 91. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص 14.

هذا لا يعني أنّ علم الفلك لقي القبول المطلق، إذ رفض من قبل العامة، بل واعترضوا على تدريسه إلاّ في تحديد القبلة والأهلة ولذلك ظهر من العامة من "يرمون المشتغلين به بالزندقة، فقد كان علما محرّما"[1].

للعلم أنّ قرطبة عرفت بروز مدرسة رائدة في الرياضيات والفلك وأقصد بالذكر هنا مدرسة **العلاّمة مسلمة بن أحمد المجريطي** (ت:398هـ/1007م) وهو: "إمام الرياضيين في الأندلس في وقته وأعلم ممّن كان قبله بعلم الأفلاك، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب وشغف بفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي"[2]، وله كتاب بالغ الأهميّة في علم العدد يعرف عند الأندلسيين "بالمعاملات". وكلّ الذين ألّفوا أو اهتمّوا بهذا المجال كانوا تلامذة المجريطي الذين ذكرهم ابن خلدون في قوله: "ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الأندلس تآليف فيها متعدّدة من أشهرها معاملات الزهاوي وابن السمح وأبي مسلم بن خلدون من تلاميذ مسلمة المجريطي"[3].

ترك المجريطي من بعده عددا من التلاميذ الذين حملوا الرسالة العلمية من بعده، وبلّغوها لتلاميذهم في عصر ملوك الطوائف أين نشطت العلوم العقلية، ومن أولئك التلاميذ:

- **أصبغ بن محمّد بن السّمح المهري القرطبي** (ت:426هـ/1034م) عالما بالرياضيات والفلك، فضلاً على مهارته في الطب[4]، ألّف كتابا في الهندسة عنوانه: "المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب اقليدس"، وله كتاب ثمار العدد والمعروف "بالمعاملات"، وكتاب "طبيعة العدد"، وله في الفلك كتابان في آلة الإسطرلاب، عرّف الأول كيفية صنعتها، أما الثاني ففي كيفيّة العمل بها والتعريف بجوامع ثمارها[5].

---

[1]- خوليان ريبرا: **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ص 89.

[2]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 92. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 482 – 483.

[3]- ابن خلدون: **المقدمة**، ص 484.

[4]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 93. ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص468. المقري: المصدر السابق، ج3، ص375. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص207. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 483 - 484.

[5]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 365. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 365.

أثنى على ابن السّمح ابن الخطيب الذي وصف مؤلّفاته بالحسن والجودة، وأنّها عظيمة الفائدة، كما أشار إلى أنّ له مصنّفا في التّاريخ، ولمنزلته العلميّة الكبيرة وعلوّ مقامه يعدّ من مفاخر أهل الأندلس[1].

- **أحمد بن عبد الله بن عمر القرطبي** المعروف **بابن الصفّار** (ت:426هـ/1034م) كان صديق ابن السمح، وأسهم كذلك في نشر علمه حتى اتخذ له مكانا في جامع قرطبة يلقي فيه الدروس[2]، ولابن الصفار مصنّفات عديدة وصل إلينا منها كتاب "العمل بالإسطرلاب"[3] وهو موجز حسن العبارة قريب المأخذ[4]، وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة[5]، توافد عليه طلاب العلم من كلّ فجّ ليتتلمذوا على يديه لما حاز عليه في ذلك العصر من شهرة في تدريس "علم الحساب والهندسة والفلك، وبما تميّز به عن غيره بالتواضع والمثالية، فهو العالم الذي جمع بين العلم والأخلاق"[6].
- **أبو مسلم بن خلدون** (ت:449هـ/1077م) وهو من تلامذة المجريطي، فبالإضافة إلى نبوغه في الفلسفة، كان بارعا في الهندسة والفلك، وكان كثير النشاط في بث علومه فلازمه عدد من الطلبة، وكان له تلاميذ كثيرون أخذوا عنه العلم ونشروه[7]، وابن خلدون لا يلتقي بصاحب المقدمة كما يدّعي بعض الكتّاب الذين ينسبونه إليه، فالمدة الزمنية بينهما أكثر من أربعة قرون كاملة[8].

1- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص428.

2- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص484. ابن يشكوال: المصدر السابق، ج1، ص42.

3- **الإسطرلاب**: جهاز يستطيع الفلكي أن يعيّن به زوايا ارتفاع الأجرام السماوية عن الأفق في أي مكان، وهي كلمة يونانية تتكون من (إسطر) وهو النجم، (الأبون) وهو المرآة، ومن هناك قيل لعلم التنجيم أسترنوميا (Astronomy)، وأول من اخترع الإسطرلاب هيباخوس (Hippachus) الإغريقي في القرن الثاني قبل الميلاد، ثمّ جاء بطلميوس في 150م الذي استعمل الإسطرلاب في بعض أرصاده التي ظهرت في كتابه المجسطي. علي عبد الله الدفاع، **رواد علم الفلك في الحضارة العربية الإسلامية**، ص35.

4- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص93 – 94.

5- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص366.

6- علي عبد الله الدفاع: المرجع السابق، ص86.

7- المقري: المصدر السابق، ج3، ص376.

8- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص369.

- **أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني** (ت:450هـ/1068م) برز وذاع صيته في ميدان الفلك والهندسة، ذكره صاعد الأندلسي بقوله: "أخبرني تلميذه الحسين بن أحمد بن الحسين بن يحي المهندس المنجّم أنّه ما لقي أحدا يجاريه في علم الهندسة، ولا يشق غبارة في فكّ غامضها، وتبيين مشاكلها واستيفاء أجزائها"[1].

ثالثا– العلوم الأخرى:

عرفت بلاد الأندلس علوما تجريبيّة أخرى يمكن إيجازها وذكر بعض العلماء الذين بحثوا في دقائقها وتفاصيلها، وتعليمها لمن كان يميل إلى تعلّمها في الأماكن الخاصة التي تحتاج مخابر وتطبيقات متكرّرة، ومن بين تلك العلوم التي عرفتها الأندلس نذكر:

1 ـ الفلاحة وعلم النباتات:

عرّف ابن خلدون علم الفلاحة بأنّها "النظر في النبات من حيث تنميته ونشوئه بالسقي والعلاج وتعهده بمثل ذلك"[2]، عرف هذا العلم ازدهارا واسعا في بلاد الأندلس وذلك لطبيعة البلاد وكثرة أنهارها وبقاعها الخصبة وتنوع أقاليمها وتربتها، وكذلك لاهتمام أهل الأندلس بالزراعة وفنونها، ومهاراتهم الواسعة في فلاحة الأرض وغرسها والعناية بها حتى تينع ثمارها على أطيب صورة[3].

اهتمّ الأندلسيون كثيرا بتنظيم وسائل الري والصرف وجلب المياه وتوزيعها بطرق فنية عالية الجودة، ومنها ديوان المياه الباقي أثره من أيام العرب في بلنسية الذي يثبت تفوّق أهل الأندلس في ميدان الري والسقيا[4]، ويذكر أنّ الاهتمام بالدراسات الزراعية يرجع إلى **عريب بن سعد القرطبي** (ت:370هـ/980م) بتأليفه كتاب "أوقات السنة"[5]، ثمّ تعدّدت التآليف بدءا من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي مع صدور كتاب "الأنواء" لأبي الحسن القرطبي وهو عبارة عن تقويم فلاحي، أتبع بكتاب "الفلاحة" للطبيب أبي القاسم بن خلف الزهراوي[6].

---

[1]- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 112 – 113.

[2]- ابن خلدون: **المقدّمة**، ص492.

[3]- عز الدين فرّاج: **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ/2002م، ص65.
سعد عبد الله البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس**، ص631.

[4]- شكيب أرسلان : **الحلل السندسية**، ج3، ص215.

[5]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص633.

[6]- سيد حسين نصر: **العلوم في الإسلام**، تح: محمد السويسي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1978، ص 193.

ومن الذين اهتمّوا بالكتابة في هذا الميدان في عصر ملوك الطوائف **العلامة أبو عمر أحمد بن محمد بن الحجاج** (ق: 5هـ/11م) وهو من علماء إشبيلية، ألّف كتابه "المقنع في علم الفلاحة" الذي اهتمّ به المهتمون والدارسون لعلم الفلاحة، والكتاب به معلومات مفيدة لكلّ ما يتعلّق بطرق الزراعة والاهتمام بالري، ويضم الكتاب توجيهات في تربية الحيوانات والطيور وكيفية صيانتها من الأمراض، وما يتّبع من أساليب في تكثيرها وتسمينها"[1]، ولأهميّة الكتاب اعتمد عليه العديد من علماء الفلاحة مثل **ابن العوام يحي بن محمد** (ت:587هـ/1191م) إذ ذكر في مقدّمة كتابه عن الفلاحة: "واعتمدت على ما تضمّنه كتاب الشيخ الفقيه الإمام أبو عمر بن الحجاج رحمه الله المسمى بـ "المقنع"، وهو الذي ألّفه سنة 466هـ..."، واعتمد عليه ابن البيطار في دراسته لأنواع النباتات والأعشاب[2].

وبرز **العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال** (ت:499هـ/1106م) في طليطلة، وكان لطبيعة بيئته الأثر الكبير في اهتمامه بالزراعة، فطليطلة اشتهرت بكثرة بساتينها، وأنّ فيها من ألوان الفلاحة الراقية ما تفضل به غيرها، وأنّ فيها صنفا من التين نصفه أخضر والنصف الآخر أبيض في غاية من الحلاوة"[3]، عرف عن ابن بصال كثرة ارتحاله طلبا للعلم في تخصص الفلاحة فزار المغرب ، ومصر، ومكة وعند عودته استقر في إشبيلية أين أقام بستانا للمعتمد بن عباد أسماه بستان السلطان، كما صنّف كتاب هاما عنوانه "ديوان الفلاحة"، أو "كتاب الفلاحة" جمع فيه معارفه وخبراته الزراعية، يقع الكتاب في ستة عشر فصلا تناولت كل ما يتعلّق بالزراعة من ري وسقي وأنواع المياه كمياه المطر والأنهار والخزانات، كما اعتنى بخواص التربة ودراسته لها دراسة دقيقة وافية. [4]

---

[1]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 633. (مأخوذ من كتاب **المقنع** لابن سعيد الداني، ص 11- 42 -67).

[2]- أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 475-476.

[3]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج2، ص 8-9.

[4]- سيد حسين: المرجع السابق، ص 193.



2 ـ الكيمياء:

عرّف عبد الرحمن بن خلدون الكيمياء بقوله: "هو علم ينظر في المادة التي يتمّ بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك، فيتصفّحون المكوّنات كلّها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلّهم يعثرون على المادة المستعدّة لذلك، حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات، فضلا على المعادن"[1].

أسهم الأندلسيون في هذا المجال بشكل كبير، مما جعلهم يضيفون أبحاثا ودراسات علمية يشهد لها القاصي والداني[2] ويمكننا ذكر بعض أولئك العلماء ومنهم:

العلامة أبو بكر بن بشرون (كان حيّا عام 390هـ/1000م) وهو من تلاميذ المجريطي، وقد عرض ابن خلدون رسالة علمية له بعث بها لابن السمح تبيّن النهج المميّز الذي كان عليه علماء الكيمياء في، فلا يفهم القارئ منها شيئا لغلبة الإشارات والرموز عليها، ورغم ذلك فالرسالة تعكس اطلاعهم على قواعد وأسس هذا العلم[3]، وقد ترك أبو بكر بن بشرون كتاب "سرّ الكيمياء"[4].

كما عرف ذلك العصر ظهور العلامة **ابن الذهبي** (ت:456هـ/1063م) كان مهتما بالكيمياء حتى قال عنه صاعد الأندلسي: "كان كلفا بصناعة الكيمياء مجتهدا في طلبها"[5] وهو دليل حبّه وارتباطه بهذا العلم[6].

وبرز العديد من العلماء بالأندلس منهم العلامة غانم بن الأسقطير الطلمنكي من مملكة طليطلة والذي اشتهر بالكيمياء ودراستها، إلاّ أنّه استغلّ براعته في هذا العلم لأغراض شخصية، وفتن الناس بأساليبه وطرقه الكيمياوية بما مارسه من "نصب واحتيال وغدر ومكر على النّاس وعلى المأمون ملك طليطلة الذي أكرمه ورفع من شأنه بين علماء بلاطه"[7].

1- ابن خلدون: **المقدمة**، ص 506.

2- صلاح الدين وانس: المرجع السابق، ص 231.

3- ابن خلدون: **المقدمة**، ص 507 (يمكن الاطلاع على نص الرسالة).

4- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 413.

5- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 129.

6- سهى بعيون: المرجع السابق، ص 413.

7- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج 2، ص 42.

3 ـ الفيزياء:

عرف المسلمون هذا العلم منذ زمن طويل إذ "عرف المسلمون الجاذبية قبل نيوتن عندما اكتشفها ثابت بن قرة، وموسى بن شاكر، واخترع الفلكي يونس المصري رقاصة الساعة"، إذ قطع المسلمون "شوطا بعيدا في علم الضوء، وبحثوا في الضغط الجوي وحركة الشمس والصوت، وقالوا إنّ سرعته أقلّ من سرعة الضوء".[1]

وفي الأندلس برز ابن حزم الذي قدّم آراء وإشارات صائبة في البصريات والصوتيات، وحركة الزمان والمكان، فتحدّث عن "خداع الحواس، ودور العقل في تصحيح المشهد"[2].

4. علم الحيل:

وهو علم الميكانيك الذي عرفه المسلمون بابتكارهم الرافعة، لرفع الأثقال بالبكرات والرافعات، و"استخدموا الإبرة المغناطيسية في تحديد الجهات قبل الغرب"[3]، ويظهر اهتمام الأندلسيين بهذا العلم من خلال كتب التراجم والمصادر التي أوردت أسماء العلماء وفي مقدّمتهم **عباس بن فرناس** (ت:274هـ/887م) الذي تمكّن من الرياضيات والفلك والكيمياء والميكانيك واستطاع بإمكانياته المتواضعة أن "يصنع آلة لمعرفة الوقت سمّاها المثقالة، فأحكم صنعها وكتب عليها أبياتا من الشعر تحدّد هدفها والغاية من صناعتها وهي قوله[4]:

ألا إنّـــني للدّين خير أداة *** إذا غاب عنكم وقت كلّ صلاة

[1]- حكمت عبد الكريم فريحات وإبراهيم ياسين الخطيب: **مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1989، ص 99.

[2]- ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج5، ص 138- 139. الزركلي: المصدر السابق، ج7، ص 24.

[3]- حكمت عبد الكريم فريحات: المرجع السابق، ص 100.

[4]- سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 514. سهى بعيون: المرجع السابق، ص 418.

وظهر بعده أسماء لمع نجمها في هذا العلم من بينهم العلامة **أبو إسحاق إبراهيم بن ي التّجيبي** المعروف **بابن الزرقالة** (ت:480هـ/1087م) وهو من أعلام طليطلة، برز في الرياضيات وعلم الفلك كما سبق ذكره، ومن أهم مساهماته في علم الحيل "اختراعه آلات وأجهزة فلكية، امتدّت إلى صناعة ساعات دقاقة[1]، نالت إعجاب كلّ من رآها في طليطلة وغيرها.

ومن مملكة دانية اشتهر العلامة أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الذي سبق الحديث عنه في الرياضيات وعلم الفلك، ذكر عنه أنّه كان ذا معرفة واسعة بعلم الميكانيك[2].

لقد ساهم الأندلسيون في خدمة العديد من العلوم، وكان لهم الفضل في تطويرها وازدهارها بدعم من الخلفاء وتشجيع من الملوك والأمراء، فظهرت المؤلّفات العديدة والمصنّفات القيّمة، التي أثبتت تفوّقهم وعلوّ كعبهم في العلوم العقليّة بمختلف تخصّصاتها، ومن خلال هذا العرض يتبيّن سرّ التقدّم الذي عرفته بلاد الأندلس من بين الدول المحيطة بها، بدءا بعصر الخلافة التي ازدهرت فيه البلاد في مناحي شتى، فكان السرّ يكمن في قوة حكامها من جهة، ودعم الحركة الثقافية والتعليميّة من جهة أخرى حتى صار التعليم حقّا متاحا لكلّ فرد من أبناء الأندلس، وما كان على الملوك في عصر الطوائف إلاّ انتهاج ذلك الطريق ليحافظوا على حركيّة العلم والتعليم، والتي بها استمرّت الحياة في بلاد الأندلس رغم تمزّق وحدتها وتلاشي قوّتها.

[1]- سهى بعيون: **إسهامات العلماء المسلمين في العلوم بالأندلس عصر ملوك الطوائف**، ص 418.

[2]- وانس صلاح الدين: **علماء الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف دراسة في أدوارهم العلمية والسياسية**، ص 234.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي أنجزتها حول التعليم في الأندلس عصر الخلافة 2هـ/929م-1031م)، وعصر ملوك الطوائف (422هـ-479هـ/1031م-110م)، خلصت في نهايتها إلى جملة من النتائج التي يجب ذكرها وهي:

- اعتناء الإسلام بالعلم وحثّه على التعلّم، فقد جاءت الآيات القرآنية والسنّة النبويّة مؤكّدة على أهميّة الأخذ بالعلم وأسبابه، وخير ما يستدلّ به نزول أول آيات القرآن مؤكّدة على ضرورة القراءة والتعلّم، وبذلك كان التركيز على تنمية الفكر وتطويره، وتشجيع الإبداع ودعمه، فكان هدف الإسلام السموّ بالعقل المميّز للإنسان المتعلّم الباحث عن الحقيقة والفهم.
- إنّ حقيقة إسبانيا في القرن الخامس الميلادي كانت في حالة يرثى لها في جميع المجالات في ظلّ سيطرة الطبقيّة المقيتة التي جعلت من عامة الناس عبيدا لدى النبلاء ورجال الكنيسة، الذين سخّروا خيرات البلاد لخدمة مصالحهم الخاصة، بينما عامة الشعب يعيش الفقر المدقع، أمّا من جانب التعليم فكان حكرا على أبناء النبلاء في مدارس الأديرة التي حرم أبناء الشعب من الالتحاق بمقاعدها.
- ظهور البوادر الأولى للتعليم مع الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس سنة (96هـ . 714م) والتي لم تكن من الأولويات في هذه المرحلة أين كان البحث فيها أساسا على الاستقرار، وتوطيد نظام الحكم، إلاّ أنّها لم تخل من نشاطات معزولة وفرديّة غايتها تعليم القرآن الكريم، والمبادئ الأساسيّة للدين الإسلامي، ونشرها بين سكان بلاد الأندلس المقبلين على معرفة الدين الجديد بلغة عربية سهلة وبسيطة.
- اهتمام الأمراء الأمويين (138هـ . 316هـ) بالتعليم واقتران ذلك ببناء المساجد المهيّأة للعبادة والتعليم، وخاصة في قرطبة التي بلغ عدد المساجد بها في عهد عبد الرحمن الدّاخل إلى أربعمائة وتسعين مسجدا، وكان التحفيز على العلم وطلبه مردّه إلى الرغبة في بعث مجد الأمويين الضائع في المشرق، ولذلك كان هدف الأمراء بعث الحركة التعليميّة وذلك بدعم العلماء وتشجيع طلبة العلم.
- ازدهار الحركة التعليمية في عصر الخلافة (316هـ . 422هـ) بشكل كبير بسبب اهتمام الخلفاء المتعلّمين في جملتهم بالتعليم، فحقّقت البلاد في تلك الحقبة الزمنية تفوّقا حضاريا غير مسبوق، لدرجة إقبال الملوك في أوربا إلى إرسال أبنائهم للتعلّم في قرطبة حاضرة العلم والعلماء والرائدة في زمانها.

- أهميّة الرحلة العلميّة في التحصيل العلمي والمعرفي لدى طلبة العلم في بلاد الأندلس، فالجلوس إلى الشيوخ يحقّق تنمية قدرات الطالب، فضلا على اكتسابه المعارف والخبرات، بما يسمح له عند عودته التوجّه للتعليم مباشرة، بل اتخذ الخلفاء بعض أولئك العلماء المرتحلين مؤدّبين لأبنائهم، كما غصّت حلقات العلم بالطلبة المجتمعين على العلماء القادمين من الشرق الإسلامي، ولعلّ للرحلة دور كبير في دخول مذهب إمام دار الهجرة لبلاد الأندلس عن طريق زياد بن عبد الرحمن اللخمي (زياد شبطون) الذي لقي الإمام مالك وروى عنه كتاب الموطأ، ثمّ قام بنشره في الأندلس، بعد أن غلب عليها مذهب الإمام الأوزاعي.
- الاهتمام الكبير للأندلسيين بالكتب وجمعها كان له الأثر الكبير في تطوير الحركة التعليميّة، فنشطت حركة التأليف، وأنشأت المكتبات المتنوعة بين العامة والخاصة، ممّا أدّى إلى انتشار التعليم ومحو الأميّة، فلا تكاد تجد أندلسيّا لا يحسن القراءة والكتابة، وذلك مؤشّر حجم النهضة الفكرية الحقيقية التي بلغتها الأسر الأندلسية.
- انتشار التعليم المجاني كان سابقة عرفتها بلاد الأندلس خاصة في زمن الخليفة الحكم المستنصر(350 ـ 366هـ) الذي أنشأ في عهده سبعة وعشرون مكتبا، وعيّن الفقهاء والعلماء للتدريس بها وأجرى عليهم المرتبات، ولم يحرم من التعليم في عهده حتى اليتامى والفقراء الذين حبّس لهم حوانيت السراجين مقابل تعلّمهم، فكان التعليم في عهده متاحا لكلّ أبناء المسلمين دون تمييز بينهم، فكان التعليم حقّا إنسانياّ، وضرورة تربوية لا يستغنى عنها للنهوض بالمجتمع باختلاف طبقاته وأجناسه، وعقائده.
- اعتماد التدريس في بلاد الأندلس في عصر الخلافة، وعصر ملوك الطوائف على المراكز المتاحة لديهم كالكتاب والمساجد وبيوت المعلّمين عموما، أمّا المدارس بالمفهوم المتداول عليه بيننا كبنايات مخصّصة للتعليم فإنّها لم تعرفها الأندلس إلاّ في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، أي فترة الموحدين الذين نقلوا هيكل المدرسة من المغرب، وذلك من بين الهياكل والأنظمة الأخرى التي جلبوها معهم إلى بلاد الأندلس.
- اعتماد الأندلسيين في تعليمهم على الطرق والمناهج التقليدية المنتشرة في البلاد الإسلامية والمعتمدة أساسا على تحفيظ القرآن الكريم كأساس علميّ، مع اختلاف في المواد المرفقة وترتيبها، مع وجود استثناءين أوّلهما مثّله ابن حزم الأندلسي (ت:456هـ/1063م) الذي قدّم الكتابة والقراءة على حفظ القرآن الكريم، وثانيهما جاء به أبو بكر بن العربي (ت:543هـ/1148م) الذي انتقد

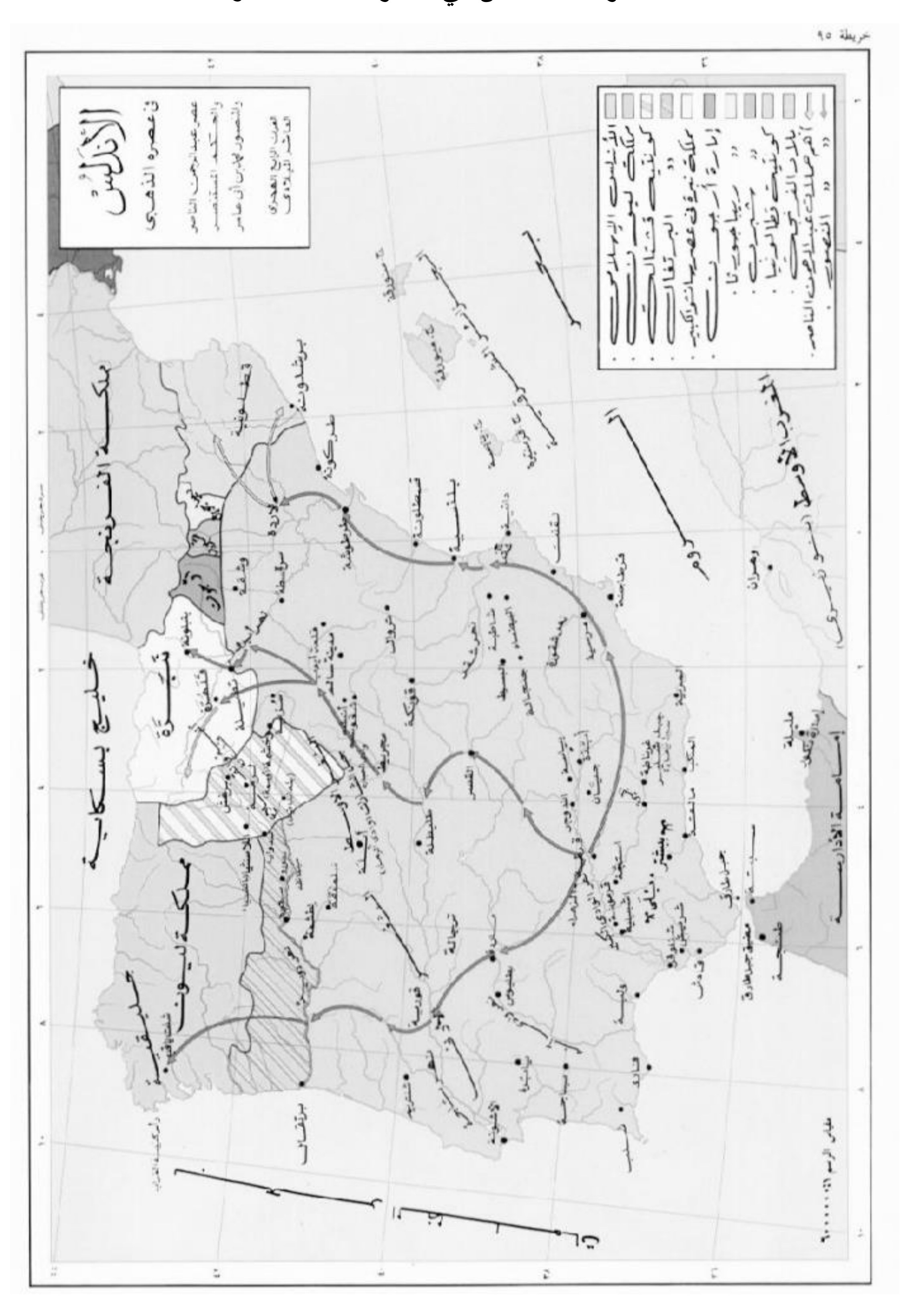
المنهج المتّبع من قبل الأندلسيين والتي تعلّم به في صغره، والتي عاب عليها الضغط على التلميذ لدرجة الملل وعدم الرغبة في مواصلة التعلّم، وجاء منهجه معتمدا على تعلّم اللغة العربية والشعر والكتابة كأولويات قبل تحفيظ القرآن الكريم، فلا يفهم القرآن إلاّ بإتقان لغته، وحسن كتابته.

- تعدّد العلوم المدروسة من قبل علماء موسوعيين في تخصّصات عديدة ومتنوّعة، إذ نجد علوما كثيرة انتشرت في بلاد الأندلس منذ عصر الخلافة، واستمرّ نشرها وتدريسها في حواضر عديدة في بلاد الأندلس في عصر الطوائف، فلم تؤثّر الفتنة في انتشار العلوم بل وانتشرت على أوسع نطاق، بسبب انتقال العلماء من قرطبة شطر الممالك الجديدة التي تنافس أمراؤها في استقطاب العلماء لتحقيق التميّز، والقدرة على خلافة العاصمة قرطبة، مما جعل الكثير من الممالك قبلة للعلماء وطلبة العلم.
- لم يكن طلب العلم في بلاد الأندلس حكرا على المسلمين وحدهم، وإنّما كان متاحا لأهل الذمة كذلك الذين طلبوا العلم من علماء مسلمين، وأثروا الحركة العلمية بشكل كبير خاصة في العلوم العقلية المختلفة، وهو ما يعكس قمّة التسامح الديني الذي عرفته بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي.

الملاحق

الملحق رقم (01)

خريطة الأندلس في عصر الخلافة الأموية[1]

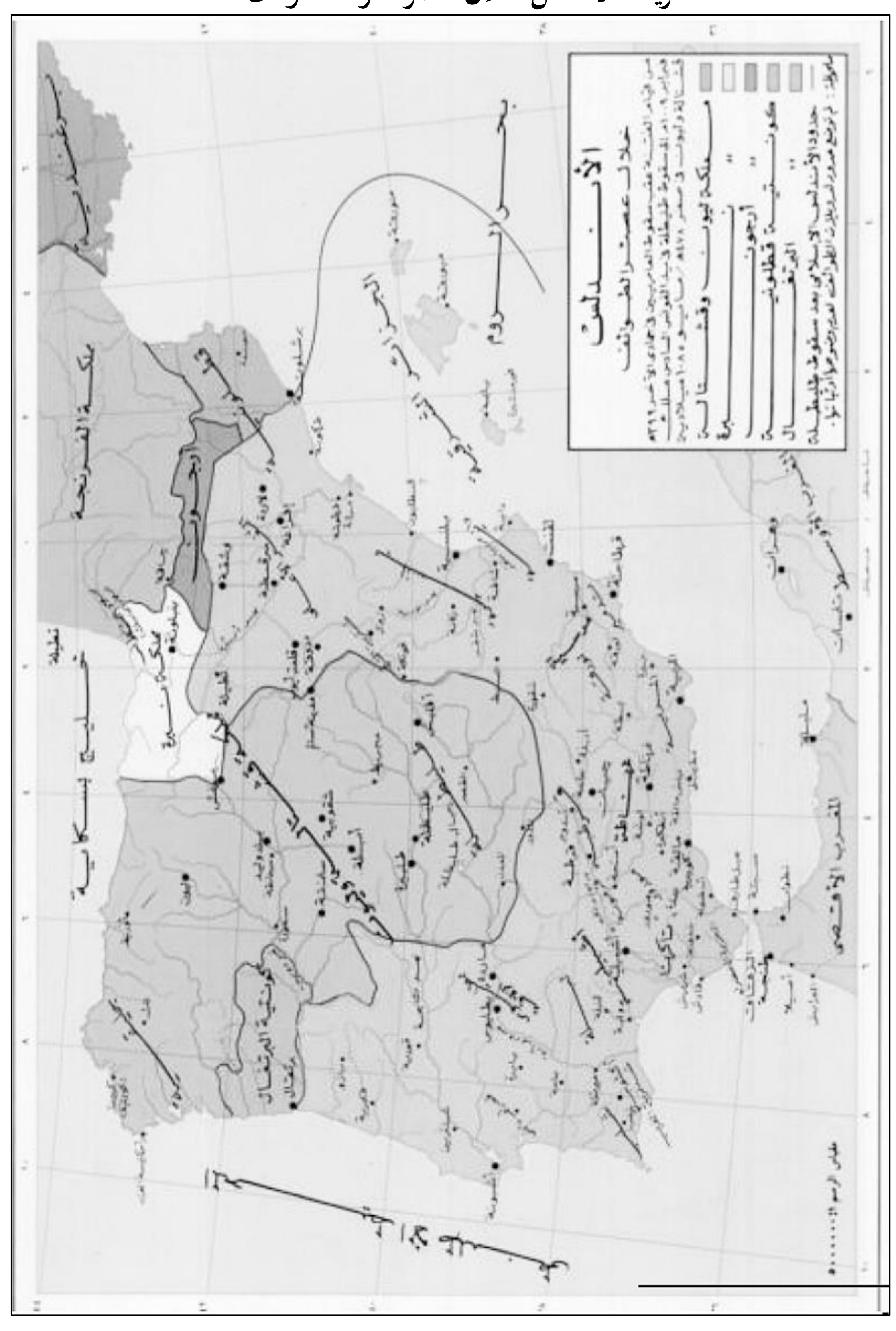


---

[1]- **المصدر**: حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص167.

الملحق رقم (02)

خريطة الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف[1]



[1]- **المصدر**: حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص167.

الملحق رقم (03)

قائمة بأسماء ولاة وأمراء الأندلس[1]

الرقم	الوالي	سنة استلامه الحكم
1	عبد العزيز بن موسى بن نصير	95هـ /714م
2	أيوب بن حبيب اللخمي	97هـ / 716م
3	الحر بن عبد الرحمن الثقفي	97هـ/ 716م
4	السمح بن مالك الخولاني	100هـ / 718م
5	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي(ولايته الأولى)	102هـ / 721م
6	عنبسة بن سحيم الكلبي	103هـ /721م
7	عذرة بن عبد الله الفهري	107هـ/ 725م
8	يحيى بن سلمة الكلبي	107هـ/ 726م
9	حذيفة بن الأحوص القيسي	110هـ/ 728م
10	عثمان بن أبي نسعة الخثعمي	110هـ/ 729م
11	الهيثم بن عبيد الكناني	111هـ/729م
12	محمد بن عبد الملك الأشجعي	111هـ/ 730م
13	عبد الرحمن الغافقي (ولايته الثانية)	112هـ/730م
14	عبد الملك بن قطن الفهري(ولايته الأولى)	114هـ/ 732م
15	عقبة بن الحجاج السلولي	116هـ/ 734م
16	عبد الملك بن قطن الفهري(ولايته الثانية)	123هـ/ 741م
17	بلج بن بشر القشيري	124هـ/ 742م
18	ثعلبة بن سلامة العاملي	124هـ/ 742م
19	الحسام بن ضرار الكلبي	125هـ/ 743م
20	ثوابة بن سلمة الجذامي	128هـ/ 746م
21	الصميل بن حاتم الكلبي	129هـ/ 746م
22	يوسف الفهري	129هـ/ 747م

قائمة بأسماء الأمراء الأمويين في الأندلس(138-238هـ/ 756-852م)

الرقم	أمير الأندلس	مدة الحكم
1	عبد الرحمن الداخل	138 – 172هـ/ 756-789م
2	هشام بن عبد الرحمن	172- 180هـ/789-797م
3	الحكم بن هشام	180- 206هـ/797- 822م
4	عبد الرحمن الثاني بن الحكم	206-238هـ/822- 852م

[1]- **المصدر**: إسماعيل بن إبراهيم: **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط**، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص 120 - 121 - 122.

الملحق رقم (04)
نموذج لصيغة عقد استئجار معلّم[1]

"استأجر فلان بن فلان، فلان بن فلان المعلم، ليعلم ابنه فلانًا، أو ابنته فلانة، أو بنيه فلانًا وفلانًا وفلانا القرآن ، نظراً أو ظاهراً والكتب، والخط، والهجاء عامًا، أوّله شهر كذا، من سنة كذا، وبكذا وكذا دينار صفة كذا، يؤدي إليه كل شهر ما ينوبه منها، وذلك كذا وكذا، ويدفع إليه في كل شهر، في أوله من دقيق القمح الطيب الريون ـ الأشقر ـ الجيد الطاهر ربعينِ أو ثلاثة بوزن كذا، ومن الزيت نصف ربع من زيت الماء الطيب الأخضر بكيل كذا، ويشرع المعلّم في التعليم المذكور وعليه الاجتهاد، ثمّ يكمل الوثيقة".

"فإن اشترط عليه في الأعياد شيئًا ذكرت ذلك، وقلت: ويدفع إليه في عيد الفطر كذا، وفي عيد الأضحى كذا، ويعطيه عند حذقة الصّبيّ فلان القرآن كلّه كذا شهد".

[1]- **المصدر**: خوليان ريبيرا: **التربية الإسلامية في الأندلسية أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994، ص 138.



الملحق رقم (05)

نموذج من وقف كتاب الإحاطة لصاحبه لسان الدين ابن الخطيب

لأهل العلم في مصر وهذا نصّ وقفيّته[1]

"الحمد لله وحده، وقف الفقير إلى رحمة الله تعالى الشيخ أبو عمران بن عبد الله بن الحاج الأندلسي ـ نفع الله تعالى به ـ عن موكّله مصنّفه الشيخ الإمام العلاّمة بركة الأندلس لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخطيب الأندلسي السلماني ـ فسح الله في مدّته وفتح لنا وله أبواب رحمته، ومنحنا وإيّاه من رفده وعطيّته، وأسكننا وإيّاه أعالي جنّته ـ جميع هذا الكتاب تاريخ غرناطة، وهو ثمانية أجزاء، هذا رابعها، عن مصنّفه المذكور بمقتضى التفويض الذي أحضره، وهو أنّه فوّض إليه النيابة عنه في جميع أموره المالية كلّها وشؤونه جميعها والنظر في أحواله على اختلافها وتباين أجناسها تفويضا عاما على العموم والإطلاق والشمول والاستغراق، لم يستثن شيئا مما تجوز النيابة فيه إلاّ أسنده إليه، وهو ثابت على سيّدنا ومولانا قاضي القضاة يومئذ بثغر الإسكندرية المحروس ـ أدام الله تعالى أيّامه ـ كمال الدين خالصة أمير المؤمنين أبي عبد محمد بن الربعي المالكي ثبوته مؤرّخ بثالث ذي الحجّة عام سبعة وستين وسبعمائة، وقفا شرعيا على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة ونسخا ومطالعة، وجعل مقرّه بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء، رحم الله تعالى واقفها وجعل النظر في ذلك للشيخ العلاّمة شهاب الدّين أبي العبّاس أحمد بن حجلة، حرسه الله تعالى، ثمّ من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكورة، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله العظيم، ويعلم أنّه صائر إلى ربّه الكريم أن يبطله ولا شيئا منه، ولا يبدله ولا شيئا منه، فمن فعل ذلك أو أعان عليه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه، إنّ الله سميع عليم، ومن أعان على إبقائه على حكم الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأشهد الواقف الوكيل عليه في ذلك في الثاني والعشرين لشهر الله تعالى المحرّم عام ثمانية وستين وسبع مئة"

[1]- المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج7، ص 106-107. عبد الرحمن علي الحجي: **دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي**، ص101.

الملحق رقم (06)

المنهج التعليمي عند ابن عبد البر النمري (ت:463هـ/1070م)[1]

السنّ	المواد المدرّسة	شيوخ التخصّص	الكتب المقرّرة	العلوم المساعدة
قبل البلوغ	حفظ القرآن		القرآن الكريم	
البلوغ وما بعده	فهم القرآن الكريم ومقاصده		القرآن الكريم	– اللغة العربية وغريبها. – النحو. – ناسخ القرآن ومنسوخه، وأحكامه(الفرائض) – اختلاف العلماء واتفاقهم (علم الكلام)
	السنن المأثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الناسخ والمنسوخ في السنن (الحديث والسيرة) قراءة وحفظا.	مالك بن أنس، سفيان الثوري، ابن عيينة، ابن شهاب، ابن جريح، ابن وهب حماد بن يزيد، حماد بن سلمة، يحي بن سعيد القطان، ابن المبارك...	الحديث النبوي الشريف المنقول عن كتب الصحاح كالبخاري، مسلم، النسائي أبو داود...	
	فهم الحديث النبوي الشريف		الحديث النبوي من الصحاح	علم لسان العرب اللغة ومواقع كلامها، وسعة لغتها، استعاراتها، مجازها، عموم لفظ مخاطبه، وسائر مذاهبها، أي غريب اللغة والنحو والإعراب.

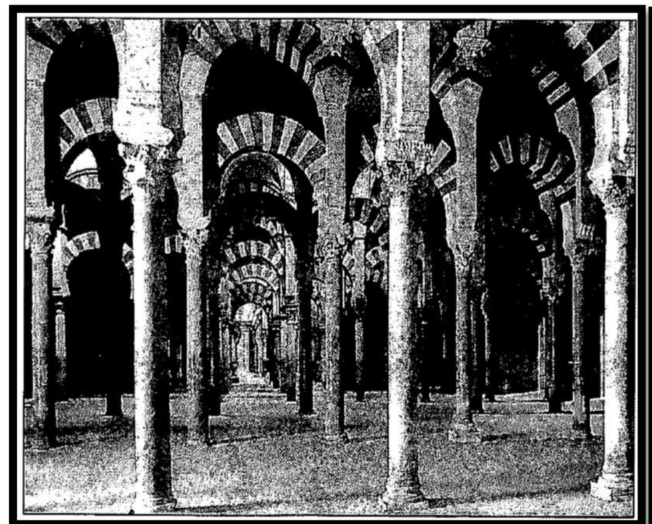
[1]- المصدر: ابن عبد البر النمري: **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، ص404 . 405.

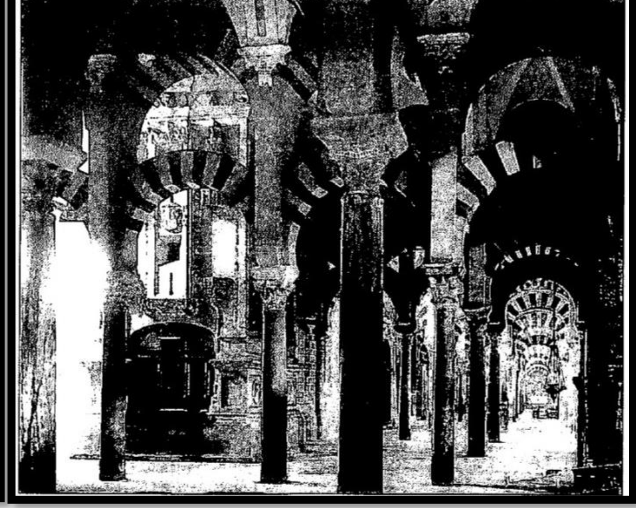
الملحق رقم (07)

منظر خارجي لمسجد قرطبة الجامع[1]



منظر داخلي لمسجد قرطبة الجامع





[1]- Manuel NietoCumplido, **La Mosquée- Cathédrale de Cordoue**,Escudo de oro, Madrid, 2008, p2



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا ـ القرآن الكريم:

ثانيا ـ قائمة المصادر:

ـ ابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت:685هـ/1286م):

1 ـ **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، مصر، 1957م.

2 ـ **إعتاب الكتاب**، تح: صالح الأشقر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج2، 1961م.

3 ـ **الحلّة السيراء**، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، مصر، ج2، 1963م.

ـ ابن الأثير أبو الحسن علي (630هـ/1222م):

4 ـ **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي،ط3، بيروت، ج7، 1400هـ/1980م.

ـ ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي (ت:668هـ/1270م):

5 ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1965م.

ـ الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي (ت:560هـ/1066م):

6 ـ **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، القاهرة، 2002م

ـ ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي (ت:543هـ/1147م):

7 ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

ـ ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت:578هـ/1183م):

8 ـ **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، لبنان، 2003م.

ـ ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت:770هـ/1369م):

9 ـ **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: عبد السلام العرقوسي، دار إحياء العلوم، ط1، بيروت، 1987م.

ـ البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت:256هـ/869م):

10 ـ **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق، 1423هـ/2002م.

ـ البكري أبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت:487هـ/1091م):

11 ـ **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.

ـ الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت:279هـ/892م):

12 ـ **الجامع الكبير** (**سنن الترمذي**)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996م.

ـ ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت:383هـ/994م):

13 ـ **طبقات الأطباء والحكماء**، تح: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

ـ أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الطوسي (ت:505هـ/1111م):

14 ـ **إحياء علوم الدين**، تح: أبي الفضل العراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ج1، 1426هـ/2005م.

ـ أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن عباس (ت:414هـ/1023م):

15 ـ **الامتناع والمؤانسة**، تح: غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007م.

ـ ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت:456هـ/1064م):

16 ـ **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1962م.

17 ـ **رسائل ابن حزم**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ب)، 1987م.

18 ـ **طوق الحمامة في الألفة والألآف**، مؤسسة هنداوي، (د.ط)، المملكة المتحدة، 2014م.

ـ ابن حيان الأندلسي أبو مروان حيان بن خلف (ت:467هـ/1076م):

19 ـ **المقتبس من أنباء الأندلس**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1426هـ/2006م.



ـ الحميدي أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله (ت:488هـ/1195م):

20 ـ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1372هـ/1952م.

ـ الحميري ابن عبد الله محمد بن المنعم (ت:727هـ/1326م):

21 ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984م.

ـ ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت:776هـ/1374م):

22 ـ **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة دار الكشوف، بيروت، 1956م.

23 ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1973م.

ـ الخشني محمد بن الحارث (ت:361هـ/972م):

24 ـ **أخبار الفقهاء والمحدثين**، تح: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، (د.ط)، مدريد، 1991م.

ـ ابن خاقان أبو النصر (ت:528هـ/1134م):

25 ـ **قلائد العقيان**، مطبعة التقدم العلمية، ط1، مصر، 1320هـ.

ـ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن أبو زيد (ت:808هـ/1405م):

26 ـ **المقدمة**، المطبعة الأدبية، ط3، بيروت، 1900م.

27 ـ **المقدمة**، تح: أحمد الزعبي، دار الأرقم، (د.ط)، بيروت، 2001م.

28 ـ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1972م.

ـ ابن خلكان شمس الدين أبو العباس (ت:681هـ/1282م):

29 ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.

ـ الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المالكي (ت:945هـ/1538م):

30 ـ **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م.

ـ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت:784هـ/1347م):

31 ـ **سير أعلام النبلاء**، تح: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفاء، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م.

32 ـ **تذكرة الحفّاظ**، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م.

ـ الزبيدي الأندلسي أبو بكر محمد بن الحسن (ت:379هـ/989م):

33 ـ **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

ـ ابن سعيد المغربي علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت:685هـ/1286م):

34 ـ **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1955م.

ـ السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ/1497م):

35 ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

ـ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ/1505م):

36 ـ **طبقات المفسرين العشرين**، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1396هـ.

37 ـ **تاريخ الخلفاء**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الفجالة الجديدة، ط4، القاهرة، 1389هـ/1969م.

ـ الشهر زوري أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت:643هـ/1245م):

38 ـ **علوم الحديث**، تح: نور الدين عنتر، دار الفكر، (د.ط)، دمشق، 1986م.

ـ صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت:462هـ/1070م):

39 ـ **طبقات الأمم**، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1912م.

ـ الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت:599هـ/1203م):

40 ـ **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1990م.

ـ ابن العربي القاضي أبو بكر (ت:543هـ/1148م):

41 ـ **العواصم من القواصم**، تح: عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1974م.



ـ ابن عبد ربه شهاب الدين أحمد بن محمد (ت:328هـ/940م):

42 ـ **العقد الفريد**، تح: محمد سعيد العريان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1428هـ/2008م.

ـ ابن عبدون الإشبيلي محمد بن أحمد التجّيبي (ت:527هـ/1133م):

43 ـ **رسالة أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

ـ ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد (ت:695هـ/1295م):

44 ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1419هـ/1983م.

ـ ابن فرحون المالكي رهان الدين (ت:799هـ/1397م):

45 ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

ـ ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن يوسف (ت:403هـ/1013م):

46 ـ **تاريخ علماء الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، لبنان، دار الكتاب المصري، مصر، (د.ت).

ـ ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوريّ (ت:276هـ/889م):

47 ـ **المعارف**، تح: ثروة عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992م.

ـ ابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين محمد الدمشقي (ت:751هـ/1350م):

48 ـ **أحكام أهل الذّمّة**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1986م.

ـ القابسي أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (ت:403هـ/1012م):

49 ـ **الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين**، تح: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، (د.ب)، 1986م.

ـ القاضي عياض أبو الفضل العصبي السبتي (ت:544هـ/1149م):

50 ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، ط1، المحمدية، المغرب، (د.ت).

ـ القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت:646هـ/1248م):

51 ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406هـ/1982م.

ـ القلقشندي أبو العباس أحمد (ت:821هـ/1418م):

52 ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1919م.

ـ ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر (ت:367هـ/977م):

53 ـ **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (د.ط)، (د.ت).

ـ ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:273هـ/886م):

54 ـ **سنن ابن ماجة**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت).

ـ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر (ت:711هـ/1211م):

55 ـ **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

ـ المراكشي عبد الواحد أبو علي بن محمد التميمي (ت:647هـ/1249م):

56 ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ـ المغراوي أبو عبد الله محمد الوهراني (ت:920هـ/1514م):

57 ـ **جامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلّمين وآباء الصبيان**، تح: أحمد جلولي البدوي، ورابح بونار، (د.ط)، الجزائر، (د.ت).

ـ المقدسي شمس الدين محمد بن أحمد (ت:380هـ/990م):

58 ـ **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1411هـ/1991م.

ـ المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت:1041هـ/1631م):

59 ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1358هـ/1968م.

60 ـ **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقّا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م.

ـ مؤلف مجهول عاش في القرن (04هـ/08م):

61 ـ **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تح: أميلو لافوانتي، مدريد، 1284هـ/1867م.

ـ مؤلف مجهول:

62 ـ **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ/2007م.

ـ ابن نباتة جمال الدين المصري (ت:768هـ/1366م):

63 ـ **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (د.م)، 1383هـ/1964م.

ـ أبو النصر محمد الفارابي (ت:339هـ/950م):

64 ـ **إحصاء العلوم**، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، لبنان، 1996م.

ـ اليحصبي عياض بن موسى (ت: 544هـ/1149م):

65 ـ **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، بالاشتراك مع المكتبة العتيقة بتونس، ط2، القاهرة، (د.ت).

ثالثا ـ قائمة المراجع:

ـ أحمد خالد حسن

66 ـ **تعليم اللغة العربية في الأندلس**، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 1997م.

ـ أمين أحمد

67 ـ **ظهر الإسلام**، مر: شفيق البسيط، المكتبة العصريّة، ط1، صيدا، بيروت، 2006م.

ـ أمين محمد أمين

68 ـ **الجامعات الإسلامية في الأندلس وأثرها على النهضة الأوربية**، (د.ط)، منشورات الجامعة الأردنية، 2001م.

ـ الأمير شكيب أرسلان

69 ـ **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

ـ التليسي بشير رمضان

70 ـ **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2003م.

ـ الجارم بك علي

71 ـ **قصّة العرب في إسبانيا**، مكتبة المعارف، مصر، (د.ت).

ـ جوزيف نسيم يوسف

72 ـ **نشأة الجامعات في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1981.

ـ الحجي عبد الرحمن علي

73 ـ **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، ط2، دمشق، 1987.

74 ـ **دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي**، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، أبو ظبي، 2007م.

75 ـ **أندلسيّات**، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1389هـ/1969م.

ـ حمادة محمد ماهر

76 ـ **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1970م.

ـ الحلوجي عبد الستار

77 ـ **لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات**، دار الثقافة، القاهرة، 1982م.

ـ خالص صالح

78 ـ **إشبيلية في القرن الخامس الهجري دراسة أدبية وتاريخية**، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

ـ خفاجي محمد عبد المنعم

79 ـ **ديوان الإمام علي**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1997م.

ـ خطّاب محمود شيت

80 ـ **قادة فتح الأندلس**، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر والتوزيع، دمشق، 1424هـ.

ـ الخولي عبد البديع عبد العزيز عمر

81 ـ **الفكر التربوي في الأندلس (403هـ ـ 478هـ)**، دار الفكر العربي، ط2، (د.ب)، 1985م.

ـ دندش عصمت عبد اللطيف

82 ـ **دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع**، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2009م.

ـ دويدار حسين

83 ـ **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138 ـ 422هـ/755 ـ 1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة، (د.ت).

ـ دياب حامد الشّافعي

84 ـ **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1998م.

ـ الدفاع علي بن عبد الله

85 ـ **روّاد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة التوبة، ط2، الرياض، العربية السعودية، 1414هـ/1993م.

86 ـ **روّاد علم الفلم في الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة التوبة، ط2، الرياض، العربية السعودية، 1414هـ/1993م.

ـ ذنون طه عبد الواحد

87 ـ **نشأة التدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد،1988م.

ـ رتاقي أنور محمد

88 ـ **العلم والتعليم في الأندلس**، (د.ط)، جامعة عين شمس، (د.ب)، 2008م.

ـ أبو زيدون وديع

89 ـ **تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005م.

ـ السبحي عبد الحي والقسايمية محمد

90 ـ **طرق التدريس العامة وتقويمها**، دار خوارزم العلمية، ط1، جدة، السعودية، 2010م.

ـ سالم عبد العزيز

91 ـ **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

92 ـ **المساجد والقصور في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، 1986م.

ـ السورجي أحمد عبد العزيز محمود

93 ـ **الدولة الفاطمية في مصر تاريخها وحضارتها**، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، (د.ط)، (د.ت).

ـ الشرقاوي أنور محمد

94 ـ **التعليم نظريات وتطبيقات**، مطبعة محمد عبد الكريم، القاهرة، (د.ت).

ـ شحاتة ريه عطا علي محمد

95 ـ **اليهود في المغرب الأقصى**، دار الكلمة، دمشق، 1999م.

ـ الشكعة مصطفى

96 ـ **المغرب والأندلس آفاق إسلامية**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987م.

ـ صبحي صالح

97 ـ **النظم الإسلامية نشأتها وتطوّرها**، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1388هـ/1968م.

ـ الصلابي علي محمد

98 ـ **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م.

ـ طالبي عمّار

99 ـ **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

ـ الطاهر أحمد

100 ـ **دراسات أندلسية ـ الأدب والتاريخ والفلسفة**، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1980م.

- طه عبد المقصود

101 - **الحضارة الإسلامية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج2، 2004م.

- طرفان إبراهيم علي

102 - **دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى (دولة القوط الغربيين)**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958م.

- طويل مريم قاسم

103 - **مملكة المرية في عصر المعتصم بن صمادح (443 - 484هـ/1051 - 1091م)**، مكتبة الوحدة العربية، ط1، الدار البيضاء، 1994م.

- عبد الدائم عبد الله

104 - **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان، 1984م.

- عبد الرزاق أحمد

105 - **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1411هـ/1991م.

- بوعروة بكير

106 - **تاريخ علماء الفلك في بلاد الأندلس (138 - 484هـ/775 - 1088م)**، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009م.

- العربي إسماعيل

107 - **دولة بني زيري ملوك غرناطة**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1404هـ/1982م.

- عصام سالم سي سالم

108 - **جزر الأندلس المنسيّة - التاريخ الإسلامي لجزر البليار**، دار العلم للملايين، ط1، 1984م.

- عمر عبد العزيز عمر

109 - **دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992م.

ـ بوعمامة فاطمة

110 ـ **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8هـ**، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011م.

ـ العثمان فهد بن عبد الرحمن

111 ـ **الفوائد الذهبية من سير أعلام النبلاء**، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، السعودية، 1418هـ/1997م.

ـ عجيل كريم

112 ـ **الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976م.

ـ عيسى محمد عبد الحميد

113 ـ **تاريخ التعليم في الأندلس**، دار الفكر العربي، ط1، مصر، 1982م.

ـ عنان محمد عبد الله

114 ـ **الآثار الأندلسية في إسبانيا والبرتغال**، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1961م.

115 ـ **تراجم إسلاميّة شرقيّة وأندلسيّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1390هـ/1970م.

116 ـ **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، (د.ت).

ـ عمران محمود سعيد

117 ـ **معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1986م.

ـ الفيومي محمد إبراهيم

118 ـ **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الجيل، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م.

ـ فرّاج عز الدين

119 ـ **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ/2002م.

ـ فريحات حكمت عبد الكريم والخطيب إبراهيم ياسين
120 ـ **مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1989م.
ـ الفوج محمد مصطفى
121 ـ **أوربا في العصور الوسطى**، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، مصراتة، ليبيا، 2009م.
ـ فياض عبد الله
122 ـ **الإجازات العلمية عند المسلمين**، مطبعة الإرشاد، ط1، بغداد، 1967م.
ـ كرد محمد علي
123 ـ **غابر الأندلس وحاضرها**، المطبعة الرحمانيّة، مصر، 1923م.
ـ كواتي مسعود
124 ـ **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة، ط2، الجزائر، 2002م.
ـ لطفي عبد البديع
125 ـ **الإسلام في إسبانيا**، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1958م.
ـ محمود عبد الفتاح
126 ـ **نظرية التدريب**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، 2013م.
ـ مطلق ألبير حبيب
127 ـ **الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الطوائف**، المكتبة العصرية، بيروت، 1967م.
ـ محمد عادل عبد العزيز
128 ـ **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1987م.
ـ مؤنس حسين
129 ـ **فجر الأندلس**، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002م.

ـ نصر سيد حسين

130 ـ **العلوم في الإسلام**، تح: محمد السويسي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1978م.

ـ الوراكلي حسن

131 ـ **ياقوتة الأندلس**، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، لبنان، 1994م.

ـ هيكل أحمد

132 ـ **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، ط6، القاهرة، 1971م.

ـ ياينش جعفر

133 ـ **الحركة الطبية في الأندلس بين صراع السياسي والمعرفي**، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2004م.

رابعا ـ المراجع المعرّبة:

ـ أنخل جونثالث بالنثيا

134 ـ **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م.

ـ أمان محمد

135 ـ **الكتب الإسلامية**، تر: سعد بن عبد الله الضبيعان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، العربية السعودية، 1990م.

ـ بروفنسال ليفي

136 ـ **حضارة العرب في الأندلس**، تح ـ تع: ذوقان، دار مكتبة الحياة، لبنان، 2011م.

ـ بيشوب موريس

137 ـ **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، تر: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

ـ بلاثيوس آسين

138 ـ **ابن عربي حياته ومذهبه**، تر: عبد الرحمن بدوي، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1956م.

- ج. س. كولان

139 ـ **الأندلس**، تر: إبراهيم خورشيد وآخرين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1986م.

- خوليو رييس روبيو

140 ـ **الأندلس بحثا عن الهوية الغائبة**، تر: غادة عمر طوسون ورنا أبو الفضل، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م.

- دي بور، ت ج

141 ـ **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، تع: عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، 1368هـ/1948م.

- دي إيبالزا ميكيل

142 ـ **المستعربون ـ الحضارة العربية في الأندلس ـ**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م.

- دوزي رينهرت

143 ـ **المسلمون في الأندلس**، تر . تع: حسن حبش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج1، 1994م.

- ديوي جون

144 ـ **المدرسة والمجتمع**، تر: أحمد حسن الرحيم، منشورات دار الحياة، ط2، بيروت، 1978م.

- الزعفراني حاييم

145 ـ **ألف سنة من حياة اليهود في بالمغرب**، تر: أحمد شحلان، الدار البيضاء، ط1، 1987م.

- ستانلي لين بول

146 ـ **قصة العرب في إسبانيا**، تر: علي الجارم، مؤسسة هنداوي، (د.ط)، (د.ب)، 2012م.

- س.د جواتياين

147 ـ **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**، تر: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1980م.

ـ غومس غرسيه

148 ـ **الشعر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1969م.

ـ هونكه زيغريد

149 ـ **شمس العرب تسطع على الغرب**، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، ط8، بيروت، 1993م.

ـ ليون جوستاف

150 ـ **حضارة العرب**، تر: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م.

خامسا ـ الأطروحات والرسائل والمذكرات الأكاديمية:

ـ اشتيوي أشرف يعقوب أحمد

151 ـ **الأندلس في عصر الولاة (91 ـ 138هـ/711 ـ 756م)**، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004م.

ـ البشري سعد عبد الله صالح

152 ـ **الحياة العلمية في عصر الخلافة بالأندلس**، رسالة مقدّمة لتحصيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، 1401 ـ 1402هـ/1981 ـ 1982م.

153 ـ **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (422 ـ 488هـ/1030 ـ 1090م)**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1405 ـ 1406هـ/1985 ـ 1986م.

ـ بعيون سهى

154 ـ **إسهامات العلماء المسلمين في العلوم بالأندلس عصر ملوك الطوائف (422 ـ 479هـ/1031 ـ 1086م)**، رسالة ماجستير، دار المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2008م.

. بلغيث محمد الأمين

155 ـ **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي: 2002 ـ 2003م.

- بن حاج ميلود

156 ـ **التربية والتعليم في الأندلس**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 1436 ـ 1437هـ/2015 ـ 2016م.

- الخالدي خالد يونس عبد العزيز

157 ـ **اليهود في الدولة العربية الإسلامية**، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ إسلامي، جامعة بغداد، مكتبة دار الأرقم، فلسطين، 2011م.

- أبو صالح وائل فؤاد

158 ـ **التربية اللغوية في الأندلس عصر سيادة قرطبة**، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، 1979م.

- أبو الضبعات ولاء يوسف

159 ـ **الحياة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل، فلسطين، 1437هـ/2016م.

- عيسى محمد عبد الحميد

160 ـ **تاريخ التعليم في الأندلس**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم التاريخ الوسيط، جامعة الأوتونوما، مدريد، 18 مارس 1980م.

- عابد فطيمة

161 ـ **الحياة الفكرية بسرقسطة البيضاء خلال عهد ملوك الطوائف (431- 512هـ/1039-1118م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ وسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

- بن علي طاهر

162 ـ **ابن حزم وظاهرة التجديد**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2000 ـ 2001م.

ـ بولعراس خميسي

163 ـ **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400 ـ 479هـ/1009 ـ 1086م)**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1427 ـ 1428هـ/2006 ـ 2007م.

ـ معالي محمد علي ياسين

164 ـ **الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية وعلاقتها مع بلاد المغرب والمشرق**، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2017م.

ـ ملاخ عبد الجليل

165 ـ **الحركات المذهبية بالأندلس وأثرها السياسي والفكري (138 ـ 479هـ/756 ـ 1086م)**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، 1438 ـ 1439هـ/2017 ـ 2018م.

ـ وانس صلاح الدين

166 ـ **علماء الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف دراسة في أدوارهم العلمية والسياسية (422 ـ 479هـ/1030 ـ 1086م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ وحضارة، جامعة الجزائر1، 1431 ـ 1432هـ/2010 ـ 2011م.

ـ ولدان محمد الأمين

167 ـ **النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (422 ـ 539هـ/1030 ـ 1141م)**، رسالة دكتوراه، تخصص المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإسلامية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011 ـ 2012م.

سادسا ـ المجلات والدوريات:

ـ أعراب سعيد

168 ـ **رسالة من ابن حبيب إلى معلّم ولده**، مجلة الثقافة المغربية، وزارة الثقافة والتعليم الأصلي، العدد:07، الرباط، المملكة المغربية، 1972م.

ـ برزاق نذير

169 ـ **الإجازة العلمية دلالة المبنى والمعنى ـ رصد للحراك الفكري للعلماء ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط**، مجلة عصور الجديدة، العدد:23، جامعة وهران1، 2016م.

ـ بلخير عبد الرحمن

170 ـ **الإجازات العلمية لعلماء المغرب الأوسط خلال القرن09هـ/15م ـ دراسة في التداول والإسهامات**، مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، العدد:03، جامعة وهران1، المجلد:11، 2021م.

ـ بلهواري فاطمة

171 ـ **الحركة العلمية في الأندلس على عهد ملوك الطوائف**، مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد:23، جامعة وهران1، أوت1437هـ/2016م.

ـ خوليان ربيرا

172ـ **المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية**، مجلّة المخطوطات العربية، مج4، ج1، ماي 1958م.

ـ خلاف محمد عبد الوهاب

173 ـ **ابن سهل الأندلسي تسع وثائق في شؤون الحسبة على المساجد في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى**، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ع:22، جامعة الكويت، 1984م.

ـ دياب مفتاح محمد

174 ـ **ازدهار حركة نشر الكتب والمكتبات في الأندلس**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع: 07، ليبيا، 1990م.

. زغروت محمد إبراهيم

175 ـ **مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوربا**، مجلة البحوث الإسلامية، (د.ب)، العدد: 17، 1406هـ.

. سعيد حدة

176 ـ **التربية والتعليم في فكر إخوان الصفاء من خلال رسائلهم**، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد:09، جامعة الجلفة، ج2، مارس 2018م.

. سلمان علي محسن

177 ــ **الأندلس أرض التسامح والتعايش الديني**، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد:82، المجلد20، (د.ب)، (د.ت).

. صلاحية أحمد عبد القادر

178 ــ **ابن شخيص الأندلسي حياته وشعره**، مقال مجلة التراث العربي، العدد:52، دمشق، السنة:13، 1يوليو1993م.

. بن علي طاهر

179 ـ **منهج نقد الخبر في فكر ابن حزم الظاهري**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم التاريخ، العدد:18، جامعة غرداية، 2013م.

. عباد سامية

180 ـ **مراكز التعليم في الأندلس من الفتح إلى عصر ملوك الطوائف (92 ـ 484هـ/711 ـ 1091م)**، مجلة كلية الأدب، قسم التاريخ، العدد:36، جامعة الزاوية، ليبيا، مارس2022م.

. عكاك عبد الغني

181 ــ علم الكلام ومسؤولية المشروعية، مقال بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد:28، جامعة الجزائر1، مارس2017م.

. عبد السيّد أحمد درويش

182 ــ **تركة المصطفى وشريعة الإسلام ــ التعليم في الإسلام ــ**، مقال دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2020/09/12م، آخر زيارة: 2023/03/27م، سا11:30.

- عمار مختار
183- **الرحلة العلمية الأندلسية إلى حواضر المشرق وأثرها على النهضة العلمية في الأندلس خلال العهد الأموي (138 - 422هـ/755 - 1030م)**، مقال بمجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، العدد:02، المجلد07، (د.ب)، 2020/07/30م.
- قمان كمال
184 - **الرحلة العلمية ودورها في التحصيل العلمي لعلماء الأندلس**، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة زيان عاشور، العدد:01، الجلفة، 1443هـ/2022م
- مريقي حمزة

185- **الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجري**، دورية كان التاريخيّة، العدد:32، السنة التاسعة، يونيو2016م.
- ملاخ عبد الجليل
186- **الإمارة الأموية في الأندلس وتحويلها من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي**، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، العدد:17، جانفي 2011م.
- الوراكلي حسن
187- **الخطاب التربوي عند الأندلسيين**، مجلة المعرفة، العدد:69، تونس، 2009، مقتبس من المرجع الإلكتروني: islam.story.com/ar
- يماني رشيد

188- **صورة عن نظام التعليم عند المرأة الأندلسية**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، قسم التاريخ، العدد:06، جامعة تلمسان، (د.ت).

سابعا - المعاجم:

- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت:458هـ/1066م):
189- **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تح: عبد الستار أحمد فرج، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، ط1، مصر، 1377هـ/1958م.

ـ ابن فارس، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (ت:394هـ/1004م):

190ـ **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

ـ الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:817هـ/1414م)

191ـ **القاموس المحيط**، تح: محمد الأمين العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.

ثامنا ـ الموسوعات:

ـ فارس محمد

192ـ **موسوعة علماء العرب والمسلمين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.

ـ مؤنس حسين

193ـ **موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1416هـ/1996م.

تاسعا ـ الكتب الأجنبية:

194- Jordanes ,**The Gothic history**, transby, Cristopher, CH,Princeton university press, 1915.

195- Lévi-provencal, **L'espagne Musulmane** au Xem siécle, **G-P** Maisonneuve, Paris-E.J.Brill, Leden, 1950.

196- Manuel Nieto Cumplido, **La Mosquée-Cathédrale de Cordoue**, Escudo de oro, Madrid, 2008.

الملخص:

يعدّ التعليم أنبل وأرقى رسالة مارسها الإنسان في هذه الحياة، فهو أساس تحقيق التقدّم والتطوّر، وهو القاعدة الأساسية لصناعة الإنسان وتقويمه ـ التقويم الصائب الحسن ـ في كلّ المجالات، لهذا وجدتني منساقا إلى موضوع التعليم، تدفعني إليه نزعتي البيداغوجية ومنهجيتي الأكاديمية، فوجّهت هذا الانسياق إلى اهتمام علمي، وترجمته في بحث أكاديمي، وسقته إلى موضوع مذكّرتي.

ولما كان تاريخ الغرب الإسلامي مجال التخصّص، وكانت بلاد الأندلس واسطة العقد فيه، ارتأيت أن تكون هذه الدراسة مبيّنة لحقيقة التعليم في مرحلتين أساسيتين من مراحل الحكم في الأندلس، مرحلة الخلافة الأموية، ومرحلة عصر الطوائف، وهما مرحلتا ازدهار الحركة العلمية، والتعليم معيارية فيها.

جاءت الدراسة مبرزة دور الخلفاء والأمراء في بعث الحركة التعليميّة، وامتلاك أنفس المكتبات التي حافظت على العقل النيّر الحليم، والفكر الثاقب السليم، وتعكس بذلك شغف أهل الأندلس بالقراءة، وحرصهم على التعلّم، فعدّ ذلك مضرب الفخر والنّبل بينهم.

كما أبانت الدراسة عن أهمّ مراكز التعليم التي يختلف إليها طلبة العلم في مراحل تعليمهم، وكذا شرح أبرز طرق التعليم المعتمدة، وعرض المناهج التعليميّة المتّبعة لديهم، مع تقديم نماذج لأقطاب التعليم في المرحلتين المدروستين.

لم تغفل الدراسة دور الرحلة العلميّة ومكانتها لدى طلبة العلم، الذين نهلوا من كبار العلماء في العالم الإسلامي، وأجيزوا على التدريس ونشر العلوم التي حصّلوها، فظهر التألّق العلميّ والحركيّة الفكريّة مستقطبة أشهر العلماء في شتى العلوم، فكانت الأندلس بذلك قبلة العلم والمعرفة، تشدّ إليها الرّحال طلبا للعلم من مشارق الأرض ومغاربها.

Summary:

Education is the noblest and most prestigious mission practiced by man in this life, it is the basis for achieving progress and development, and it is the basic base for Human industry and its evaluation - the correct and good calendar - in all fields. That is why I found myself drawn to the subject of education, to which my pedagogical tendency and my academic methodology push me, and I turned this connection into a scientific interest translated it into an academic research, and led it to the subject of my diary.

Since the history of the Islamic West was a field of specialization, and the country of Andalusia was the medium of the decade in it, I thought that this study would show the reality of education in two basic stages of government in Andalusia; the stage of the Umayyad Caliphate, and the stage of the era of sects, which are the stages of the flourishing of the scientific movement, and education is standard in it.

The study highlighted the role of the caliphs and princes in the revival of the educational movement, and the possession of the same libraries that preserved the bright mind and sound in sightful thought, and thus reflects the passion of the people of Andalusia for reading, and their keenness to learn, and then a racket of pride and nobility among them.

The study also revealed the most important educational centers to which science students differ in their educational stages, as well as explaining the most important methods of Education adopted, presenting the educational curricula followed by them, with providing models of the educational poles in the two studied stages.

The study did not lose sight of the role of the scientific journey and its status among the students of Science, who were among the leading scientists in the Islamic world, and were authorized to teach and disseminate the sciences they obtained, so the scientific brilliance and intellectual mobility appeared, attracting the most famous scientists in various sciences, so Andalusia was thus the kiss of Science and knowledge, attracted travelers seeking knowledge from the East and west of the Earth.

قائمة المحتويات العام